مكتبة الدراسات التاريخية
والعلاقات الدولية
— ٦ —

قضايا إسلامية معاصرة

دكتور
عبد الشافى غنيم عبد القادر
أستاذ التاريخ الاسلامى
ورئيس قسم التاريخ بجامعة قطر

دكتور
رأفت غنيمى الشيخ
أستاذ التاريخ المعاصر المساعد
جامعة عين شمس

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الخالق ثروت – القاهرة

١٩٨٠

إهـــداء

الى العالم الاسلامى المعاصر مع اقتراب مطلع القـــرن الخامس عشر الهجـــرى .

ندعو الله ان يحقق وحدة المسلمين وينصرهم على أعدائه واعدائهم انه سميع مجيب الدعاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتمهيد

العالم الاسلامى المعاصر ، يمتلىء الآن بقضايا اسلامية ، على اكبر جانب من الاهمية ، منها ما هو عام ، يرتبط بعوامل التخلف المتصلة ، باتساع مسافة التخلف الحضارى بين دول — لم تكن — واصبحت في هذه الايام تشكل قمة التقدم والتطور العلمى والتطبيقى والتقنى ، واخرى — كانت — وتحاول جاهدة — رغم العوائق والصعوبات — ان تشارك في علوم العصر وتطور الفكر ، ومنها ما هو خاص يرتبط بقضايا مصيرية لاقليات اسلامية تعيش في اطار دول تتحكم في مصيرها وتحول بينها وبين حقوقها المشروعة في الحياة العصرية والمشاركة في القضايا التى تتصل بمستقبلها ومستقبل اجيالها .

وليس من شك في أن هذه ، وتلك ، تحتاج الى ادراك عوامل الخلل والقصور ، اضافة الى رسم الخطط وتنسيق الجهود ، من أجل وضع الاسلام والمسلمين في المكان الذى يؤهله لهم : عقيدة كاملة شاملة تغطى كافة احتياجات الحياة العامة والخاصة ، وتاريخ ناصع وعريق يؤكد ما كانت عليه الحضارة الاسلامية في مختلف فروع المعرفة من تقدم وازدهار وما لعبته من أدوار في تطوير النهضات الاوروبية الوسيطة والحضارات الحديثة والمعاصرة . وبما اسهمت من جهود عقلية ونقلية في تاريخ الفكر والحضارة الانسانية .

ولقد آثرنا فيما نعرضه في هذا الكتاب أن نركز على الجانب الخاص من هذه القضايا الاسلامية المعاصرة ، متتبعين جذورها التاريخية وأبعادها الدولية ، ومراحل تطورها ومواقف العالم الاسلامى ومؤسساته التنظيمية منها ، تاركين الجانب العام من عوامل التخلف المتصلة باتساع رقعة التخلف الحضارى بينها وبين الدول الصناعية الكبرى الى مؤلف آخر نرجو أن نستعين فيه ببعض المختصين في مجالات أخرى الى جانب الدراسات التاريخية .

وكان لابد لنا ونحن نتعرض للقضايا الاسلامية المعاصرة ان نرد القارىء في يسر لمحة يسيرة عن الفترة العريضة الخصبة من تاريخ

هذه الامة الاسلامية العريقة ومدى اتساعها العقيدى والمادى والحضـارى والثقافى مبرزين عوامل النجاح والتوسع والامتداد لهذه الامة التى لـم يعرف التاريخ لها مثيلا حتى شملت في وقت من الاوقات معـظم القارات المعروفة آنذاك ، ثم الانتقال الى العوامل الداخلية والخارجية التى مهدت لتفكك وضعف الدولة مما أتاح لبعض الدول الصـــناعية فرض بعض مظاهر الاستعمار والاحتلال والانتداب والوصاية .

ثم يأتى في الباب الثانى الحديث عن عودة اليقظة الاسلامية الى هذه الامة منطلقة من حركات سلفية تصحيحية ، وتنظيمات عربية واسـلامية وحركات تحرر في العالم الاسلامى تمهيدا لامل الوصول الى الوحـــدة الاســلامية .

وفي الباب الثالث نتعرض لنماذج من مشكلات المسلمين في عالـــم اليوم حيث نعالج أحوال الاقليات الاسلامية في العالم ، ثم نعــالج صراع المسلمين في انحاء العالم ضد أعدائهم مثل وضع المسلمين في الفلبين وقبرص واريتريا وتشـــاد .

ولا يفوتنا أن نشـــير الى أن دراسة مثل هذا الموضوع على اتساعه تجعل من العسير في مؤلف واحد الخوض في التفصيلات أكثر مما سمحت به الظروف ، فان كل باب من أبواب الكتاب الثلاثة بل كل فصل من فصوله الستة يحتاج الى كتاب منفصل ، ومن هنا تجىء المشقة في تحليل هــذه الموضوعات المتسعة في كتاب واحـــد .

ونأمل أن نكون بهذا الكتاب نسد فراغا في المكتبة العربية وبه نساهم في ابراز حالة المسلمين بين الامس واليوم على أمل ان يستعيد المســلمون ما كان لهم من مجد تليد وحضارة فاقت حضارات العالم المعـــروفة والله نسأل أن يوفق المسلمين حكاما ومحكومين الى ما فيه خيرهـــم وخير الاســلام .

ولا يفوتنا ان نشـــكر الاستاذ محمد رفعت المدرس المساعد بقسم التاريخ بكلية التربية جامعة عين شمس على مساهمته في مراجعة بروفات هذا الكتاب .

وعلى الله قصد الســبيل ،

المؤلفـــان

أ.د. عبد الشافى غنيم ـ د. رافت الشـــيخ

الدوحة / رجب ١٤٠٠ هـ مايو ١٩٨٠م

الباب الاول

حركة التوسع العقيدى والحضارى والسياسى للاسلام

مقـــــدمة	ابعاد التوسع العقيدى والحضارى والسياسي للدولة الاســـلامية
الفصل الأول	عوامل نجاح حركة التوسع العقيدى والحضارى
الفصل الثانى	عوامل التفكك السياسي في الدولة الاسلامية

مقـــدمة

اقترن القرن السابع الميلادى (الاول الهجرى) بظهور الاسلام كآخر رسالة سماوية تنهى عددا من الرسالات الالهية ، في وقت كان العالم فيه مهيأ لنزول هذه الرسالة ، فالخلاف محتدم بين رئتى العالم المسيحى بيزنطة شرقا وروما غربا حول موضوعات على جانب كبير من الاهمـــية بعضها يمس الوحدانية الربوبية والالهية (١) في اخص صفاته جل شأنه ، وعلاقة الاب بالابن وصفات كل منهما ، وحول مبدأ الطبيعة الواحدة والطبيعتين المعروفة باسم Monophysite ، وبعضها يتناول الخلاف الايقونى حول مبدأ وجود الصور والتماثيل في الكنائس . وقد عجزت المجامـــع التى عقدها كبار رجال الدين المسيحى عن ايجاد حلول لهذه المشكـــلات اللاهوتية بما في ذلك مجمع نيقية الذى عقد في ســـــنة ٣٢٥ م ومجمع خلقدونية الذى عقد في عام ٤٥١ م (٢) هذا بالاضافة الى انتشار الوثنية والمذاهب المجوسية في معظم الانحاء وفي مقدمتها بلاد العرب ، أما عن الديانةاليهودية فقد تاهت مفاهيمها في نسخ العهد القديم المتباينة وكتب انبياء بنى اسرائيل وفي مقدمتها التلمود ، كل ذلك جعل من الضرورة بمكان اهمية نزول رسالة جديدة ترد على هذه التساؤلات وتقضي على هـــذه المتناقضات وتفتح الطريق أمام البشر للايمان برسالة محمد عليه الصلاة والســـلام .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نبى هذه الامـــة قد وطد اركان الدولة الاسلامية عقائديا وفكريا وسياسيا وحضاريا واجتماعيـــا

---

(١) من اراد التوسع في هذا الجانب عليه قراءة كتاب تطهير الجنان : ابن حجر ص ١٢ وما بعدها .

(٢) للتوسع في هذه المجامع التى بلغ عددها واحد وعشرين مجمعا اقرأ
Howell-Smith : A History of Roman Catholic Doctrine and Practice PP. 551—553.

في ظل دستور من الثروة القرآنية والسنة المحمدية فأن أولئــك الذين خلفوه وتعلموا في مدرسته أن ينطلقوا بالدولة الاسلامية الى آفاقها بعد ان فتح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الباب على مصراعيه بالرســالات التى وجهها الى أقطاب العالم آنذاك والحملة التى جهزها قبل وفاته لغزو اطراف الشــام بقيادة أســامة بن زيد بن حارثــة وتبناها أبو بكر بعــد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولعل أول ما خاضه المسلمون لبناء هذه الدولة ــ التى لم تكن لتغيب الشمس عن اراضيها والتى خاطب هارون الرشيد في ظلها احدى السحب قائلا « اذهبى وسيأتينى خراجك أينما توجهت » ــ الاحد عشر جيشــا التى وجهها أبو بكر لقتال المرتدين في وقت واحد (٣) ، وما كاد ينتهى منها حتى انفذ خالد بن الوليد الى الحيرة كبدايــة للفتح الاسلامى في العراق وفارس وما والاها كما ارسل أبا عبيدة بن الجراح على رأس اربعــــة جيوش الى الشام وفلســطين يقودها يزيد بن معاوية وعمر بن العــاص وشرحبيل بن حسنة ، ولم يمض وقت قصير حتى تقوضت أملاك اكبر دولتين وقتذاك الفرس والروم ، واتجهت الجيوش العربية الى مصر ومن هنــاك تطلعت أنظار المسلمين الى شمالى أفريقية ، وخاض العرب عشر حمــلات في ستين عاما اوصلتهم الى شــواطىء المحيط الاطلسي ثم امتــدت تطلعاتهم عبر المضيق فاقتحموا شبه جزيرة ايبيريا وحكموا اســـبانيا واقاموا حضارتهم العريضة في الاندلس ، ثم عبروا جبال البرانس يريدون احتلال بلاد غالة (فرنسا الحالية) وما وراءها . وفي نفس الوقت كانت جيوش الدولة الاسلامية وأساطيلها تدق بمطارقها بيزنطة عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وكان من الممكن أن يتحول البحر الابيض المتوسط الى بحيرة اسلامية كما كان الحال في عهد الرومان ، ولكن غياب ســــياسة اسلامية واحدة اوقف هذا التقدم الى حد ما ، وان كان ذلك لم يمنــــع المسلمين من احتلال كل جزر البحر المتوسط بما فيــها قبرص ورودس وصقليـــة .

أما التوسع الاسلامى نحو المشرق فقد بلغ أوجه في عهــد الدولة الاموية وازداد اتساعا في عصور الدولة العباسية ، وكان أقصي ما وصل اليه الاتساع شرقا في عهد الدولة الاموية في خلافة عبد الملك بن مروان والوليد

---

(٣) ابن جرير الطبرى : تاريخ الامم والملوك حـ ٣ ص ٢٢٧ .

ابن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، وحين تذكر عملية الاتساع الاسلامى شرقا فلابد ان يقترن ذلك بأسماء قيادات اسلامية لا تقل عن تلك التى أسهمت في عملية الاتساع الغربى مثل « عقبة بن نافع » و « موسي بن نصــير » « وطارق بن زياد » و « عبد الرحمن الغافقى » ، فعلى الجانب الشرقى للدولة كان هناك « المهلب بن أبى صفرة » « وقتيبة بن مســلم الباهلى » الذى أوغل في بلاد ما وراء النهر حتى وصل الى دلتا « نهــر جيحون » والممالك الواقعة قرب « نهر سيحون » المتاخمةلبلادالترك(٤) ، وكذلك « محمد بن ابى القاسم » الذى فتح بلاد الهند وتوغل في شــبه القارة الهندية (٥) .

أما في عهد الدولة العباسية فقد تمكن محمود الغــزنوى بين عامى ٣٩٢ ، ٤١٥ هـ من القيــام بحركة جهاد دينى في أعماق بلاد الهــند مستهدفا نشر الاسلام هناك حتى انه نذر على نفسه غزو الهند في كـل عام (٦) وفي ذلك يقول المستشرق « ولسلى هيج » (٧) « ليس من شــك في أن انتصارات الغزنوى في الهند جعلت بعض المؤرخين يعتبرونه سلطانا هنديا خالصــا ، فقد فتح في خريف حياته اقلــيم البنجاب ، ونشر الاسلام في ربوع الهند ، وفتح طريقا سلكه بعده الكثــيرون من خلفائه ، وكون المسلمون بفضل ذلك أسرا هندية خالصة » ويقول ستاتلىلينبول(٨) S. Lane Poole « يمكن اعتــبار حمــلات الغزنويين في بــلاد الهند واتخاذهم « لاهور » مقرا لهم البداية الحقيقة للحكم والوجــود الاسلامى في هذه البلاد ، فقد مهدت الدولة الغزنوية في لاهور الطريق امام « محمد بن سام الغورى » (٩) وخلفائه الذين تولوا سلطنة دلهى ونشروا نفوذ المسلمين في أرجاء بلاد الهند الشمالية كافة » .

ويذكر ابن خلكان (١٠) أن محمود الغزنوى وصــل في فتوحاته في

---

(٤) تاريخ الطبرى : الجزء السادس احداث سنوات ٩٣ ـ ٩٦ هـ .
(٥) فتوح البلدان : حـ ٥ ص ٦١٢ ـ ٦١٤ .
(٦) ابن خلكان : حـ ٢ ص ٨٥ .
(٧) Haig, W. : Encyclopaedia of Islam, Vol. II. P. 134.
(٨) S. Lane Poole : The Mohamadan Dynasties, P. 284.
(٩) حكمت الدولة الغزنوية بلاد افغانستان وهندستان من ســنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) الى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) .
(١٠) وفيات الاعيان حـ ٢ ص ٨٥ .

الهنـــد الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ، وبنى بها المساجد والجوامع مكان بيوت الاوثان والاصنام (١١) .

أما عن حركة الدعوة العقيدية فيحدثنا عنها باسهاب كتاب «الدعوةالى وجنوبا وشـمالا قاصرا على حركة الجيوش الاسلامية وحدها ، وانمـا اقترنت بذلك حركتان على جانب من الاهمية هما حركة الدعوة العقيدية وحركة التجارة الدولية في العصور الوســطى .

أما عن الدعوة العقيدية فيحدثنا عنها باسهاب كتاب « الدعوة الى الاسلام » الذى الفه السير توماس ارنولد Sir Th. W. Arnold (١٢) والذى تناول فيه كيف انتشرت الدعوة الاسلامية بين الشعوب المسيحية في آسيا الغربية ومسيحيى افريقية واوربا المسيـحية وفي مقدمتهـــا اسبانيا وفي فارس وأواسط آسيا والهند والصين وأرخبيل الملايــو ، واكثر من ذلك يوضح لنا هذا المؤلف القيم كيف استطاع الاسلام أن ينتشر بين غزاته من المغول والتتار الذين قوضوا الدولة العباسية وقضوا عليها في ٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م .

أما عن حركة التجارة الدولية فيكفى أن نذكر أن المسلمين كانـــوا يسيطرون في العصور الوسطى على معظم الطرق التجارية الدولية ، وكانت العواصم والمدن الاسلامية في شتى انحاء العالم تمثل عصب الحركـــة التجارية الدولية ، تلك الطرق التى جابها الرحالة والجغرافيون المسلمون ووصفوها لنا في مؤلفاتهم القيمة ، وفي مقدمة هؤلاء « محمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطه » في كتابه « تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجايب الاسفار » ، « ومحمد بن احمد الشهير بابن جبير » في رحلتــه « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار » ، « وابو القاسم بن حوقل » في مؤلفـــه « المسالك والممالك » « وابو القاسم عبيد الله (ابن خرداذبة) في كتــابه « المسالك والممالك » « والمسعودى » في « مروج الذهب ومعادن الجوهر» « والمقدسي » في « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » (١٣) .

---

(١١) للتوسع في هذا الموضوع يمكن الرجوع الى كتاب العتبى : تاريخ اليمينى وشرحه « الفتح الوهبى على تاريخ ابى نصر العتبى » .

(١٢) ترجمه الى العربية د. حسن أبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوى ويعتبر هذا الكتاب أفضل ما كتب الى الان في الدعوة الى الاســلام .

(١٣) اقرا زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى

ان مجرد الاطلاع على هذه المؤلفات يوضح لنا الى اى حد كـــان المسلمون يمثلون في هذه العصور اكبر قوة سياسية وحضارية واقتصادية عرفها التاريخ لدرجة انهم كانوا يتحكمون في هذه الطرق التجارية الدولية البرية والبحرية الرئيســـية وهى : ـ

الطريق التجارى من الصين والهند عبر الخليج العربى الى البصرة حيث تتوغل فروعه في قلب العالم الاسلامى الى بغداد وديار بكر ودمشق والموانى الاسلامية على البحر الابيض المتوسط واهم مراكزه التجـارية الاسلامية « هرمز » و « سيراف » و « قيس » و « البصرة » و « الابلة » و « بغداد » و « دمشق » و« حلب » (١٤) .

الطريق التجارى الدولى الثانى الذى كان يمر عبر البحر الاحمر مارا بموانى « عدن » و « جـــدة » و « ينبع » و « عيـــذاب » و « القلزم » و « الطور » و «بولاق » و « الاسكندرية » و « دمياط » و « رشيد » (١٥).

أما الطريق الثالث الذى كان يمر بقلب العالم الاسلامى في اواســـط آسيا مارا « ببخارى » و « سمرقند » و « بغداد » و « دمشق » و «حلب» وبقية الموانى الاسلامية على البحر المتوسط فقد كان المسلمون يسيطرون عليه سيطرة سياسية واقتصادية وأمنية شـــاملة .

كل ذلك يوضح لنا الى اى حد كان المسلمون يشكلون اكبر قـوة مادية وسياسية وحضارية وروحية في العالم .

وهنا يجب علينا ان نتوقف لنحاول تحليل العوامل الكامنة وراء هـذا الكيان الواسع الذى لم ير له التاريخ مثيلا في مختلف عصوره ونحن لا ننكر قيام بعض الدول والامبراطوريات في العصور القديمة والوسيطة والحديثـة الا أنها لم تكن تملك كل نواحى هذا الشـــمول العقيدى والفـكرى والمادى والتوسعى الذى كاد يغطى معظم أرجاء العالم المعروف وقتذاك ، وليس من شك في أن هذه الظاهرة التاريخية الفريدة استرعت انظار كثير من العلماء المسلمين والمستشرقين الذين تناولوا ذلك الموضوع بالدراسة والتحليل .

---

(١٤) Wilson, A. : The Persian Gulf, P. 102.

(١٥) Day Clive : A History of Commerce, P. 55.

الفصـــل الاول

عوامل نجاح حركة التوسع العقيدى والحضارى والسياسى

اولا : عدم التناقض بين العقيدة والفكر .

ثانيا : الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة .

ثالثا : النظرة الشمولية للحياة في الاسلام .

رابعا : الافادة من الحضارات السابقة وامتصاصها .

خامسا : الاخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة .

سادسا : الدور الذاتى في الدعوة الى الاسلام .

سابعا : غلبة الايمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية .

ثامنا : وحدة مصادر التشريع وارساء قواعد ونظم الحكم الاســـلامى بعد الهجـــرة .

« أولا » عدم التناقض بين العقيدة والفكر :

أهم ما يميز الاسلام انه لا يقيم اية حواجز بين العقيدة والفكر الاسلامى، والقرآن الكريم ملىء بالآيات التى تتناول المعرفة في مختلف فروعها وتوجه الانسان المسلم الى التعميق في اغوارها والبحث في ادق تفاصيلها ولو اردنا أن نتعرض لهذه الآيات تفصيلا لما اتسع هذا الكتاب لذلك ولكننا نجتزىء من هذه الآيات اقل القليل لننتقل من الحديث الوصفى الى الادلة الموثقة .

يذكر القرطبى (١) نقلا عن ابن الطيب ان أول ما نزل من القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذى خلق » الى قوله تعالى « الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » . ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة النحل (٢) « ضرب الله مثلا رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل » . وفي قوله تعالى « أفمن يعلم كمن لا يعلم » ، و « وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات والا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات » (٣) .

اذا قارنا هذا بما حدث بعد ذلك بأكثر من خمسة قرون حين وقفت الكنيسة الغربية في روما موقف العداء من مناهج المدارس الفلسفية واحراق مؤلفاتها واصدار قرارات الحرمان ضد مؤلفيها ومنع جامعات العصور الوسطى من تدريسها ، ادركنا الى اى حد لم يكن هناك تناقض في المناهج العلمية بين العقيدة الاسلامية وبين الاخذ بكثير من العلوم العقلية حتى منها التى عربها علماء المسلمين عن اليونان والرومان وغيرهم .

ولم يكد يأت القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى كانت الحضارة الاسلامية قد وصلت أوج عظمتها وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى اعتنقت الدين الاسلامى في المشرق والمغرب الاسلاميين .

لقد اتاحت هذه السمة الواضحة للعقيدة الاسلامية أن يعتنق العديد من ملايين البشر الديانة الاسلامية ، بل ان نطاق معتنقى هذه العقيدة تخطى الحدود السياسية للدولة الاسلامية داخل الصحراء

(١) الجامع لاحكام القرآن حـ ١ ص ٥٩ .
(٢) آية رقم ٧٦ .
(٣) سورة فاطر آية ١٩ — ٢٢ .

الافريقية وعلى سواحلها الغربية والشرقية والجنوبية وفي اعماق القـــارة الهندية والسواحل الجنوبية والشرقية لآسيا وهى كلها من المناطق التى لم تطأها قدم جندى اسلامى واحد ولم تضمها ارجاء الدولة الاسلامية الشـــاسعة (٤) .

« ثانيا » الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة :

كان اعتراف الاسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليـه واعتبارها من التنزيلات الالهية ، واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من اصحاب هذه الديانات في الاســلام ، وتوجيههم الى اعتناقه والاخذ بمبادئه ، فلم يحاول الاسلام أن ينســـخ ما سبقه من اديان او يقلل من شأنها او من شأن معتنقيها وانما على العكس من ذلك صور القرآن الكريم هذه الرسالات السماوية في احسن صورة ، ولذلك رأينا الاعداد الغفيرة من الشعوب التى دخلها الاسلام تعتنقه عن رغبة وطواعية خاصة وأن المسلمين لم يحاولوا فرض العقيدة بالسـيف أو بالاكراه كما فعل من سبقهم وكما فعل من جاء بعدهم ، وانما كانـوا يتركون امر اعتناق الاسلام للرغبة الصادقة عن اقتناع وتفكير ، وكـــان الخراج والجزية على أهل الذمة يقابله العشر والزكاة عند المسلمين بـل كان يضاف على المسلمين ضريبة الدم والذود عن أمن الدولة وحدودهـا وثغورهـــا .

ولقد ساعد على تفهم هذه الشعوب لمبادىء العقيدة انتشار اللغـة العربية بانتشار الفتوحات الاسلامية وتعلم هذه الشـــعوب لها وقراءة القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكتب الفقه والشريعة .

وعلى الرغم من اختلاف الفقهاء وظهور المذاهب الاسلامية بظهـور الاجتهاد الا أن ذلك لم يصل في يوم من الايام الى حد الخلاف على المبادىء الاساسية للعقيدة وهو امر افتقدته كثير من العقائد الاخرى مما ترتب عليه اختلافات جذرية كان لها أسوأ العواقب .

ومن هنا كان اقبال الافراد والشعوب على اعتناق الاسلام واتساع

---

(٤) للتوسع في هذا الموضوع يمكن الرجوع الى كتاب « الدعوة الى الاسلام » للسير توماس آرنولد ترجمة حسن ابراهيم وعابدين .

رقعته وآفاقه ظاهرة تاريخية دعت الكثـــــيرين من المستشرقين الى محاولات الاجتهاد في تفســـيرها .

« ثالثا » النظرة الشمولية للحياة في الاسلام :

ان نظرة الاسلام الى الحياة الانسانية ـ مستمدة من الكتـــاب والسنة ـ تستبعد تماما نظرية الرهبانية في الاسلام وتجعل من العقيدة الاسلامية مظلة لكل ما يهم الحياة الانسانية من أمـــور الدين والدنيا ، ومن هنا تناول القرآن الكريم كل ما يمس جوانب الحياة والعلاقات بين الافراد في الاسرة والمجتمع والاهتمام بالجوانب الخلقية والســـلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المســلمة مع التركيز على تقنين وتنظير كل هذه المعاملات في اطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهـــج العلمى الصحيح . واذا كان العرب قد ادركوا لاول وهلة دور هذا الدين الجديد في معالجة كل جوانب حياتهم الخاصة والعامة فان الشـــعوب التى انضوت تحت لواء الاسلام لم تلبث ان ادركت نفس الادراك ووجدت في العقيدة الاسلامية اجابة عن كل أمورهم الدنيوية والاخروية وتطويعا لكل مشـــاكل الحياة بما فيها الاحوال الشخصية والعلاقات الاجتماعية والمنطلقات الفـــكرية .

ومن هنا لم تجد هذه الشعوب في الاسلام سوى سلطة واحـدة تشرف على الشـئون الدينية والزمنية معا ، ولم يكن للدين الاسلامى رجال يحتكرون علوم العقيدة والشريعة والفقه ، وانما كان هناك علمـاء يتفقهون في علوم الدين دون ما تدخل بين الخالق والمخلوق .

« رابعا » الافادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

تفريعا على ما سبق أن ذكرناه من عدم التناقض بين الفـــكرة والعقيدة راينا الاسلام لا يرفض ما سبقه من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية بل على العكس من ذلك استفادت الدولة الاســلامية من كل النظم والحضارات السابقة واضطر علماء المسلمين في ســبيل ذلك الى اجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقــل تراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات الى اللغة العربية ، ولم يكتف المسلمون بمجرد ترجمة ونقل هذا التراث وانما أضاف وحذف وابتـكر كثيرا من الحقائـــق والمعلومات ويذكـــر المستشرق هاكنز Hakins

في كتابه عن دراسات في تاريخ العلوم في العصور الوسطى (٥) . ان عـددا كبيرا من المؤلفات اليونانية واللاتينية فقدت اصـولها ولم تعرفها جامعات اوربا في العصور الوسطى الا من خلال التراجم العربية التم تم معظمهـا في العصر العباسي الاول .

وليس من شك في أن تقدير الحضارة الاسلامية لما سـبقها من حضارات والدور الكبير الذى قامت به في التأثير على الحضارات الاوروبية الوسيطة والحديثة اكسب العقيدة الاسلامية تقديرا وحبا وانتشارا .

« خامسا » الاخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة :

اهتم الاسلام بابراز الشخصية الانسانية وتميزها على كل ما خلقه سبحانه وتعالى من كائنات اخرى ، مصداقا لقوله تعالى في سورة الاسراء « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٦) .

ويرى كثير من علماء الفقه الاسلامى أن الوحدانية وهى اول أركان الاسلام الخمسة قصدت الى جانب اعلاء ذات الله سبحانه وتعالى وافراده بالصمدية ووحدة الالوهية الاعلاء ايضا من شـأن قدر الانسان وتنزيهه عن السجود لغير ذاته العلية لان في ذلك اهدار لكرامته وكيف يسـتطيع مفقود العزة والكرامة أن يسعى لتأصيل اى معنى من المعانى الحضارية في نفسـه .

وكان اصرار الرسول صلى الله عليه وسلم في فجر الدعوة من الدور المكى على تحرير المسلم من عبودية الجاهلية بمختلف صورها أول دروس الانسانية في ادراك مفهوم العدالة والحرية والمساواة ، ذلك الشعار الذى بدا المفكرون المعاصرون في نشره منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، بينما كان خليفة المسلمين الاول قد اقره في اول مادة من مواد الحـكم الاسلامى في خطابه الهام عشـية اختياره لخلافة الرسول صلى الله عليه وسـلم .

وكانت كل محاولة لنقض هذا المبـدا بين الشـعوب التى اعتنقت

(٥) Studies in the History of Med. Scinece, P. 30.

(٦) آية رقم ٧٠ سورة الاسراء .

الاسلام تثير نقاشا وحوارا يرجع فيه الجميع الى المصادر الاصولية في الاســـلام من قرآن وحديث وسنة .

ويرجع كثير من المستشرقين المنصفين دوافع انتشار الاسلام بهذه السرعة المذهلة الى هذا المبدأ الاساسي من مبادىء الدولة في الاسلام .

« سادسا » الدور الذاتي في الدعوة الى الاسلام :

لم تعتمد العقيدة الاسلامية في انتشـــارها في أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وارساليات تبشيرية وميزانيات معتمدة تســـتهدف اغراء الناس باعتناق الاسلام ، ولكنها اعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة في قلوب اصحابها نخص من هؤلاء علماء الاسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون ، كما اعتمدت ايضا على اهتمام التجمعات الاسلامية بانشـــاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الابنية الدينية والتعليمية التى كانت تقوم اساسا على الجهــود الذاتية والتبرعات المادية والعينية .

ولعل مما يثير التساؤل عند كثير من المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الاسلامية في بلاد لم تطأها قدم جندى اسلامى واحد في شرق وغرب وجنوب أفريقية وجنوب شرقى آسيا حتى ان هؤلاء المسلمين خاضوا وما زالـوا يخوضون لعدة قرون حروبا ضد المستعمرين والاغلبيـات المسيحية على الرغم من عدم التكافؤ في المال والســلاح .

ويصف المستشرق بيكر Beker (٧) هذه الظاهرة في أفريقية أنها ترجع الى ان عملية التبشير المسيحية المنظمة الممولة من المؤسسات الكنسية كانت ترتبط في اذهان الافارقة بالعملية الاســتعمارية مما كان يؤدى الى نفور الكثيرين منها ، بالاضافة الى عملية « التعميد » التى لـم يكن يتقبلها الافارقة بســهولة اذا قورنت بسهولة وســماحة ويسر اعتناقهم للاسلام حيث لم تكن تحتاج الى أكثر من النطق بالشــهادتين واداء الاركان الاسلامية الاساسية .

فالدويلات الاسلامية في المغرب العربى لعبت دورها الكبير في نشر الاسلام في أفريقية وتعمقه في الصحراء الغربية الموحشة بل ان دولـــة

---

(٧) Islam in Deutch-Ostafrica, P. 10.

الاغالبة في تونس لعبت دورا واضحا في نشر الاســـلام في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا وكذلك فعلت الدولة الاموية في الاندلس .

أما في المشرق فيكفى الحديث عن الدور الكبير الذى قامت به الدولة الغزنوية في الهند وكيف تسرب الاسلام من شبه القارة الهندية الى جزر جنوب وجنوب شرق آســـيا .

« سابعا » غلبة الايمان بالعقيدة على الحركات الانفصالية :

ليس من شك في أن الحركات الانفصالية عن جسم الدولة الاسلامية في العصر العباسى الثانى كان لها اثرها على قوة الدولة السياسية خاصة بعد ان سيطرت العناصر الدخيلة على عاصمة الخلافة تركية أو بويهية أو سلجوقية ولكن هذا التأثير لم يمتد الى الجوانب العقيدية والفكرية ، حتى ان القيادات الادارية والتنظيمية للدويلات الاســـلامية الشرقيـة والغربية كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الاسلامية حيث انها كانت تعتبر هذا الايمان جسر بقائها واستمرارها في قواعدها وكانت وسـيلتها الى تمكين هذا التعبير تكمن في الجوانب التاليـــة : ـ

١ ــ كثرة اهتمامها ببناء المؤسسات الدينية وفي مقدمتها الجوامـع والمساجد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وتدريس الفقـــه والحديث والشريعة واللغة العربية ونجد ذلك واضحا في الدويلات الاسلامية المستقلة كالطولونية والاخشيدية والايوبية والمملوكية ، فقد كثر تشييد السـبل والتكايا ومدارس تحفيظ القرآن اضافة الى الجوامع والمســـاجد ، وما حدث في القسم الغربى من الدولة الاسلامية حدث في قسمها الشرقى .

٢ ــ الاهتمام باجتذاب الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الدين ، الذين ساعد اجتهادهم ومؤلفاتهم ومناظراتهم على تعميق وتأصيل العقيدة الدينية عند الناس لدرجة ان سمعة هؤلاء العلماء كانت تجذب اليهـــم التلاميذ والمريدين من مختلف انحاء العالم الاســـلامى وانتشرت المذاهب الفقهية خارج نطاق حدودها كما حدث بالنسبة للفقة المالكى الذى انتشر في شمالى افريقية والمغرب والاندلس وفقه الاحناف الذى انتشر في شرق العالـــم الاســـلامى .

٣ـ الاهتمام بنشر الديانة الاسلامية سواء كان ذلك بعمليات التوسع

التى سبق ان تحدثنا عنها في الهند وشرقى آسيا أو عن طريق الفقهاء والعلماء والتجار الذين نشروا العقيدة في المجاهل الافريقية والجزر المتناثرة فيجنوب شرقى آسيا .

وهكذا لم تكن للحركات الانفصالية تأثيرات عكسية على نشر العقيدة الاسلامية وشيوعها بل كانت على العكس من ذلك عاملا من عوامل انتشارها وذيوعها .

ثامنا :وحدة مصادر التشريع وارساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة :

لدراسةهذا العامل لابد من الاشارة الى النقاط التالية :

(أ) وحدة مصادر التشريع في الاسلام .
(ب) الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية المسلمة .
(حـ) وضع الاصول التكوينية للمجتمع الاسلامى .
(ء) ارساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة .

وفيما يلى تفصيل لهذه النقاط :

أ ـ وحدة مصادر التشريع في الاسلام :

لقد انزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا على ثلاث وعشرين سنة منذ البعثة حتى الوفاة ، في مائة واربع عشر سورة تضم مائتين واربعين ربعا في ثلاثين جزءا ، وتحوى بضعا وستة آلاف آية كريمة (٨) نزل بمكة منها سبع وثمانون سورة . ونزل بالمدينة سبع وعشرون سورة بعدد غزواته صلى الله عليه وسلم (٩) . قام رسول الله باملائها على كتاب الوحى ووزعها وبوبها ورتبها قبل وفاته كما أوحى اليه على لسان جبريل عليه السلام وهى نقطة هامة يجب التركيز عليها حيث أن بعض غلاة المستشرقين حاول ان يضفى نوعا من الشكوكحول هذه الحقيقة التاريخية اسوة بما حدث لبعض الكتب السماية السابقة مستغلين اختلاف بعض السلف ممن آثر قبل تدوين «المصحف الامام» (١٠)

(٨) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٥ .
(٩) بلغ عدد سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم سبع واربعون انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ، حـ ٢ ص ٦٢٥
(١٠) مصحف عثمان .

ان يقدم المكى على المدنى وقد نبه الى ذلك الشيخ ابو بكر الانبارى في كتاب « الرد » بقوله « ان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرق على النبى صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في امر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر يسأل ، ويوقف جبريل الرسول على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، كله من محمد خاتم النبين عن رب العالمين فمن اخر سورة مقدمة او قدم سورة مؤخرة فهو كمن افسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ضعوا هذه السورة وضع كذا وكذا من القرآن الكريم » (١١) .

ولعل حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في الا يحدث للقرآن بعض ما حدث للكتب السماوية الأخرى من ضياع وتغيير واختلاف امره لصحابته وكتاب الوحى الا ينشغلوا بتدوين غير القرآن حتى ما كان من احاديثه صلى الله عليه وسلم مصداقا لقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١٢) .

من اجل ذلك كان القرآن الكريم وما يزال المصدر الرئيسي الذى لا يختلف عليه اثنان وحتى في بعض الاوقات التى انفرط فيها عقد الوحدة السياسية الاسلامية وتعددت الفرق والملل والنحل والاحزاب والدويلات ظل القرآن الكريم المصدر الرئيسي الذى لا يتغير والدستور الملهم الموحد اينما وجد المسلم في ظل دولة اسلامية او غير اسلامية . وكان المختلفون سياسيا وحزبيا وانتمائيا يحاولون قدر الامكان دعم وجهات نظرهم بالقرآن فلا أصحاب الفكر الملتزم من طلاب المنهج المدرسي ، ولا اصحاب الفكر العقلانى من طلاب المنهج الفلسفى يختلفون حول المصدر الرئيسي الذى يحاول كل فريق منهم ان يتخذ منه سندا لشرعية تفسيره للامور اضافة الى السنة الكريمة والاحاديث الصحيحة .

هذا المصدر الموحد للتشريع في الدولة الاسلامية منهجا ونظاما ومرجعا كان اعظم العوامل في ظاهرة القوة والتوسع والانتشار التى صاحبتها لم يتأثر بالضعف السياسي الذى انتابها في بعض مراحل وجودها وانما كان في

---

(١١) القرطبى : الجامع لاحكام القرآن حـ ١ ص ٦٠
(١٢) سورة الحجر : آية رقم ٩

كثير من الاحيان يشكل عامل التوازن بين الصـــعود والافول في المجـــالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ويفسر المعـادلات الصعبة التى كانت تنشأ في ازمنة اخرى ، بل انه كان الزاد الذى تنهل منه الاقليات الاسلامية اينما وجدت ، مما ادى الى حقيقة تاريخية وحيدة وفريدة ومحيرة هى قدرة المسلمين على الصمود اينما وجدوا واينما كانوا .

ولقد شرع القتال والجهاد على المسلمين في القرآن الكريم في مواضع متعددة دفعتهم الى توسيع رقعة الدولة الاسلامية عاما بعد عام ، في حالة الدفاع عن النفس كما جاء في قـوله تعـالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » . ومن اجل استرداد الحق عملا بقوله « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنـا الله » . ولنصرة المظـلوم حيث قال جل شأنه : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » . كمـا شرع القتال والجهاد لـواد الفتنة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ويكون الدين لله » . والقتال والجهاد في سبيل الله للاعلام بالاسلام والاستشهاد في سبيل الدعوة كان علم الجيوش الاسلامية اينما اتجهت كما جاء في الآية الكريمة « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

ب ـ الوحدانية والتكوين الحضارى للشخصية الاسلامية :

الوحـدانية ركن أساسي من اركان الاســـلام ، وهى الى جانب ما تستهدف من عظمة وانفراد الله سبحانه وتعالى بربوبيته والوهيته وصفاته التى لا يدرك كنهها الا هو تستهدف ايضا اعلاء قدر الانسان وتفضيله على غيره من مخلوقات الله فالسجود للأوثان والاصنام وغيرها من المخلوقات الالهية والمصنوعات الانسانية اهدار لكرامته وانقاص لآدميته ووصل الامر الى ان بعض الفقهاء يرون في الرياء والنفاق لونا من الوان الشرك بالله لان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان وميزه على غيره من الكائنات ومن هذه النقطة الهامة في الفهم الاسلامى تبرز حقيقة وجود الشخصية الحضارية الاسلامية الرافضة لكل معنى من معانى الرق والاستعباد واسـتعذاب كل اذى قد يصادفه في سبيل تحقيق هذا المصير . وهكذا جاء رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليضع المسلمين على اول طريق الحرية والمساواة واحترام آدمية

الانسان ومن هنا كانت وقفة السابقين من المعذبين في الاسلام ضد أسيادهم السابقين ، والتضحية بالنفس والنفيس في سـبيل الدعـوة للاسـلام والاستشهاد في ميادين القتال في غـير نكوص أو ادبار عمـلا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير » (١٣) .

وحين يصل المرء الى حقيقة التعرف على شخصيته في اطـار عقيـدة تحترم وجوده وكيانه واستقلاله وحريته يصعب على أية قوة مهما كان حجمها أن تقف في طريقه ، وهكذا كان اكتشاف المسلمين لحقيقة شخصيتهم في ظل الاسلام عاملا اساسيا في ظاهرة التوسع الاسلامى الشمولى عقيديا وسياسيا وعسكريا وحضاريا .

حـ ـ وضع الاصول التكوينية للمجتمع الاسلامى بوجه عام :

لعل اهم ما يلفت نظر الباحث في العقيدة الاسـلامية ان من بين المائـة واربع عشرة سورة التى يتضمنها القرآن الكريم سبع وثمانين سورة نزلت كلها في مكة اى في فجر الدعوة كلها تتجه الى ارساء وتكوين المجتمع الاسلامى في مختلف جوانبه ، لم تترك شاردة او واردة الا وتناولتها بالتوجيه والتوضيح الكامل فالجوانب الخلقية والسلوكية لها اياتها التى ركزت عليها ، والعلاقات الانسانية والمعاملات الخاصة والعامة لها مضامينها ، وقواعـد الاحـوال الشخصية وأركان العبادات فصلت تفصيلا ، والدعوة الى العـلم والمعـرفة الشاملة في مختلف جوانب الحياة قضت على كل ما يؤدى الى تناقض بين العقيدة والعلم ، كل ذلك في آيات محكمات رائعات تكونت منها الصفوة القائدة في كل المجالات .

---

(١٣) سورة الانفال آية رقم ١٥ ، ١٦
اهتم المستشرقون بتفسير هذه الآيـة الكريمة لانهم وجدوا فيها اجابة لكثير من التساؤلات عن اسباب انتصار المسلمين في كثير من الغزوات على أعدائهم على الرغم من ضآلة عـددهم فى معظم الاحيان وقلة عـددهم وبداءة أسلحتهم خصوصا عندما تتفق الروايات الاجنبية مع الروايات العربية فى وصف هذه المواقع واهتم المستشرق الايطالى أمارى فى كتابه عن تاريخ المسلمين فى جزيرة صقلية بتحليل هذه الظاهرة وقال ان المسلمين كان يحرم عليهم الأدبار أو النكوص على أعقابهم متى بلغ عددهم « الزحف » أى اثنـا عشر الف ، ومن هنا كانت تكمن الاسرار العميقة وراء هـذا الصـمود في القتال الذى أثار دهشة المؤرخين .

ولعل ابرز ما يسعى اليه المصلحون اليوم – على الرغم مما بلغه الانسان من حضارة علمية وتقنية – هو البحث عن مضامين خلقية وسلوكية وعقيدية تحول بين هذا التطور الهائل وبين هاوية السقوط او الانفجار . لقد استطاع الاسلام ان يضع القواعد لكل هذه الاصول التكوينية في المجتمع الاسلامى فاندفع بكل الطاقات خارج الجزيرة العربية الى كل اطراف الارض .

انظر الى قوله تعالى لتنظير القيم الاخلاقية والسلوكية في المجتمع الاسلامى على سبيل المثال لا الحصر : «انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بأيات الله» . « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، «وجادلهم بالتى هى احسن » ، « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » ، « ادفع بالتى هى أحسن السيئة » وقوله في وصف المؤمنين « الذين هم في صلاتهم خاشعون » ، « الذين هم عن اللغو معرضون » ، « الذين هم للزكاة فاعلون» ، « الذين هم لفروجهم حافظون » وحين ينصح لقمان ابنه يقول : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير » ، وقوله تعالى « لا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم » .

وتناول القرآن الكريم العلاقات الاسرية والاجتماعية والانسانية بصورة لو تحققت لمجتمع كان خير المجتمعات تكوينا وانشاءا .

د – ارساء قواعد ونظم الحكم الاسلامى بعد الهجرة :

واجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة عددا من القضايا العامة منها ما يتصل بالوحدة التكافلية بين المهاجرين والانصار ، والوحدة الوطنية بين المسلمين واهل الذمة ، ومنها ما يتصل بالجهاد في سبيل الله ، ونظام الحكم في الدولة الجديدة ، مما جعل من السور المدنية في مجملها تفصيلا لما سبق اجماله في الدور المكى في هذه القضايا وغيرها ، وان مجرد النظر الى اول صحيفة وضعها الرسول لمجتمع المدينة والموضوعات التى تناولتها (١٤) يدرك الى اى حد أرسي رسول الله دعائم الدولة الاسلامية في قواعد وبنود ساعدته صلى الله عليه وسلم في اجتياز الصعوبات التى صادفته في الداخل والخارج ، فالى جانب التنظيم الدقيق

---

(١٤) ابن هشام : سيرة النبى ح ٢ ص ٩٤ – ٩٨

للحقوق والواجبات المفروضة على كل مواطنى المدينة ، والعهود والمواثيق التى ارتبط بها ، كانت هناك الغزوات والسرايا التى توج بها بنيان هـذه الدولة قبل وفاته مما اتاح لمن اتى بعده الانطلاق بها في مختلف الميادين .

كما ان نظرة الاسلام الى الحياة الانسـانية ــ مستمدا من القرآن والسنة ــ تستبعد تماما فكرة الرهبانية وتجعل من العقيدة الاسـلامية مظلة لكل ما يهم الحيـاة من امور الدين والدنيـا متخطيا بذلك كثيرا من الاخطاء التى وقعت فيها المسيحية فلم تكن هناك سلطة زمنية وسـلطة روحية ، ولم يكن هناك رجال دين ولم يكن هناك صدام بين الفكر المدرسي والفكر الفلسفى وانما اتجه الاسلام الى ادماج السلطتين واصبح خليفـة المسـلمين يمثل الجانبين الزمنى والشرعى واشترط فيه العلم والعـدالة والكفاية وسلامة الحواس ، وكان من اهم واجباته الحفاظ على أمن الدولة الاسلامية في الداخل وحماية حدودها في الخارج ، كما اعترف الاسـلام بعلماء الدين وليس برجال الدين والفرق بينهما واضح ، ووقف المنهج العقلى عند علماء الكلام وفلاسفة المسلمين يسـتمد قوته من الاعتماد على اركان الشريعة الاسلامية ، وحتى عندما ظهرت الفرق والاحزاب والدعوات المختلفة كان كل منها يحاول ابراز انتمائه الى الاصـول والقواعد الاسلامية حتى لو اضطر الى الدعاوى والاختلاق ومن هنا كانت خصوبة الاسلام حتى في احرج فترات الانقسامات السياسية والحركات الانفصالية ، ولم يقتصر حمل رسالة الاسلام على جنوده وقواته وانما تعدى ذلك الى الدعاة والوعاظ والفقهاء والتجار وغيرهم .

الفصـــل الثـانى

عوامل التفكك السياسى فى الدولة الاسلامية

- **العوامل الداخلية :**

أولا : الخلافات الحزبية والمذهبية .

ثانيا : العصبيات القبلية .

ثالثا : الشــــعوبية .

رابعا : طموحات العناصر الدخيلة .

خامسا : ظهور العديد من الدويلات الاسلامية المستقلة .

سادسا : عدم الادراك الواعى لفلســفة العقيدة والفكر الاسلاميين .

- **العوامل الخارجية :**

أولا : العدوان المغولى والصليبى والاستعمارى .

ثانيا : حركة الاستشراق .

ثالثا : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاســلامية النامية .

تعرضت الدولة الاسلامية لبعض عوامل الضعف والتفكك والاضمحلال منها ما هو داخلى ذاتى : كالسبئية والعصبيات القبلية وحركات الخوارج والقرامطة والزنج والباطنية والشعوبية والزندقة والحركات الانفصالية واطماع العناصر الدخيلة ، ومنها ما هو خارجى مادى عدوانى كالغارات المغولية ، والحركات الصليبية والمد الاستعمارى والعدوان الصهيونى ، ومنها ما هو خارجى فكرى كالايدلوجيات المستوردة والاتجاهات الفكرية المنحرفة وافتراءات بعض المستشرقين .

العوامل الداخلية :

اولا : الخلافات الحزبية والمذهبية

كانت السبئية المنطلق المذهبى لبعض الحركات الشيعية المتطرفة ، وفي مقدمتها الكيسانية والرافضة والقرامطة وغيرها ، والسبئية نسبة الى « عبد الله بن سبأ » وهو يهودى من أصل يمنى ادعى الاسلام وبدأ يستغل المرارة التى كانت عند بعض العلويين الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب في الخلافة وينحرف بها الى منعطفات واتجاهات رفضها الامام رفضا قاطعا وكذلك انصاره ، ومن بين المبادىء التى اطلقها مبدأ الرجعة والوصاية والحلولية وانفراد على بالامامة ، وقد انضوى تحت لوائه كثير من السطحيين المتعصبين الذين لعبوا دورا كبيرا في اثارة الامصار الاسلامية على الخليفة الثالث عثمان بن عفان لدرجة ان بعض المؤرخين يؤكدون ان عبد الله بن سبأ لم يترك قطرا من الاقطار الاسلامية الا دخله مثيرا الرأى العام على « عثمان » ، وكان لبقا ذكيا لماحا استطاع في فترة ما ان يطوى صحابيا جليلا « كأبى ذر الغفارى » في الشام ويجمع الفقراء من حوله (١) . ثم انتقل الى البصرة الى ان طرده منها عاملها « عبد الله بن ابى عامر » فرحل الى الكوفة ، وعاد ثانية الى الشـــام ومنها الى مصر حيث اخذ ينشر دعاويه المنحرفة في لباس من الدين واخذ يروج لنظرية التفويض الالهى التى عرفها في اليمن من خلال السيطرة الفارسية ، واستطاع بأساليبه المعسولة ان يصل الى بعض اهدافه في صبغ مذهبه السبئية الذى كان يدعو له بصبغات يهودية ومجوسية وفارسية ، وكان انصاره في مقدمة المحاصرين « لعثمان بن عفان » بل ان واحدا ممن كانوا يؤون ابن سبأ في بيوتهم هو الذى رفع اول ضربة

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٤٣٩

على قارىء القرآن « عثمان بن عفان » . ومهما يكن من أمر فقد كان على بن ابى طالب برىء من هؤلاء الخارجين على سماحة الاسلام (٢) .

والحقيقة انه على الرغم من الجهود المضنية التى بذلها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة حياته لتحقيق الوحدة العقيدية للمسلمين ، وتغليب العقيدة الاسلامية على ما عداها من الصراعات الحزبية او المطامع الدنيوية ، فانه ما كاد ينتقل الى الرفيق الاعلى حتى بدأ خلاف بين الانصار والمهاجرين حسمه الصحابة فورا بولاية أبى بكر رضى الله عنه ، واستمرت هذه الوحدة في عهد عمر بن الخطاب الى ان تفجرت بعض مظاهر الخلاف في عهد الخليفة الثالث وانتهى الأمر باستشهاده ، ثم فتح الباب على مصراعيه بين الامام على والمعترضين على بيعته الى ان حسم الموقف لصالح معاوية بن ابى سفيان

ويجب هنا ان نستوضح حقيقة سبق أن ذكرناها ونحن نتحدث عن عدم التناقض بين التطورات السياسية وازدهار وتقدم الحضارة الاسلامية وهو ما نؤكده الآن وسوف نؤكده في كل مناسبة وهو ان اية خلافات سياسية او مذهبية او فكرية كانت تطرأ على ساحة الدولة الاسلامية لم يكن لها اى ارتباط مع وحدة العقيدة والتمسك بها بل وصل الامر الى حد استشهاد كل اصحاب مذهب بمصادر الشريعة الاسلامية من قرآن وحديث وسنة ، وعندما وصل الحوار الساخن بين الملتزمين من انصار المنهج المدرسي عند اهل السنة، وانصار المذهب الفلسفى من المعتزلة والكلاميين ، كان كل طرف يحاول ان يؤكد انتماء فلسفة تفكيره الى الاصول العقيدية الخالصة والمتفق عليها .

نقول ذلك لان بعض السطحيين يتصور في تسجيل المؤرخين لبعض الحقائق التاريخية في التاريخ الاسلامى خاصة ما يرتبط منها بالخلافات المذهبية او الفكرية او العصبية ما قد يؤدى الى التشكيك في قدرة الاسلام على التصدى لهذه الخلافات مع ان الدليل الحى الواضح امامنا انه رغم الاختلافات العديدة على مدى القرون الاربعة عشرة الماضية حول كثير من الموضوعات السياسية والمذهبية والفكرية مازال القرآن الكريم هو القرآن الكريم ، لم يتغير ولم يتبدل وصدق الله العظيم حين يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

وفي عهد الدولة الاموية ظهرت على مسرح الاحداث مذاهب فكرية

---

(٢) الطبرى حـ ٥ ص ٧٠ — ٧١ ، ١٣٥

وسياسية وكلامية ، وانطلق الخـوارج من قماقمهم يثيرون الفتن والقلائل في كل مكان (٣) ، وظهرت بعض الاحزاب السياسية وفي مقدمتها الكيسانية والزيدية ، وانشطرت بعض هذه الاحزاب من داخلها الى عشرات الفـرق كما حدث بالنسبة للخوارج ، واعلن كثير من الموالى سخطهم على الدولة الامـــوية .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها الدولة الاموية في توسيع رقعة الدولة الاسلامية الا ان هذه الثورات المضادة من الداخل ادت في النهاية الى زوالها سنة ١٣٢ هـ وقامت الدولة العباسية وشهدت قرنا كامـلا من اعظم فترات وجودها ، الا انها لم تلبث نتيجة تصدر العناصر الدخيلة لمقومات حياتها السياسية والعسكرية ان بدأ يدب الضعف الى كيانهـــا السياسي ، وتوارت اسماء الخلفاء وراء الاسماء الفارسية والتركيـــة والبويهية والسلجوقية ، حتى انتهى الامـر باغارات المغـول على الدولـة وانهاء وجودها السياسي في منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميـــلادى) .

ثانيا ـ العصبيات القبلية :

ان من يطلع على الصحيفة (او العهد) (٤) الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وســـلم بعد الهجرة ، والذى يعتبره المؤرخون اول دستور لاول دولة اسلامية ظهرت في الاسلام يجد أن هذا العهد قد أبرز اهتماما خاصا بالقضاء على العصبية القبلية وتنقية الانصار والمهاجرين من شرور أخطارها واحلال الوحدة العقيدية والايمانية مكانها ، الى درجة أنه وضع هذه الوحدة العقيدية قبل الروابط الاسرية نفسها ، فالمؤمنون المتقون على من بغى منهم أو ظلم او اثم او افســـد بينهم ولو كان أحدهـم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

---

(٣) ينظر بعض المستشرقين والمفكرين الى الخوارج نظرة تقدمية حين يعتقدون انهم يمثلون النظرية الجمهورية فى الحكم حين يجعلون من الخلافة حقا لكل مسلم حر ، لا ترتبط أيما ارتباط بالقرشية أو العروبة او الهاشمية

(٤) ابن هشام : السيرة حـ ٢ ص ٩٤ ـ ٩٨

غير انه حدث في عهد الخلافة الاموية ، وفي اواخر الفرع السفياني ، ان انضم المضريون الى الزبيريين في المطالبة بخلافة «عبد الله بن الزبير» ووقف اليمنيون الى جانب الامويين ، وعادت لاول مرة نيران العداوة العصبية التى اخمدها رسول الله ، في موقعة « مرج راهط » التى ظلت رايتها الخلافية ترفع في كل موقع من مواقع الدولة الاسلامية ، من اقصي الشرق الى اقصي الغرب ، كلما قام الخلاف بين اليمنيين والمضريين ، الى الدرجة التى اعتبرها بعض المؤرخين أشبه بالداء العضال الذى كان يضعف من قوة الدولة ، ويؤثر على وحدتها وكيانها ، لدرجة ان النداء الذى توارثه المضريون جيلا بعد جيل كلما قام الخلاف بينهم وبين اليمنيين او الكلبيين « يالثارات مرج راهط » ، حدث ذلك في المشرق العربى وفي المغرب العربى وفي الاندلس ، بل ان من المؤرخين من يرد كثيرا من الاحداث الاندلسية الى هذه العصبية القبلية التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثا ـ الشعوبية :

الشعوبية حركة عدائية للعرب والعروبة ، وكانت كما قال البعض سمة حق يراد بها باطل استنادا الى قوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ولكن هذه الحركة نبتت في اول الامر كظاهرة احتجاج ضد سياسة الدولة الاموية في فارس وما والاهامن البلاد التى انضوت تحت الاسلام واتهموها باتجاهات عنصرية تقتصر على اسناد الوظائف الهامة في الدولة كأمارة البلدان وجباية الخراج والشرطة والحسبة والقضاء وقيادة الجند الى العناصر العربية ، وقد اشتدت موجة الغضب الشعوبى حين اضطر بعض خلفاء الامويين بسبب الخوف من تناقص موارد بيت المال الى ابقاء الجزية عمن يعتنقون الاسلام من الموالى ، وأن تظل اراضيهم اراضي خراجية ولا تتحول الى اراضي عشرية كتلك التى يفلحها العرب ، ويرى البعض ان ذلك كان من بين الاسباب التى جعلت الكثيرين من الموالى يساندون كل الثورات السياسية والدينية والمذهبية التى قامت ضد الدولة الاموية فوقفوا الى جانب الكيسانيين والخوارج واخيرا ساندوا العباسيين في دعوتهم ضد الامويين حتى سقطت الدولة الاموية سنة ١٣٢ هـ (٥) ولقد

---

(٥) هناك اتجاهات حديثة للرد على هذه الآراء وتبرئة الامويين من ذلك يمكن الاطلاع عليها في كتابى دولة بنى امية للدكتور نبيه عاقل وطبيعة الدعوة العباسية للدكتور فاروق عمر .

كان من المفروض ان تخف وطأة الشعوبية بقيام الخلافة العباسية ـ اذا صح ما وجه الى الامويين ـ خاصة وان الكثيرين من الخراسانيين اشتركوا في المواقع التى ادالت الدولة الاموية حتى ان بعض المتطرفين يذكرون ان العباسيين استعانوا بالمطارق الفارسية لدق اعناق الامويين .

غير ان الاتجاهات الشعوبية في الخلافة العباسية ازدادت استشراءا ، وخاصة بعد المواقف التى اتخذها خلفاء العباسيين من القيادات الفارسية التى ساندتهم في معركتهم مع الامويين وفي مقدمة هؤلاء « ابى سلمة الخلال » وزير آل البيت ، وأبى «مسلم الخراساني» وقيادات «البرامكة» وغيرهم ورأينا الشعوبية تنتقل من مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم الى محاولة الحط من شأنهم والحديث عن جهالتهم وجلافتهم وسوء تدبيرهم ، وأخذت كتب الشعوبيين في مثالب العرب ونقائصهم تبرز الى الوجود ثم تطور الامر الى انتقال الشعوبية الى مرحلة الزندقة والتطاول على الديانة الاسلامية ، ونقد القرآن الكريم ، والعودة الى ايقاظ الديانات والمذاهب المجوسية القديمة ، وظهور الحركات العدائية للاسلام والمسلمين وفي مقدمتها حركات البابكية والحزمية والمقنعية والخراسانية الفاطمية التى تنتمى الى فاطمة بنت الخراسانى وغير ذلك من الحركات الهدامة في جسم الدولة ، مما دعا العرب وعلماء الفقة والكلام للرد على هذه السموم العاتية بالقول والحوار والمؤلفات، وانشأ المهدى العباسي ديوانا خاصا بهؤلاء الشعوبيين الزنادقة ، كانت مهمته محاولة اقناع هؤلاء بالعودة الى الرشد والرد على المفتريات واثارة الحوار حتى اذا لم يجد كل ذلك نفعا سيقوا الى صاحب الزندقة ليقتلوا كما حدث بالنسبة لابن المقفع وبشار بن برد (٦) .

رابعا ـ طموحات العناصر الداخلية :

الاسلام دين عالمى شامل يتسع لكل الناس والشعوب والامم والقبائل، مصداقا لقوله تعالى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» . ومن هذا المنطلق كان رفض الاسلام للتمييز العنصرى والتفرقة بين الناس على اساس من السلالة او اللون او الثروة ولذلك فان مجرد دخول وانضواء عناصر وشعوب وأمم في الاسلام وانخراطها في اطار الدولة الاسلامية لا يشكل تهديدا او خطورة على الدولة ، بل على العكس من

---

(٦) انظر الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع للقاسم بن ابراهيم .

ذلك يؤكد شمولية وعالمية الاسلام ، وهى طبيعة الامور في اطار العقيدة ، وكثيرا ما قام مسلمون من غير العرب بأدوار ريادية في الفكر والعلم والسياسة والحرب، بل ان معظم علماء العلوم العقلية والنقلية كانوا من بين هذه الشعوب الاسلامية. ولكن الخطورة تكمن حين تتحول بعض هذه العناصر « بعيدا عن سماحة الاسلام » تتحول الى ادوات لاضعاف نظام الدولة الاسلامى كما حدث في محاولات بعض المتطلعين من زعماء الخراسانيين في الدولة العباسية ثم تسلط الاتراك والبويهيين وغيرهم مما ادى الى اضعاف الخلفاء العباسيين، وانهاء الدولة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م .

لقد كانت اطماع قيادات هذه العناصر في العصر العباسي الثانى عاملا ليس فقط في اضعاف امر الخلفاء العباسيين وانما في المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الاسلامية .

خامسا ـ ظهور العديد من الدويلات الاسلامية المستقلة :

كان من نتيجة الحركات الشعوبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة ان تفككت عرى وحدة الدولة الاسلامية شرقا وغربا ، وبدات الصراعات المختلفة تقوم بين هذه الدول وبعضها وأن الدارس لتاريخ الدولة الاسلامية ابتداء من العصر العباسى الثانى يلمس الى حد كبير قيام هذه الدويلات وسقوطها وصراعاتها وخلافاتها مما كان له تأثير كبير على وحدة الدولة الاسلامية ابتداء من العصر العباسي الثانى ، ونحن لا ننكر ان بعض هذه الدويلات قد وصلت الى حد من الازدهار السياسي والفكرى ، بل ان كثيرا من عمليات التوسع الاسلامى شرقا وغربا قامت على اكتاف هذه الدول، ولكنها في النهاية لم تكن الا عاملا من عوامل الضعف والتفكك العام في محيط الدولة الاسلامية . وما يقال عن المشرق العربى يمكن ان يقال عن المغرب العربى ، والاندلس خاصة بعد سقوط الخلافة الاموية الاندلسية سنة ٤٢٢ هـ وقيام الدويلات المستقلة في ظل نظام اقطاعى اتاح في النهاية للقوى المسيحية المعادية انهاء الوجود الاسلامى في الاندلس .

سادسا ـ عدم الادراك الواعى لفلسفة العقيدة والفكر الاسلاميين :

سبق ان تناولنا بالحديث عدم وجود اى تناقض بين العقيدة والفكر في الاسلام ، وان الدين الاسلامى دين شمولى يجمع بين الدين والدنيا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل لدينك كأنك تموت غدا واعمل لدنياك

كأنك تعيش ابدا » . وليس ابلغ من هذا الحديث دليلا على انه لا رهبانية ولا كهنوتية ولا انعزالية في الاسلام ، ولكن بعضا ممن لم يكن عندهم تصور واضح لفلسفة العقيدة والفكر الاسلاميين تصور لفترة من الفترات ان الدين الاسلامى يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وانه يتعارض مع مظاهر التطور العلمى والفكرى الانسانى ، ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلا دورها القيادى في الذود عن كثير من الاراضي الاسلامية ضد الهجمات الصليبية الشرسة الآتية من جانب الاسبانيين والبرتغاليين عقب نجاحهم في ازالة الدولة الاسلامية في الاندلس ، والحيلولة دون الافكار الاجرامية ضد الاماكن المقدسة ، ولكن عدم الادراك الحقيقى لفلسفة وفكر الاسلام وقف حائلا دون عمليات التطور الفكرى والحضارى ، في وقت بدات فيه الحركات السياسية والانقلابات الصناعية تجتاح اوربا مما ادى الى اصابة العالم الاسلامى بظاهرة التخلف الحضارى وقد أتاح ذلك للاستعمار الاجنبى استغلال هذا الركود والجمود لبسط ظلاله على كثير من البلاد الاسلامية الواقعة في اطار الدولة العثمانية .

العوامل الخارجية

أولا : العدوان المغولى والصليبى والاستعمارى :

مهدت كل هذه العوامل الداخلية او بعضها ان تتعرض الدولة الاسلامية لموجات متوالية من العدوان الخارجى باشكاله المادية العسكرية والاقتصادية واشكاله الفكرية بأبعادها المختلفة .

ومن القوانين الاجتماعية والتاريخية المعروفة ان العدوان على اية امة من الامم يبدأ اولا من الداخل بل ان من النظريات الحديثة في تاريخنا المعاصر ان الغزو كله يبدأ وينتهى من الداخل وفي الداخل .

وهكذا تعرضت الدولة الاسلامية للعدوان الخارجى عليها اعتبارا من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وتمكن المغول من تقويض الدولة العباسية بعد ان استمرت فى الحكم قرابة خمسة قرون ونصف ، ثم حاولوا اجتياح بقية العالم الاسلامى لولا وقوف مصر الاسلامية ضد هذا الغزو وانهاء هذا الزحف المدمر للحضارة الاسلامية عند عين جالوت في النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى .

في اثناء ذلك كانت الصليبية المسيحية تستعد لعدوانها على العــالم الاسلامى الذى كان يقترب رويدا رويدا من رئتيها المسيحيتين في رومــــا وبيزنطة ، وظهرت في اوربا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الاسلامى ، وقد بدات هذه الموجة اول ضرباتها في المغرب الاسلامى والاندلس في محاولات للقضاء على الوجود الاسلامى في اسبانيا ، وفي نفس الوقت كانت الحملات الصليبية تتابع واحدة بعد الاخرى ، الى ان تمكنت الوحدة المصرية السورية بقيادة صلاح الدين الايوبى من وقف هذا المد الصليبى .

وليس من شك في ان ذلك كله قد اصــاب العالم الاســـلامى بضربات شديدة في مختلف مواقعه مما اتاح للحركة الاستعمارية المادية والاقتصادية أن تجد سبيلها الميسر الى مختلف اراضيه وتحولت الشعوب الاسلامية الى افواه مستهلكة لكل ما ينتجه الانقلاب الصناعى الاوروبى ، وبدا الامر باحتلال انجلترا لعدن سنة ١٨٣٩ م ومحاولة فرض السيطرة على شرق وجنــوب شرق الجزيرة العربيــة ، واحتلت فرنســا الجزائر عام ١٨٣٠ م وتونس ١٨٨١ م ، وبريطانيا مصر سنة ١٨٨٢ ثم لم تلبث ان احتلت ايطاليا ليبيا واحتلت فرنسا مراكش ، ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الاولى حتى كان الهلال الخصيب كله تحت الاحتلال الاجنبى .

ثم كانت الطامة الكبرى حين تمت الزيجة السياسية بين الامبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، وكانت هدية هذه الزيجة تقديم فلسطين للصهيونية العالمية، ومنذ ذلك الوقت والامبريالية الاستعمارية والصهيونية العالمية تشكلان أكبر خطر يهدد العالم العربى والاسلامى بوجه عام .

ثانيا : حركة الاستشراق :

ولم يقتصر العدوان الخارجى على العالم الاسلامى في جانبيه المادى والعسكرى وانما تمثل في عملية التسرب الفكرى والثقافى التى تعتبر اشــد خطرا وفتكا فمنذ القرن الخامس عشر الميــــلادى ومحاولات المخاطرين والمكتشفين الاجانب مستمرة في العدوان على تراثنا الفكرى والثقافى بطــرق وأساليب مختلفة،منها ما يتسم بالعلنية،ومنها ما يتسم بالسرية،وانشئت كليات ومعاهد الاستشراق في دول اوربا الغربية ، حيث كان ينقل اليها مــا أمكن حمله من مصادر التراث الاسلامى .

وكثيرا ما قرانا وسمعنا لعشرات البعثات الاستكشافية والارساليات التبشيرية الموفدة من المعاهد الاستشراقية والهيئات الكنسية، التى كانت تستهدف في الاصل الاستئثار بالمصادر الاسلامية ، وغسل العقول البدائية من اركان العقيدة ، وانشئت المؤسسات التربوية والتعليمية والصحية في الداخل ، كما الفت الكتب والمراجع المليئة بالمغالطات المكشوفة في التاريخ الاسلامى .

وليس من شك في ان ما قامت به الجامعات الاسلامية ، ومازالت تقوم به من كشف لهذه المغالطات العلمية بالاساليب العلمية الصحيحة،انما يمثل دورا اساسيا في اضعاف موجات الالحاد والتشكك والتيارات الفكرية التى قد يتعرض لها الشباب الاسلامى .

ثالثا : بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاسلامية النامية :

يضاف الى كل ما سبق بعد مسافة التخلف بين الدول الصناعية والدول الاسلامية النامية ، ذلك البعد الذى يزداد اتساعا يوما بعد يوم بسبب عملية التطور العلمى والتكنولوجى عند الدول الصناعية خاصة وان هذه الدول تسعى جاهدة للحيلولة دون المحاولات التى تبذلها الدول الاسلامية للحصول على التكنولوجيا الحديثة ، وانتقالها من مرحلة الدول المستهلكة الى مرحلة الدول المنتجة .

وعلى الرغم من الخلافات التى قد تبدو بين الكتل المتصارعة في عالم اليوم الا انها تتفق على شيء واحد وهو الوقوف في وجه هذا العملاق الاسلامى بشتى الطرق لانهم يقرأون التاريخ ويعلمون الى اى حد تمتد جذور هذا العالم الاسلامى الى الاعماق .

ولعلنا نذكر في هذا المجال ذلك المؤتمر الذى عقد في لندن سنة ١٩٠٧ واكتملت فيه كل الدول الصناعية الاستعمارية برياسة كامبل بنرمان رئيس الوزراء البريطانى وكان هذا المؤتمر ينظر في الوسائل التى توصل الى الابقاء على الظاهرة الاستعمارية في مواجهة حركات التحرر ، وانتهى النقاش الى أن العالم الاسلامى يشكل الخطر الرئيسي لمستقبل الدول الصناعية ، وكانت العقيدة القرآنية واللغة المشتركة من بين الاسس التى رؤى التركيز على ضرورة اضعافها وتصفيتها ووضعت سياسة هذا المؤتمر على اساس تشجيع

اللهجـات العامية ، واضعاف العقيدة الاسـلامية واثارة الطائفية الدينية والعنصرية وخلق دولة يهودية في قلب هذا العالم الاسلامى تمتص كل موارده القومية الرئيسية ، وزيادة مساحات التخلف بين الدول الصناعية المتقدمة والدول الاسلامية النامية .

وعلى الرغم من امتلاك العالم الاسلامى لاكبر نسبة من اعظم مصادر الطاقةوهو البترول ، واعتماد الدول الصناعية على هذا النفط الا انالسياسة المخططة لهذه الدول بمؤسساتها الضخمة وشركاتهاالعالميةوامكانياتهاالواسعة تحول دون شك في الوصول الى ما تصبو اليه الدول البترولية الاسـلامية من تطور وتقدم يواكب التطور والتقدم العالميين .

ولا زال الصراع محتدما بين الجانبين الدول الاسلامية البترولية تسعى الى توكيد حقوقها ، والحصول على عائداتها كاملة،والدول الصناعية متشبثة بسياستها التقليدية التى تقوم على أن الشرق شرق والغرب غرب .

الباب الثانى

اليقظة الاسلامية



مقـــدمة

يطلق تعبير « اليقظة الاسلامية » على الحركات الاسلامية التى ظهرت على مسرح الاقطار العربية والاسلامية في القرن الثامن عشر كنشـوة دينية ضد ما ساد تلك الاقطار من تصرفات وسلوك يتنافي مع جوهر الدين الاسلامى الحنيف ، وان هذه الحركات الاسلامية انما قامت لكى تعيد للدين الاسلامى مكانته الاولى التى عاشها زمن رسول الاسلام الكريـم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين .

وقد تمثلت تلك النشوة الدينية في الدعوة الوهابية التى انطلقت من نجد بشبه الجزيرة العربية ، والدعوة السنوسية التى اتخذت من برقـة بليبيا مقرا ومركزا تنتشر منه ، والثورة المهدية التى اتخذت من السودان مسرحا لنشاطها ، الى جانب فكرة الجامعة الاسلامية التى تزعم الدعـوة اليها المفكر الاسلامى جمال الدين الافغانى واتخذ من مصر مركزا لها وساعده في نشرها المصلح الاسلامى الشيخ محمد عبده ، بالاضافة الى الطـــرق الصوفية التى ظهرت في اقطار شمال افريقيا العربية الاسلامية كالطريقـة التيجانية والطريقة الشاذلية والطريقة القادرية التى انطلقت من العراق . وغيرهـا .

كما يطلق تعبير « اليقظة الاسلامية » أيضا على ظهور حركات تحررية ضـد الهجمات الاستعمارية التى احاطت بالعالم الاسلامى منذ الحروب الصليبية، تلك الحركات التى عاشتها اقطار اسلامية للتخلص من السـيطرة الاجنبية المعادية للاسلام ، كما يطلق التعبير كذلك على دعوات الوحدة بين العـالم العربى والاسلامى التى وجدت لها صـدى في قلب كل عربى وكل مسـلم فظهرت مشروعات وحدوية عربية كان ابرزها ظهور جامعة الدل العربيـة ، كما ظهرت مؤسسات وحدوية اسلامية تمثلت في منظمة المؤتمر الاسلامىوما تفرع عنه من انشطة ثقافية واقتصادية واعلامية .

ويمكن القول ان هذهاليقظة الاسلامية بكل جوانبها انما حدثت كـرد فعل للشوائب التى شابت العقيدة الاسلامية نتيجة تطرف بعض المسلمين

وخروجهم عن جوهر العقيدة بل وارتداد بعضهم الى تقـديس الاصنام ، ومن ثم كانت أول اسس هذه اليقظة الدعوة الى عودة المسلمين للتمسـك بكتاب الله وسنة رسوله وترك البدع والتصرفات المنافية للعقيدة الاسلامية. كما ان هـذه « اليقظة الاسـلامية » حدثت ايضا للوقوف امام الهجمات الاستعمارية ضد الاسـلام والمسلمين ، كما انها جاءت للرد على التفتت الموجود في القوى الاسلامية بالدعوة الى وحـدة اسلامية تعيد للمسلمين صورتهم التى كانوا عليها عند ظهور الاسلام وفي عهد الدول الاسـلامية الاموية والعباسية .

واذا اردنا ان نحدد تاريخا لبدء تلك « اليقظة الاسلامية » فيمكن اعتبار القرن الرابع عشر الميلادى هو البداية ، حيث ظهرت في أوائل هذا القرن افكار العلامة والمتصوف العربى « أحمد بن تيمية » (الذى عاش في الفترة من ٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ الموافق ١٢٦٣ الى ١٣٢٨ م) ، والـذى عايش دمار التتار في الوطن العربى الاسلامى ، فاتخذ من القرآن الكريم مصدرا لاصلاح النفوس وبعث الهمم ، وتأكيد عقيدة التوحيد السامية ، وهاجم خصوم العقيدة الاسلامية وفقهاء العصر الجامدين ورجال الدين ورجـال الحكم الذين استبدوا بالسلطان فأفسدوا السلطة .

الفصـــل الثـــالث

الحركات الإسلامية

- **الدعـوات الســلفية : ــ**

أولا : اصحاب الدعوات .

ثانيا : ظروف العالم الاسلامى .

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية .

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية .

خامسا: الاتجاهات السياسية في الدعوات السلفية

سادسا: تقييم الدعوات السلفية .

- **الجامعة الاسلامية : ــ**

أولا : ظروف العــالم الاســلامى .

ثانيا : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الاسلامية .

ثالثا : فكرة الجامعة الاسلامية .

- **الطـرق الصـوفية : ــ**

الدعـــوات الســـلفية

أطلق تعبير «الدعوات السلفية» على كل من الدعوة الوهابية ، والدعوة السنوسية، والثورة المهدية، بسبب ما أتت به من مبادىء تدعو الى عودة المسلمين الى ما كان عليه السلف الصالح منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذه الدعوات وان اختلفت مناطق انبعاثها وتعددت اساليبها الا انها ذات مبادىء موحدة وأهداف متشابهة وكلها استفادت من جهود العلامة « احمد بن تيمية » في مواجهة الخارجين على جوهر الدين الاسلامى « كالباطنية » التى اتخذت ما عرف بمبدأ الاشراق الالهى ومعناه ان المعرفة تشرق على ائمتهم فتسمو بهم الى مرتبة لا ينالها غيرهم ، اى ان الله يفيض عليهم نور المعرفة فتنكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الامور وظواهرها، وكفرقة « النصيرية » التى اعانت التتار على محو الاسلام (١) . كما راى ابن تيمية أن الجهلة من عامة الناس ينحتون في الصخور أقداما واكفا يدعون انهـا للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فيقدسونها ويتبركون بهـا أو يصنعون أصناما يسجدون لهـا .

ومن ثم وجه « ابن تيمية » دعوته بالرجوع الى القرآن والسـنة واتباع السلف الصالح في فهم الآيات القرآنيـة والاحاديث النبوية وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لانها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة ، ومحاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما كان منها وسيلة للشرك بالله وترك الغلو في تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاقتداء بهديه (٢) . وفتح بـاب الاجتهاد على مصراعيه ، ولعن من اتخذ من القبور مساجد ، فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله زائرات ألقبور » ، وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيهـا ونحو ذلك هو أصـل الشرك وعبادة الاوثان ، لهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم لا تجعل قبرى وثنـا بعـدى (٣) .

---

(١) د. محمد بديع وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ص ٩ .

(٢) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٩٠ .

(٣) ابن تيمية : كتاب الزيارة من مجلد الجامع الفريد ص ٤٣٧ .

ويجب ان يكون واضحا اذن من البداية أن دعوة التوحيد التى نادى بها العلامة « احمد بن تيمية » كانت عاملا مشتركا لكل الحركات الدينية الاخرى ، كما كانت هناك عوامل اخرى اشتركت الدعوات السلفية في التأثر بها مما يجعلنا نعتقد بوحدة هذه الدعوات في الهدف وفي المصير (٤) ، خاصة أن هذه الدعوات جاءت في الوقت الذى كان الوطن العربى يخضع للسيادة العثمانية التى فرضت على العرب عزلة وجمودا فكريا جعلت الاسلام في الاقطار العربية وخاصة بين الاتراك مشرب بالمساوىء التى لا تمت الى الدين الصحيح بنسب (٥) .

ويمكن ان نحدد في البدء عوامل التشابه بين الدعوات السلفية الثلاث على النحو التالى :

اولا : أصحاب الدعوات :

تنتسب الدعوة الوهابية الى العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما تنتسب الدعوة السنوسية الى الشيخ محمد بن على السنوسي ، والدعوة المهدية الى الشيخ محمد أحمد بن عبد الله الملقب بالمهدى المنتظر ، فوجه الشبه الاول جاء في التسمية باسم «محمد» تيمنا باسم رسول الاسلام ، كما يتشابه أصحاب الدعوات السلفية الثلاث في المكونات الشخصية ، « فمحمد بن عبد الوهاب » ينحدر من أصول عربية تنتهى به الى « مضر » وهى بطن من بطون تميم اكبر القبائل العربية وأعزها (٦) .

كما ان محمد بن عبد الوهاب شب في بيت علم ودين فقد شغل والده منصب القضاء في « العيينة » وغيرها من مدن نجد وكان متفقها في مذهب الامام احمد بن حنبل ، الذى يقوم على تدريسه مع الحديث والتفسير لطلاب العلم الذين كانوا يمضون الوقت في جدل فقهى أو نقاش دينى ، وكان الطفل محمد بعد ان شب واصبح صبيا يحلو له ان يراقب مجلس ابيه عن كثب فينصت لاحاديث القوم ومجادلاتهم (٧) ، حتى اذا بلغ مبلغ الرجال

---

(٤) د. رافت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ص ١٨٧ .
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٤٩ .
(٦) عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص ٤٥ .
(٧) د. عبد الحميد البطريق : الوهابية دين ودولة ، مجلة كلية البنات ص ٤٢ .

زوجه ابوه وجعله يــــؤم المصلين واخذ يسترشـــــد بآرائـــه فيــما يعترضه من فتاوى ومسائل فقهية حتى كان والده يقول عنه لقد استفدت من ولدى محمد فوائد شتى في الاحكام (٨) .

كما أسهمت عدة أمور في تحديد شخصية محمد بن عبـد الوهاب ، فالى جانب نشأته الدينية وذكائه العقلى كانت معيشته في بيئة بدائية وهى بيئة ليست معقدة ولكنها واضحة مكشوفة والناس فيها على الفطرة يسهل التأثير فيهم سلبا ام ايجابا (٩) ، ورحلاته داخل نجد وخارجها الى الحجاز والعراق حيث درس على ايدى علماء افذاذ وشاهد ما يرتكبه البعض من تصرفات ينكرها الاسلام سواء حول قبر الرسول عليه الصلاة والسلام او حول مزارات الشيعة في كربلاء والنجف الاشراف فدخل في مجادلات منها كما يــذكر « ان اناســا من مشركى البصرة يأتون الى بشــبهات يلقونهــا على فأقول وهم قعود لدى ، لا تصلح العبادة كلها الا لله فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه (١٠) .

وأما « محمد بن على السنوسي » الذى ينتهى نسبه الى ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن الســبط بن على بن ابى طالب وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) ، والذى يختصر اسمه السنوسيون ليصبح : محمد بن على السنوسي الخطابى الحسنى الادريسى (١٢) ، عربى الاصل قرشي النسب ينتمى الى البيت النبــوى الشريف ولد ببلدة مستغانم بالجزائر في ١٢ ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٧٨٧ م في بيت علم ودين فوالده وجده واعمامه وابناء اعمامه وكثير من نساء هذا البيت الكريم مثل جدة محمد بن على السنوسي لابيــه السيدة الزهراء وعمته السيدة فاطمة كانوا جميعا علماء (١٣) .. وهو في هذا يشبه محمد بن عبد الوهاب .

---

(٨) حسين بن غنام : تاريخ نجد ص ٤٥ .

(٩) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٠١ .

(١٠) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٢٨ .

(١١) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبى ص ٢٠ .

(١٢) محمد بن على السنوسي : الدرر السنية في اخبار الســـلالة الادريسية .

(١٣) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ١١ .

كما ان شخصية محمد بن على السنوسي تكونت في هذا البيت الديني وتأثرت بما تعلمه في معاهد العلم بمسقط رأسه وفي جامع القرويين بمدينة « فاس » المغربية ، وفي جامع الزيتونة بتونس وفي الجامع الازهر بمصر وفي الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة ، وهذا يعنى أن رحلات محمد بن على السنوسي من الجزائر الى المغــرب وتونس وطرابلس الغرب ومصر والحجاز قد اكسبته معرفة واسعة بأحوال المسلمين ، فالى جانب دراسته للطرق الصوفية القادرية والشاذلية والناصرية والحبيبية (١٤) ، المنتشرة في شمال افريقيا اصطدم بالحكم التركى في مصر الذى كان على رأســه محمد على وهاجم تركيا لانها تحتقر الجنس العربى وتولى على العــرب حكاما من الاتراك ، ونعى على علماء الازهر تأييدهم لولاية محمد على ، ولم يكن والى مصر ليرحب بمحمد بن على السنوسي،ولعل موقف علماء الازهــر منه ــ حين طلبوا من طلاب العلم الابتعاد عن حلقاته التى عقدها بالجامــع الازهر ــ موقف موعز به (١٥) . ولما انتقل الى الحجاز وجــد عنتا من اشراف مكة ومن العثمانيين هناك ، وعندما عاد من الحجاز الى الجزائــر ساءه وقوع بلاده الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠ م فتأثر كثيرا واختار برقة منطلقا لدعوته الشــاملة . وهو في هذا يشــبه محمد بن عبد الوهاب .

وينتسب « محمد احمد بن عبد الله » الذى لقب نفسه بالمهــدى المنتظر ، والذى ولد بجزيرة « لبب » جنوب مدينة دنقلة بشمال السودان في ١٢ اغسطس ١٨٤٤ م ، الى القبائل العربية الذين اختلطوا بالدمــاء النوبية ، ويذهب البعض الى ان اصله مصرى وان موطن اسلافه في مديرية اســوان (١٦) ، وعلى اية حال فان انتماءه الى قبائل الكنوز النوبيــين وانحداره من الكنوز كان له اهمية خاصة في حياته ، فالكنوز ينتمون الى آل البيت ، ومن هنا كان انتساب محمد أحمد الى البيت النبوى ، وكان لنسبه هذا اثر كبير في نجاح دعــوته وتأليف القلوب من حوله (١٧) .. اذن فهو عربى قرشي مثل محمد بن على السنوسي .

---

(١٤) د . نقولا زيادة : ليبيا ... ص ٦٤ .

(١٥) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٢٤ .

(١٦) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ص ١١٥ .

(١٧) د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقية ص٤٠٣ .

وقد تكونت شخصيته منذ الصغر حيث ولد في بيت يعمل راعيه ـ عبد الله والد محمد احمد ـ بصناعة السفن النيلية الا انه اتجه نحو العلم فدخل خلوة (١٨) القرية حيث تعلم وحفظ القرآن الكريم ، واخذ يتنقل في أنحاء السودان لحضور حلقات العلم التى يقيمها علماء الدين في الخرطوم وبربر والجزيرة ، ويتتلمذ على أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة في السودان ، فانضم الى السيد « محمد الشريف نور الدايم » شيخ الطريقة « السمانية » (١٩) الذى سمح له بتكوين مريدين له رغم صغر سنه ، وكان ذلك مما ساعده على التمرن في الوعظ والارشاد (٢٠). ومن ثم اتجه في النيل الابيض حتى جزيرة « آبا » (عام ١٨٧١ م) ذات الغابات المتشابكة وكان يسكنها عدد قليل من العرب الرحل وانفار قلائل من « الشلك » وهم سكانها الاصليون (٢١) ، وذلك من خلال رغبته في العزلة والبعد عن جو الخرطوم للاختلاء بعيدا للتأمل والتعبد .

وقد تعددت ارتباطات محمد أحمد برجال الدين السودانيين ، فالى جانب تعلمه على يد الشيخ « محمد الشريف نور الدايم » الذى أخذ محمد أحمد عنه مزيدا من الدروس في العلوم الشرعية والتصوف ، تعلم محمد أحمد على يد الشيخ « محمد الخير » ما استطاع أن ينهله من علوم النحو والتوحيد والفقه والصتوف ، كما تعلم على يد الشيخ « القرشي ود الزين » بأرض الجزيرة اصول أوراد وأذكار الطريقة السمانية ، ولم تطل اقامه محمد أحمد كثيرا مع أستاذه الشيخ القرشي بسبب وفاة الاستاذ فعاد الى جزيرة آبا لكى يستكمل بناء أسس دعوته ، ولا شك أن هذا الترحال ودخوله في احدى الطرق الصوفية ثم خروجه منها كان احسن وسيلة للدعاية له ولفكرته وللعمل على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره وتنفذ ارشاداته (٢٢) .

---

(١٨) الخلوة تعنى المدرسة القرآنية أو الزاوية التى يحفظ بها طلاب العلم القرآن الكريم ويتعلمون بعض العلوم العربية .

(١٩) احدى الطرق الصوفية التى ظهرت في المدينة المنورة ونقلها الى السودان جد الشيخ محمد الشريف .

(٢٠) د . جلال يحيى : الثورة المهدية .. ص ٢١ .

(٢١) د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٢٥٣ .

(٢٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٢ .

وقد ساعده ترحاله كذلك على معرفة أحوال السودانيين وما يعيشون فيه من ضلال وبدع الى جانب تفشي الجهل والفقر بينهم ، والفساد الذى عم ادارة الحكم في السودان مما جعله يرفض تناول الطعام مع شيخه الذى يتناول مرتبا حكوميا من الذرة والمال ، لانه يرى أن مثل هذا الطعام قد لا يخلو من الدخل الحرام ، ومن ثم عاش عيشة الزهد يذهب في بهيم الليل للصيد الحلال على شاطىء النهر لاصطياد السمك ، ويلقى في سبيل ذلك من النصب ما يلاقى قبل أن يقع السمك في سنارته (٢٣)، كما أنه اشتغل بجمع الخشب وبيعه وذلك الى جانب دراسته الدينية (٢٤) . كل ذلك جعل من محمد احمد شخصية زاهدة ساعدته على التعمق في أمور الدين والدنيا ويفكر في الكيفية التى تصلح بها أحوال المسلمين في الاتجاهين الدينى والدنيوى (٢٥) . وهذا يتشابه مع اصحاب الدعوتين الوهابية والسنوسية .

ثانيا : ظروف العالم الاسلامى :

لا يقتصر تشابه الحركات السلفية على شخصيات أصحابها ، بل يمتد هذا التشابه الى نواحى اخرى منها ظروف العالم الاسلامى بصفة عامة ومواقع انبعاث تلك الدعوات بصفة خاصة ، تلك الظروف المتشابهة في البيئة الطبيعية وفى الامور الدينية والاحوال الاجتماعية والاوضاع السياسية ، التى عاشتها الاقطار العربية الاسلامية تحت الحكم العثمانى لمدة بلغت اربعة قرون .

(أ) الظروف الجغرافية :

فظروف البيئة الطبيعية متشابهة في كل من نجد مركز انبعاث الدعوة الوهابية وفي برقة مركز ظهور الدعوة السنوسية وفي السودان مقر انطلاق الدعوة المهدية ، وظروف البيئة الطبيعية تشمل السطح والموقع وغيرها من العوامل الجغرافية كما تشمل السكان في هذه البيئة .. وتتوسط نجد شبه الجزيرة العربية وهى هضبة يغلب عليها الطابع

---

(٢٣) د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٢٥١ .
(٢٤) د . ابراهيم العدوى : يقظة السودان ص ٤٩ .
(٢٥) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٦ .

الصحراوى الجاف وان ضمت كثيرا من الوديان والواحات اهمهـــا « وادى حنيفة » و « وادى الرمة » وهذه المناطق الخصبة تحيط بهـــا « الدهناء » شرقا وجنوبا ، « والنفود » والمنحدرات من الشـــمال ، ومنحدرات من الغرب (٢٦)) .

ومع اتساع هضبة نجد فان القسم المأهول منها لا يتعدى سلسلة ضيقة من الواحات ممتدة على شـــكل هلال تحف بها الرمال من كـــل جانب وتفصل ما بينها احيانا ، فهى محدودة من الجنوب بصحراء « الربع الخالى » ومن الشرق « بالدهناء » ومن الشمال « بالنفود الكبير » ومـــن الغرب بأنفاد « السر » و « البطرا » و « قنيفذة » (٢٧) . والمنطقة بصفة عامة صحراوية وحيث توجد الابار بقدر كاف من الماء ظهرت مدن وقرى تحاط بالبساتين ، وهذه على أية حال كثيرا ما تكون متباعدة بحيث تبدو مجرد نقط على خريطة بلاد العرب . ودون أن تربط بعضها ببعض منطقـة زراعية (٢٨) .

واذا كانت نجد تعيش طبيعيا بهذه الصورة الصحراوية بكل مـــا تشتمل عليه من رمال وهضاب وصخور ووديان وواحات ، فالحرارة في نجد تشتد في النهار بينما تزداد البرودة ليلا ، والجو جاف ، والامطـــار قليلة بصفة عامة واكثر مناطق نجد حظا من الامطار مناطق جبال «شمر» « والنفود الشمالى » ، بينما الصحراء الجنوبية تكاد لا تســـقط بهـــا الامطار (٢٩) . ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الظروف على حياة السكان .

وكانت برقة مقر انبعاث الدعوة السنوسية صورة أخرى للصحراء بظروفها الطبيعية ، فبرقة احد أقاليم ليبيا الثلاثة (برقة ، طرابلس ، فزان) بل انها اكبر هذه الاقاليـــم من حيث المساحة (٧٠٠ ألف كم ٢) وان لم تكن اكثرها سكانا ، ويمتد هذا الاقليم من « عقبة السلوم » شرقا الى حدود طرابلس غربا ، وكان يعرف عند الرومان باسم اقليم «سيرينة»

---

(٢٦) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٣ .
(٢٧) د . عزة النص : أحوال السكان في العالم العربى ص ٦٥ .
(٢٨) الليدى آن بلنت : رحلة الى بلاد نجد ص ٢٠٧ .
(٢٩) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٢ .

التى سماها العرب « قيرين » أو « قرناه » ، ثم أصبح يعرف منذ الفتح العربى باسم اقليم برقة (٣٠) .

وسطح برقة متنوع حيث يوجد سهل ساحلى يضيق أحيانا ويتسع احيانا اخرى ، والى جانب هذا السهل الساحلى يوجد الجبل الاخضر الذى يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى الف متر وتكسوه الخضرة الدائمة ، ويرتفع من الساحل ارتفاعا مباشرا ولكنه ينحدر تدريجيا نحو الصحراء في الجنوب ، وبه من الاراضي الصالحة للزراعة المساحات الكبيرة التى ترويها مياه الامطار الفزيرة خاصة في فصل الشتاء (٣١) .

والى الجنوب من الجبل الاخضر توجد الصحراء الواسعة التى تكون معظم مساحة الاقليم ، وهذه الصحراء مستوية وان وجد بها بعض الكثبان والهضاب فهى مستوية ايضا ، وفي صحراء برقة توجد أودية عميقة بعضها يمتلىء بالماء فترة ما وبعضها يكون جافا طول السنة (٣٢) . كما توجد بعض الابار والينابيع المتناثرة وسط الصحراء تحيط بها واحات فقيرة مثل « الجغبوب » و « الكفرة » و « جالو » و « أوجلة » (٣٣) .

والمناخ في برقة يتنوع بتنوع السطح والموقع فالسهل الساحلى والجبل الاخضر كلاهما يتمتعان بمناخ معتدل لوقوع الاول على البحر المتوسط ولارتفاع الثانى عن سطح البحر ، كما تسقط الامطار بغزارة على السهل الساحلى والجبل الاخضر في معظم شهور السنة فيما عدا فصل الصيف،اما المناخ في الصحراء الواسعة الواقعةالى الجنوب من الجبل الاخضر فيتسم بأنه مناخ صحراوى اى شديدالحرارةنهاراشديدالبرودةليلا،ونادرا ما تسقط الامطار هناك ، ولذلك يتبعثر السكان في الصحراء حيث توجد الواحات وعيون الماء بينما يتركزون في الجبل الاخضر والسهل الساحلى .

وبهذا الشكل يمكن ملاحظة التشابه بين ظروف نجد الطبيعية وظروف برقة الطبيعية وهو تشابه لا يصل الى حد التطابق ، وان وجد خلاف في

---

(٣٠) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٨٢ .
(٣١) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٤ .
(٣٢) د . فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لافريقيا ص ٣٣٨ .
(٣٣) د . عزة النص : المرجع السابق ص ٧٦ .

هذه الظروف فانما يرجع الى اختلاف موقع برقة وخاصة الجزء الشمالى منها المطل على البحر المتوسط ــ عن موقع نجد الجغرافى ، ومن ثــم يختلف المناخ بين نجد وبين الجزء الشمالى من برقة ، ويتشابه في الصحراء البرقاوية مع الصحراء النجدية .

واما السودان فان ظروفه الطبيعية لا تختلف كثيرا عن ظروف نجد الطبيعية ، فاذا كانت دنقلة التى ولد بها محمد أحمد وعاش فيها سنوات عمره الاولى تقع في اقليم صحراوى نادر المطر بشمال السودان وتســكنه الجماعات الحامية كالنوبيين الذين اختلطوا بالعرب وتأثروا بهم ، فانــه الى الجنوب من دنقلة نجد السودان الاوسط حيث المناخ الصحــــراوى يسود أيضا مع سقوط أمطار في شهرى يوليو واغسطس ويسكنه العــرب الذين يحتلون دارفور وكردفان والخرطوم والنيل الازرق والاجـــــزاء الجنوبية من « كســـلا » (٣٤) .

وقد اتخذ محمد أحمد من جزيرة « آبا » في النيل الابيض مقرا لدعوته وهى جزيرة ذات غابات كثيفة ، ثم انتقل منها الى جبل قـــــدير بكردفان الجنوبية ثم الى كردفان الاوسط « فدارفور » وكلها تقع في غرب الســودان ، وهى مناطق صحراوية ، حيث تمتد هضبة كردفان التى ترتفع بحوالى ٥٠٠ متر عن مستوى سطح البحر وتعلوها عدة جبال منفردة تتجمع في الجنــوب باسم جبال النوبا ، وترتفع هضبة كردفان تدريجيا الى الغرب حتى تصـــل الى هضبة دارفور التى تسيطر عليها كتلة جبل « مرة » البركانية ، ودرجــة الحرارة عالية طول السنة وبلا جدال فأن الصحراء أكثر الاجزاء حــرارة ، وأمطار غرب السودان موسمية وتسقط كلها في فصــل الصيف « ٣٥ » .

وهكذا تتشابه ظروف غرب السودان مع ظروف نجد وظروف صحراء برقة من حيث السطح وقلة الامطار وموارد المياه ، وبالتالى يتبعثر الســكان في غرب السودان كما هو الحال في نجد وصحراء برقة .

(ب) الظروف الاجتماعيـــة :

تتشابه الاحوال الاجتماعية للعرب في كل مكان انطلاقا من امتـــــداد الارض العربية الاسلامية امتدادا مستمرا ، وتشابه الارض التى يعيشــون

(٣٤) د . فيليب رفلة : المرجع السابق ص ٢٩٢ .
(٣٥) د . محمد رياض : افريقيا .. ص ٣٩٦ ــ ٤٠٠ .

عليها ـ كما رأينا ـ ومن هنا فاننا نلاحظ تشابها في حياة سكان نجد مع سكان السودان بصفة خاصة ، ومع سكان بقية العالم العربى الاسلامى بصفة عامة ، فاذا اضفنا الى ذلك وحدة الجنس الذى ينتمى اليه العرب والمسلمون ووحدة الثقافة القائمة على اللغة العربية والدين الاسلامى أدركنا هذا التشابه الذى أشرنا اليه في أحوال العرب والمسلمين خاصة في مواطن انبعاث الدعوات السلفية .

كانت أحوال سكان نجد بل وشبه الجزيرة العربية عامة متأثرة بطبيعة الارض التى يعيشون عليها وهى أرض صحراوية تقوم في انحاء عدة منها مدن صغيرة حول آبار المياه وبالقرب من الواحات ، ومن ثم وجدنا السكان ينقسمون الى بدو وحضر ، فالبدو هم القبائل الرحل الذين يتنقلون من جهة الى اخرى في طلب المراعى والمياه لاغنامهم وابلهم ، وهم لا يميلون الى الاستقرار ، وكثيرا ما يلجأون الى التقاتل من أجل الحصول على أماكن غنية بالعشب لرعى ماشيتهم (٣٦) .

وكانت مسألة توفر المراعى والمياه للابل والاغنام لا تحدث الا بالرحلة والضرب في المناطق النائية ، ولذلك صار كل تنظيم سياسي قائم على الاستقرار في السكن أمرا متعذرا على البدوى . والصلة الدموية وحدها هى التى تعين الفلك الذى تضطرب فيه حياة البدو ، فهى تربط الاسر بالعشائر والعشائر بالقبائل (٣٧) .

والقسم الثانى من سكان نجد هم الحضر سكان المدن والواحات والقرى وهم اكثر استقرارا من البدو ، وان كانوا في الاصل من البدو وتوطنوا في مساكنهم من قديم (٣٨) . ويشتغل الحضر في معظمهم بالتجارة ، الا أن التجارة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية وحركة محمد بن عبد الوهاب فقدت أهميتها كمورد للرزق لبعض سكان نجد نظرا لفقدان الامن وعدم استقرار النظام وانتشار الفوضي (٣٩) .

---

(٣٦) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٣٧) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ١٧ .
(٣٨) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٣٩) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الاولى ص ٩ .

وسكان نجد من البدو والحضر ينتظمون في قبائل تحكمها الاعراف والتقاليد المتوارثة ، فاذا كانت القبائل البدوية سمتها عدم الاستقرار والتقاتل والاغارة على من جاورهم او الهجرة الى ارض جديدة فان الحضر انتظموا في مجموعة من الامارات أو المشيخات التى تتفق مع القبائل البدوية في الطباع الصحراوية حيث عاد السكان الى مفاهيم الحياة البدوية الجاهلية التى كانوا عليها قبل الاسلام وعادت العصبيات القبلية تمزق المجتمع وتفتته ، وعاد الغزو والسلب والنهب ليكون مصدر العيش في الصحراء (٤٠) .

والتنظيم القبلى ـ كما هو معلوم ـ يعطى لشيخ القبيلة السلطة الكاملة على كل افراد قبيلته ، وهو في العادة اكثر افراد قبيلته ثروة واكبرهم مركزا وسنا في الغالب ، ولذلك يعد المسئول عن كل ما يلحق بقبيلته من اغارات القبائل الاخرى الى جانب مسئوليته عن تنظيم الامور المتعلقة بأفراد قبيلته مهما سكنوا في مناطق متفرقة او في قرى وواحات متباعدة ، ومهما اختلفوا من حيث الثراء أو في درجة التحضر ، فالكل أمام أعراف وتقاليد القبيلة سواء (٤١) .

وقد تمسك أهل نجد بعادات العرب الاصيلة مثل المروءة والشجاعة، ومنح الحماية للمسافر طوعا وعن طيب نفس ، وقد يضم أحد أفراد القبيلة رجلا غريبا الى عشيرته ضما لا انفصام له (٤٢) هذا الى جانب علاج الخلافات اليومية عن طريق المجالس اليومية . والطاعة لشيخ القبيلة ، والاستماع الى من هم أكبر سنا واحترام مجلسهم ، والتضحية بالروح أثناء الحرب وبالاموال أثناء السلم ، وهم على العموم كما ذكر « أحمد بن سعيد البغدادى في كتابه « نديم الاديب » في حديثه عن أهل نجد في تلك الفترة بقوله : « ولئن كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننهم فهى عندهم » (٤٣) .

واما قبائل وعشائر نجد فكانوا موزعين على النحو التالى : أهل «حايل» ينتمى أكثرهم الى «شمر» وأهل «القصيم» يرجعون في الغالب الى «بنى

---

(٤٠) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ص ١٢ .
(٤١) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٥ .
(٤٢) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ١٧ .
(٤٣) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص ٤٢ .

خالد » و « بنى تميم » ، واهل الجنوب ينتمون في انسابهم الى « عنزة »، واهل الوسط الى « الدواسر » و « بنى تميم » ، واهل الجنوب الغـربى ينتـمون الى « الدواسر » و « قحـطان » (٤٤) . « وينتمى محمد بن عبد الوهاب » لقبيلة « بنى تميم » ، بينما ينتسب آل سعود الى قبيـلة « عنزة » .

واما قبائل برقة فقد عاشت نفس التنظيم القبلى العـربى من حيث انقسامها الى عشائر وبطون وافخاذ ، وللقبيلة ارض تملـكها وتنتقل في ارجائها ، وافراد كل قبيلة متضامنون في اداء ما عليهم من واجبات وفي الحصول على ما لهم من حقوق ، ولكل قبيلة رئيس أو شيخ له الرياسـة العامة على افرادها . ومنذ أيام الفتح العربى الاسلامى حتى العصر الحديث كان الحكم في برقة يأخذ القبيلة بعين الاعتبار في تقسيم البلاد الى وحـدات ادارية ، بحيث تكون القبيلة أساسا لتطبيق النظام ومساعدة الحكام (٤٥) .

ولسنا بحاجة الى الحديث بتفصيل عن معيشة القبائل العـربية في برقة ، حيث ان القبائل البدوية في الصحراء العربية سواء في المشرق — كما رأينا في نجد — أو في المغرب العربى ، يعيشون حياة غير مستقرة فيمـا عدا سكان الواحات والمدن الذين يتمتعون بالاستقرار . وقد اتضحت صورة التنظيم القبلى في برقة منذ الفتح العربى الاسلامى ، ثم عندما زحفت قبائل بنى هلال وبنى سليم من مصر الى المغرب منذ القرن الخامس الهجرى — الحادى عشر الميلادى — فوجدنا هذه القبائل تنقسم الى قسمين رئيسيين : القبائل « السعدية » ، وقبائل « المرابطين » . ويذكر البعض أن السعديين هم قبائل بنى سليم ، وان المرابطين هم بقية القبائل العربية اليمنية التى جاءت مع الفتح الاسلامى والتى اختلطت بالبربر وعربتهم ، وأن ثمـة قبائل من المرابطين لها شرف في النسب الى بيت الرسول صلى الله عليـه وسـلم (٤٦) .

---

(٤٤) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٤٧ .
(٤٥) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٤٦) د . نقولا زيادة : المرجع السابق ص ١٢ .

ورغم أن اقليم برقة تميز بانقسام سكانه الى قبائل متنافرة تأثر أفرادها بالبيئة الصحراوية فقد اتصفوا بالقوة والخشونة والمحافظة على العادات والتقاليد العربية ، هذا الى جانب أن الاقليم كان عدد سكانه قليلا بالنسبة لمساحته الشاسعة ، كما كان هذا المجتمع البرقاوى اكثر تجانسا في تكوينه الجنسي وخلوا من الاقليات التى تفت دائما في عضد الحركات الاصلاحية (٤٧) .

واما احوال السودانيين الاجتماعية فانها لا تختلف كثيرا عن احوال النجديين والبرقاويين ، اذ تسكن السودان الشمالى والاوسط قبائل عربية بصفاتها الاجتماعية المعروفة ، حيث أن القبائل السودانية وفدت الى السودان من طريقين ، الطريق الأول هو الباب الشمالى الذى يفضي الى مجرى النيل (٤٨) ، والطريق الثانى هو الباب الشرقى المنحدر من ساحل البحر الاحمر ، عبرته الهجرات من شبه جزيرة العرب في طريقها صوب الغرب الى السودان الاوسط (٤٩) .

وقد انقسمت هذه القبائل العربية الوافدة الى ثلاث مجموعات : المجموعة الاولى هى مجموعة « الجعليين » وهى اكثر المجموعات العربية نفوذا وعددا في السودان وقد انتشرت في المنطقة الممتدة من وادى حلفا حتى جنوب أم درمان ، والمجموعة الثانية هى مجموعة « جهينة » ، وهم عرب وفدوا الى مصر اولا حتى اذا كان القرن الرابع عشر الميلادى اتجهوا جنوبا نحو السودان حيث استقروا في شرقه وعلى حدود الحبشة وفي الجهات الشرقية والوسطى من كردفان ، والمجموعة الثالثة تعرف باسم « الكواهلة » ومنازلهم في العطبرة والنيل الازرق وحول النيل الابيض وكردفان في الغرب (٥٠) .

---

(٤٧) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٦ .
(٤٨) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(٤٩) د . محمد عوض : السودان الشمالى ص ١٥٩ .
(٥٠) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

ورغم انقسام اهل السودان الى قبائل وعشائر الا ان نهر النيـــل قد ساعد على استقرار كثير من هذه القبائل وحول حياتهـــا من الرعى والتنقل الى الزراعة والاستقرار ، ومع ذلك فقد بقيت خارج المدن والقرى التى سكنها المستقرون حياة لغير المستقرين الذين اتخـــذوا من شرق السودان وغربه مقرا لهم يمارسون فيه حياتهم القبلية البدوية بكل ابعادها من رعى وتقاتل وخضوع لزعامة القبيلة .

(ج) الامور الدينية :

كانت احوال المسلمين الدينية متشابهة في تلك الازمان التى سبقت ظهور الدعوات السلفية ، حيث غلب عليها اتباع البدع والخرافات بـــل والاستغاثة بغير الله ، مما استدعى وجود مصلحين . فقد سيطر على اهل نجد سحبا من الخرافات وكثر عدد الادعياء الجهلاء الذين يخرجـون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ والسـبحات ، فلو عاد صاحب الرسالة ــ محمد صلى الله عليه وســـلم ــ الى الارض في ذلك العصر وراى ما كان يدعى الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من اسـتحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الاوثان (٥١) .

وعلى هذا كان التدهور في المجتمع الاسلامى يســـير بسرعة حتى اصبحت القيم التى اكسبها الاسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قـــد اضمحلت واندثرت او كادت ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافـــات والاساطير في نفوس العامة وغير العامة محـل القيم الصحيحة للاســلام ومبادئه حتى اصبحت بعض الاشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والاضرحة موضـــع قداسة وشفاعة اقرب الى العبادة ، وحتى اضحت تعاليـــم الاسلام التى تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسيا منسيا ، وكأن الاسلام لم يظهر في شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثرا حضاريا لا على رمالها ولا في عقول ابنائهـــا ونفوسهم (٥٢) .

ولم تكن نجد تنفرد بمثل هذه الخرافات والبدع ، فقد شاركتها فيها بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الاقطار الاســـلامية التى تعرضت لمثل ظروف شبه الجزيرة العربية وأعنى الظلم والفقر والجهل ،

---

(٥١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى جا ص ٢٥٩ .
(٥٢) احمد عسه : المرجع ص ١٢ .

وهى ظروف ساعدت على كثرة الدجالين واصحاب البدع ممن يجـدون لبضاعتهم سوقا رائجة في دنيا العوام واشباه العوام (٥٣) .

ونفس الشيء يمكن ان يقال عن أحوال اهل برقة الدينية ، ذلك انه بحكم مرور السنين واهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعـــل البرقاويين يحيدون عن اصول الاسلام الصحيح ، وغير متفهمين للعقيدة وانما مقلدين ، ومن ثم اصبحوا سادرين في غيابات الضلال معرضين لخطر اصحاب النفوذ من شيوخ البدو في الجبل الاخضر شبيها بالكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد اراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة أن يدخلوا في اذهان البدو أن زيارتهم لها تقوم مقام حج بيت الله الحرام (٥٤) . الى غير ذلك من أعمال تنافى الدين كوأد البنات وعدم صوم رمضان بابتـداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول شهر رمضان بأيام الى وادى « زازا » المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله أيصومون رمضـان أم لا ؟ فيجيب الصدى بالكلمة الاخيرة « لا » فيصبحون في حل من الصوم ويفطرون (٥٥).

واما امـــور السودانيين الدينية فلم تختلف عن أمور النجديين والبرقاويين ، ذلك أن الاسلام عندما دخل الى السودان على أيدى القبائل العربية لم ينتشر بين اهل البلاد بالتبشير او الدعوة الى الدين ، وانمـا انتشر بالوسيلة الاجتماعية والتسرب السلمى ، بالاصهار الى الشـعوب المحلية ، ثم امتصاص هذه الشعوب في الدماء العربية الوافدة ، ثـم اندماج هذه القبائل في الحياة القبلية الجديدة (٥٦) . وكانت النتيجـة الحتمية لهذا الاندماج الاجتماعى اعتناق جيل المولدين دين الامهات ودين القبيلة صاحبة النفوذ ، ثم ازدياد التيار الاسلامى عمقا بمضي الزمن (٥٧).

وقد ساعد على ذلك ان العرب في كل بلد نزلوا فيها بعد الفتـــح الاسلامى لم يكونوا طبقة حاكمة متعالية ومنعزلة عن السكان الاصليين ،

---

(٥٣) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص ٣١ ـ ٣٢ .
(٥٤) احمد حسنين : في صحراء ليبيا ص ٤٨ .
(٥٥) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٦ـ٢٥٧ .
(٥٦) عبد العزيز عبد المجيد : التربية في السودان جا ص ٢٥ .
(٥٧) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٣٩ .

ولم يطالبوا بحكم ذاتى او مملكة خاصة ولكن كانت لهم أحياؤهم الخاصة في المدن الكبيرة ولهم قراهم الخاصة ، والدلائل واضحة على انهم في بعض المناطق خضعوا لحكام البلاد (٥٨) .

ونتيجة للانقسامات بين القبائل السودانية من ناحية وشيوع مظاهر الفقر والجهل ظهرت زعامات دينية صوفية متنافسة لا تهتم بأصول الاسلام وقواعده الاساسية ، مما ساعد على سواد العاطفة والخرافات بين السودانيين ، وجعل السودانيين ينسبون الى رجال الدين المعجزات بل وقدسوهم أكثر من تقديس الانبياء في الوقت الذى ضعف فيه مستواهم العلمى فلم يكن باستطاعتهم التمييز بين الخرافات والعقيدة الصحيحة (٥٩) .

(د) الاوضاع السياسية :

عاش العالم العربى منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى وعلى مدى اربعة قرون تحت الحكم العثمانى المباشر وغير المباشر ، ومن هنا تأثرت الاقطار العربية بسلبيات هذا الحكم التى كان من اهمها فرض العزلة وحياة الجمود على المسلمين الذين قتلت فيهم روح الابتكار والتفكير، ومن هنا تشابهت الاوضاع السياسية وان لم تتطابق في مواطن انطلاق الدعوات السلفية الاصلاحية .

وتمثلت الاوضاع السياسية في نجد قبيل ظهور الدعوة الوهابية في وجود عدة امارات صغيرة تتخذ كل امارة منها مقرا لها في بلدة من بلاد نجد ، ولها أميرها الذى هو في نفس الوقت زعيما لعشيرة أو رئيسا لقبيلة او راعيا لاسرة له الكلمة المسموعة على أهل امارته (٦٠) .

ومن الثابت أن اقليم نجد لم يخضع للحكم العثمانى كما خضعت أطرافه في الحجاز والاحساء ، ومن ثم لم يشهد الاقليم ولاة عثمانيين

---

(٥٨) د . مكى شبيكة : مملكة الفونج ص ١٩ .

(٥٩) Hilleson : Anglo-Egyptian Sudan, P. 101.

(٦٠) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٦ .

يأتون اليه ولا حامية تركية تجوب خلال دياره (٦١) ، ولقد تركت الدولة العثمانية هذا الاقليم لاهله يحكمونه بالطريقة القبيلة المألوفة طالما لا يعلن أهله العداء للدولة ، كما أن الاقليم كان فقيرا فلم يكن مغريا للعثمانيين .

واما الامارات القائمة في اقليم نجد فقد سادتها علاقات الجفاء ، وكثيرا ما كانت الحروب تنشب بينها ، وتكاد كل امارة منها أن تكون منعزلة عن غيرها لا تربطها بها روابط سياسية معينة بحكم تجاورها ، ولم تكن الروابط التى تجمعها سوى العلاقات التجارية والجوار ووحدة الاصل ، وأشهر الاسر النجدية الحاكمة في ذلك الوقت هى : « آل معمر » في « العينية » و « دهام بن دواس » في الرياض ، و « آل زامل » في « الخرج » ، و « آل سعود » في « الدرعية » (٦٢) .

اما أحوال اقليم برقة السياسية ، فقد خضع مع بقية اقاليم ليبيا منذ عام ١٥٥١ م للحكم العثمانى الذى سيطر على السواحل دون الدواخل ، وعلى هذا أهمل اقليم برقة فلم يلق من عناية الدولة العثمانية أو اشرافها المباشر ما يستحق من اهتمام ، حتى اذا حكمت الولاية الاسرة القرمانلية حاول أمراؤها السيطرة على كل الولاية بما فيها برقة ، ثم عاد الحكم العثمانى المباشر ليجعل من برقة ولاية قائمة بذاتها عام ١٨٣٨ م (٦٣) .

ولقد حاول الحكام العثمانيون جمع السلطة في ايديهم ولكن أهل برقة لم يخضعوا للحكم الجديد ومن ثم حدثت ثورات فصدامات بين أهل البلاد والاتراك ، حتى بات الاتراك يتوقون الى ازالة هذا الشر المستطير ووضع حد للصدام وذلك باستمالة زعماء العرب وأصحاب النفوذ في البلاد ، فكانت هذه الرغبة من جانبهم السبب الاكبر والمباشر الذى دعا العثمانيين الى الاعتراف بالسنوسية ليس فقط كدعوة وطريقة بل كأمارة وسياسة (٦٤) .

---

(٦١) ساطع الحصرى : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٢٣٩ .
(٦٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ١٣ .
(٦٣) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٦٤) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٦ .

وأما في السودان فقد تكونت بعض الامارات العربية الخاضعة لنفوذ غيرها أكثر قوة أو المستقلة بأمرها . وكان اشهر هذه الامارات والسلطنات الاسلامية العربية سلطنتان احداهما على النيل الازرق اسمها « الفونج » في « سنار » ومؤسس هذه السلطنة وعاصمتها زعيم الفونج « عمارة دونقس » أول القرن العاشر الهجرى (٩١٠ هـ الموافق ١٥٠٥ م) (٦٥) ، والسلطنة الاخرى عرفت بسلطنة دارفور في السودان الغربى ، وقد ظل الفونج يعتمدون على مصر في غذائهم الروحى ، فدرس نخبة من ابناء هذه الدولة في الجامع الازهر ، وعادوا الى بلادهم ينشرون بها ما تلقوه من علوم ومعارف دينية اسلامية (٦٦) .

ظل السودان مجزءا حتى تمت وحدة وادى النيل على يد محمد على أول العشرينات من القرن التاسع عشر ، وقد تم فتح أهم أجزاء السودان عام ١٨٢٥ م ، ثم استكمل الخديوى اسماعيل فتح بقية السودان ، وفي ظل الحكم المصرى انشئت عاصمة للسودان هى مدينة الخرطوم عام ١٨٣٠ م ، وغيرها من المدن ، كما استقر الامن في ربوع السودان ، مما جعل الناس ينصرفون الى أعمالهم في الزراعة والتجارة والرعى ، كما أن الحكم المصرى شجع العلماء والمستكشفين للقيام بالرحلات العلمية لكشف منابع النيل (٦٧) ، ولكن استعانة الحكم المصرى وخاصة في عهد الخديوى اسماعيل بالاجانب في عمليات الكشف وفي حكم اقاليم السودان كان له تأثير سيء على السودانيين وعلى الحكم المصرى وبما ادى في النهاية الى تهيئة الجو الذى اتاح للفقيه محمد احمد أن يعلن دعوته بالثورة ضد السلطة الشرعية . .

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية :

انطلقت الدعوات السلفية الثلاث من منطلق دينى استنادا على التكوين الدينى لشخصيات أصحابها وحيث كانت الظروف الدينية للمسلمين تستدعى مخاطبتهم من الناحية الروحية أولا لتطبيق البرنامج

---

(٦٥) د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٦٦) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص٢٤٨
(٦٧) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

الشامل لكل دعوة . وهذا يعنى انه كان لكل صاحب دعوة برنامجا شاملا في النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية . واختيار أصحاب الدعوات للجانب الدينى في البرنامج لتنفيذه يدل على اعتبار ان اصلاح هذا الجانب في نفوس المسلمين اساس لكل اصلاح ولكل ناحية .

والفكر الدينى عند أصحاب الدعوات السلفية (الوهابية ، السنوسية ، المهدية) متكامل ومتشابه ، وان بدا بعض الخلاف في ناحية او أكثر من نواحى هذا الفكر فانما يرجع الى اختلاف في الظروف المحيطة بصاحب كل دعوة او بمدى طموحه في تنفيذ برنامجه . والشيء الواضح في فكر اصحاب الدعوات الثلاث هو الدعوة الى رجوع المسلمين الى ما كان عليه السلف الصالح من سلوك دينى منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يطلق عليه المنهج المدرسي أو المنهج الملتزم .

كانت الدعوة الى التوحيد أو بمعنى اصح التمسك بوحدانية الله هى المبدا الاساسي الذى دعت اليه كل حركة سلفية ، فيفسر محمد بن عبد الوهاب هذا المبدأ بقوله : انى أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وادعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى اوصي بها أول أمته وآخرهم (٦٨) .

وشرح محمد بن عبد الوهاب مبدأ التوحيد مستندا الى ما جاء في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، فقال : ان الله ذكر في القرآن الكريم كثيرا من الايات الكريمة التى تنطق بوحدانيته كقوله : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وقوله : قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . والرسول الكريم يقول : من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل . وفي حديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لى : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله اعلم ، قال فأن حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت يا رسول أفلا أبشر الناس قال « لا تبشرهم فيتكلوا » (٦٩) .

---

(٦٨) حسين بن غنام : المرجع ص ٢١٥ .
(٦٩) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد ... ص ٣٠٢ .

وقال أيضا عن التوحيد : ان التوحيد الذى دعت اليه الرسل من اولهم الى اخرهم هو افراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم ، فمن ذلك لا يدعى الا اياه كما قال تعالى : وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ، فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره فقد اتخذ الهين اثنين ، ولم يشهد ان لا اله الا الله هو المدعو (٧٠) .

ويفسر عبارة « لا اله الا الله » بأن معناها ترك كل معبود غير الله والتوجه الى الله وحده . وأن العبادة اذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير الها مع الله وان لم يعتقد الفاعل ذلك (٧١) .

اى ان معنى « لا اله الا الله » ـ عند محمد بن عبد الوهاب ـ نفى صفة الالوهية عن كل المخلوقات واثباتها لله وحده واعتمد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في رايه هذا على ما جاء بالكتاب والسنة ، فأضاف أيضا أن عبارة « لا اله الا الله » هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون . وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته (٧٢) .

ويرتبط بمبدأ التوحيد عند الوهابية محاربة الشفاعة المبتدعة اى الاستشفاع والاستغاثة بغير الله ، فيقول محمد بن عبد الوهاب : ليس ثمة فرق بين من يرجو البركة عند قبر ولى وبين من يعبد وثنا ، كلاهما قد جعل بينه وبين الله شفيعا يرجى ، وما كان كفار قريش الذين حاربوا دعوة التوحيد الا على هذه الصورة ، كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق العظيم ، ولكن هناك آلهة دون الله يتصرفون وينفعون ويضرون ، ان هؤلاء الآلهة هى الطريق الى الله ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (٧٣) .

ولا ينكر محمد بن عبد الوهاب شفاعة النبى عليه الصلاة والسلام

---

(٧٠) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٣٢٣ .
(٧١) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٣٩٧ .
(٧٢) محمد بن عبد الوهاب : ثلاثة عشر رسالة ص ٢٦٠
(٧٣) محمد بن عبد الوهاب : كتاب كشف الشبهات .. ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

يوم القيامة ، بل انه يعترف ايضا بشفاعة سائر الانبياء والملائكة والاولياء ايضا ، ولكن محبة الانبياء والاولياء الصالحين ليست بالتوسل بهم ولكن في متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين (٧٤) . وأن تسأل الشفاعة من المالك لها وهو الله واذنه فيها لمن شاء من الموحدين فيقال : اللهم شفع فينا نبينا محمدا يوم القيامة ، اللهم شفع عبادك الصالحين او نحو ذلك ، واما ما يجرى على السنة الناس من قولهم يا رسول الله او يا ولى الله اسألك الشفاعة او غيرها كأدركنى أو أغثنى أو نحو ذلك فانه من الشرك ، اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا أثر من السلف الصالح (٧٥) .

واكد محمد بن عبد الوهاب ان الشفاعة كلها لله تعالى كما جاء في القرآن الكريم : « قل لله الشفاعة جميعا » . وانها لا تكون الا من بعد اذن الله ، كما قال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه » . ولا يشفع في احد الا بعد ان يأذن الله فيه كما قال سبحانه وتعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضي » (٧٦) . ومع ذلك فان محمد بن عبد الوهاب لا ينكر زيارة قبور الانبياء والاولياء والموتى عامة ولكن بشرط أن تكون هذه الزيارة للدعاء للميت واتعاظ الزائر ، على أن تراعى فيها الطريقة التى سنها النبى صلى الله عليه وسلم للزيارة (٧٧) ، والا تبنى عليها قباب واضرحة ومساجد ، وعدم خروج النساء خلف الجنائز الى القبور وعمل احتفالات سنوية عندها خاصة قبور الانبياء والاولياء وما يحدث فيها من رقص وتمايل وشطحات وغير ذلك من الاعمال المحرمة أصلا ونهى محمد بن عبد الوهاب عن استحداث بدع في الشرع الاسلامى عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « من استحدث بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة » .

واكمل محمد بن عبد الوهاب برنامجه الدينى بالدعوة لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لكل مقتدر عليه مستوف لشروطه من علماء المسلمين لتحقيق الابداع في التشريع لمواجهة متطلبات العصر والمشكلات التى تواجه المسلمين وليس لها من نص صريح في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح يعالجها ، وجاءت دعوة محمد بن عبد الوهاب هذه استنادا الى أن الله

---

(٧٤) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٧٥) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٢٩٧ .
(٧٦) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ... ص ٢٣١ .
(٧٧) حافظ وهبه : المرجع السابق ص ٢٩٧ .

وحده هو الذى يحلل ويحرم ، وأن كلام المتكلمين في العقائد وكلام الفقهاء في التحليل والتحريم ليس حجة علينا ، والحجة الوحيدة هى في القـرآن والسنة منهما تستنبط الاحكام وفيها فطنة العقائد (٧٨) . ورغم أن الامام أحمد بن حنبل كان مذهبه نبراس محمد بن عبد الوهاب في اسـتنباط الاحكام الا انه اعتبر الائمة الاربعة دون المعتزلة والشيعة والمتصوفين هم من تؤخذ احكامهم .

وكان الفكر الدينى عند السنوسية لا يختلف في جوهره عن فكـر الوهابية الدينى حيث تمثل في الدعـوة الى الرجوع بالمسـلمين والدين الاسلامى الى ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده ، ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الاصلين اللذين يصح الاعتماد عليهما في فهم الاسـلام دون الاجماع والقيـاس المتأخرين (٧٩) . ولم تكن هذه الدعوة الاصلاحية تدعو الى الرجـوع بالاسلام الى ما كان عليه في ايامه الاولى فقط ، بل قرن صاحب الدعـوة بضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة قرن ذلك بعـدم الاكتفاء بالاذكار والاوراد ـ كما تسير الطرق الصوفية ـ أو الاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل الجدى ومـراعاة احـكام الشريعة الاسلامية في الاعمال الخاصة والعامة كما كان العهد في أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده (٨٠) .

وكان معنى هذا ان السنوسية تدعو الى تطهير الاسلام من البـدع والخرافات التى علقت به ، وذلك يتم بالعودة الى أصول الاسلام الاولى ، والبعد عن الحركات المسموح بها في الطرق الصوفية كالغـناء والرقص واظهار الكرامات والمعجزات أو الشطح والتمايل ، وأيضا الاعتـماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كأصلين للدين الاسلامى ، الى جانب عدم الشرك بالله لانه جلت قدرته الواحد الاحد ، ويتم ذلك بعدم التضرع الى الاولياء أو الشخوص الحجرية التى لا تنفع ولا تضر ولان ذلك ينهى الله عنـه (٨١) .

---

(٧٨) د. محمد بديع شريف : المرجع السابق ص ٢٩٩ .
(٧٩) د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٨٠) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٣٦ .
(٨١) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦٣ .

وتضمن الفكر الديني للسنوسية ـ كما هو الحال عند الوهابية ـ كذلك اعتبار باب الاجتهاد مازال مفتوحا ، ومن ثم يجوز الاجتهاد في مسائل الدين الاسلامى التى تواجه المسلمين بشرط ان يراعى المجتهد أصلى الدين الاسلامى الوحيدين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاحكام التى نصا عليها . والدعوة الى فتح باب الاجتهاد التى سبقه اليهـا كل من « احمد بن تيمية » « ومحمد بن عبد الوهاب » لها ما يبررها خاصة وقد تحجرت الافكارعند علماء المسـلمين بسبب اتجاههم نحو التقليد دون التجديد .

ورغم أن محمد بن على السنوسي قد درس الطرق الصوفية المنتشرة على مسرح الحياة الدينية الاسلامية في العالم العربى ، فانه خالف المتصوفين الذين يبالغون في اشكال الحماسة الخاصة بالذكر ، وقصر الذكر في دعوته على اسم الجلالة وجعل لها ما يعرف باسم « الورد » ، ومنع الاستعانة بالدفوف والمواكب والحركات العنيفة التى ترمى الى ازدياد حماسة الاشخاص في الذكر بهز الاجسام بشكل خاص (٨٢) . وبهذا وضع اساسا صحيحا للتصوف يبعده عن الابتذال ويقربه من العبادة .

وفي نفس الوقت دافع محمد بن على السنوسي عن المتصوفين الخالصين ومذهب التصوف الحق فقال : قد يسرى في وهم من ليس له رسوخ قدم في علم القوم أن احوال الصوفية بعضها مباين لما عليه علماء الشريعة كما فاه فيه بعض الجهلة تغالبا او تنقيصا ، فاعلم أن سبيل القوم رضي الله عنهم اتباع النبى صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير ، وكلما ازداد أحدهم اتباعا كلما ازداد كمالا ، لكون الكمال الكلى عندهم في كمال الاتباع ، والا فليس منهم او ناقص عندهم فان أعمالهم موزونة بميزان الشريعة ، فمارجح فيه قبلوه وما لا يرجح نبذوه (٨٣) . وأكد أن من يتصف بهذا الكمال في الاتباع بالتوجه الدائم الى المولى عز وجل في طلب العون والمؤازرة وخشيته دائما وعمل ما يأمر به والابتعاد عما نهى عنه فان رحمة الله واسعة وعنده نعيم مقيم لا أول له ولا آخر (٨٤) .

---

(٨٢) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٤١ .

(٨٣) د. أحمد الدجانى : أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين ١٨ ، ١٩ ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٨٤) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٦ .

وسار الفكر الدينى للمهدية على نفس النسق الذى سار عليه الفكر الدينى عند الوهابية والسنوسية ، اذ دعا محمد احمد المسلمين الى التمسك بوحدانية الله ، وجعل التعبد لله وحده ، وتحريم التطلع للاولياء وزيارة قبورهم ، والامتناع عن شرب الدخان ، وعدم استخدام فاحش القول وشرب الخمر ، وعدم الاستماع الى الموسيقى أو الاشتراك في الرقص ، وضرورة تبسيط حفلات الزواج (٨٥) . وتوجيه الناس الى الكتاب والسنة ومحاربة البدع وغير ذلك من أمور الشريعة كفرض وجباية الزكاة من المسلمين وتوزيع الغنيمة توزيعا شرعيا وهذه أمور كلها تتطلب الاستعانة بالعلم الاصيل والدراسة الفقهية العميقة ، والتعمق في فهم النصوص التى وردت في القرآن والسنة ، ومحاولة الاستنباط استنباطا يفوق جمهرة التابعين(٨٦) .

ودعا محمد احمد ايضا الى العودة بالتشريع الى عهوده الزاهرة ، الى عصر الاجتهاد الاول قبل افتراق الكلمة وظهور المذاهب الاربعة ، وقال في ذلك ان الاجتهاد هو الوسيلة الوحيدة لتقويم السنة ، والهجرة بالدين مما عليه من الانطباعات الزمنية (٨٧) . اى انه هاجم توزع المسلمين بين أربعة مذاهب شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة ، ثم تفرقهم بعد ذلك بين طرق صوفية مختلفة لم يؤد الا الى اضعاف الاسلام ، ووجد ان الطريق الى الله واضح جلى في كل من القرآن والسنة وان معرفتهما كافية للمؤمن الحق (٨٨) . ومن ثم دعا الى الاجتهاد في الاسلام قائلا : وما **العبد الا الاعمال** الموافقة للسنة والكتاب ، من لم يجتهد على ذلك بشق الانفس خسر الدارين (٨٩) .

واضاف محمد احمد المهدى الى ما سبق من مبادىء دعوته الى اقامة الحدود الشرعية مثل قطع يد السارق ، ورجم الزانى ، وينتهج طريقة المرابطين حين يعاقب على ترك الصلاة (٩٠) . ولكنه اشتط حين أعلن : ان

---

(٨٥) د. جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٤ .
(٨٦) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(٨٧) نعوم شقير : تاريخ السودان .. حـ ٣ ص ١٣٧ .
(٨٨) د. جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٣ .
(٨٩) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٤٥ خ
(٩٠) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٢٤ .

من شك في مهديتنا وانكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة (٩١) .
وقد الزم اتباعه ببيعة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله ، والا تشرك به احدا ، ولا تسرق ولا تزنى ،ولا تأتى ببهتان ولا تعطيل في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضا بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الاخرة وعلى ان تفرض الجهاد (٩٢) .

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية :

يشيع بين البعض ان دعوات الاصلاح السلفية ذات مضمون دينى فقط وليس لها مضمون اجتماعى، اىان اصحاب هذه الدعوات لم يكن لهمبرنامج اجتماعى ، والحقيقة غير ذلك لان برنامج الاصلاح عند كل صاحب دعوة سلفية كان برنامجا شاملا موجها الى مجتمعات ذات تراث دخلته شوائب ، والاصلاح الاجتماعى امر له اهميته لنجاح مبادىء الاصلاح الشاملة .

فاذا بدانا بالمضمون الاجتماعى في فكر الامام محمد بن عبد الوهاب باعتباره صاحب اول دعوة سلفية ناجحة في الوطن العربى لوجدنا هذا المضمون يتمثل في قيامه برحلات الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج وزار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، واجتمع هناك الى فقهاء وعلماء من مذاهب سنية متنوعة ، ورأى ما يحدث أمام قبر الرسول عليه الصلاة والسلام من بدع ومن نداءات شركية وطلب الغوث والشفاعة ، وسمع من استاذه وصفا لهذه الاعمال بقوله استنادا الى قول الله تعالى :

« ان هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون » (٩٢) .

وقام محمد بن عبد الوهاب برحلة اخرى الى العراق حيث مكث بمدينة البصرة اربع سنوات شاهد خلالها ما يفعله غلاة الشيعة عند قبور واضرحة الاولياء وآل البيت من تقديس واعمال تدل على الجهل والضلالة ، فأخذ ينتقد هذه الاعمال حتى ضاق به اهل البصرة واستنكروا صراحته في نقد

---

(٩١) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٩٢) نفس المرجع ص ١٣٩ .
(٩٣) عبد العزيز آل الشيخ : تعقيب على كتاب الدعوة الوهابية لعبد الكريم الخطيب ص ٤٧ .

أفعالهم المنافية لجوهر الدين الاسلامى فأخرجوه من بلدهم فحدثته نفسه بالذهاب الى الشام ولكن ضيق ذات اليد جعله يعدل عن فكرته هذه ويتجه الى بلدة « حريملا » بنجد وفيها أعلن دعوته .

وتجلت شمولية الدعوة الوهابية في التفكير في نشرها بين المجتمعات الاسلامية في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وفي منع خروج النساء خلف الجنائز الى القبور ، وغير ذلك من امور اجتماعية تشوه صورة المسلمين وتبعدهم عن الاسلام . ان قطع « ذكر » للنخيل كان الناس يتبركون به ، وقطع شجرة عرفت باسم « شجرة الذيب » كثر زوارها وقاصدوها ، واقامة الحد على امرأة من بلدة العيينه « اعترفت بارتكاب الزنا بعد ان تأكد الامام من سلامة عقلها وصحة فعلتها ، كل ذلك مضامين اجتماعية سعى الامام محمد بن عبد الوهاب الى توجيه مجتمع نجد اليها وادراك حقيقتها خاصة بعد ان قام جماعة ممن كانوا مستمتعين ببعض الاباحات الكاذبة التى خلفتها لهم دولة القرامطة يصرخون ويحتجون على أفكار الوهابية الاصلاحية .

ولا يقلل من وجود مضمون اجتماعى في فكر محمد بن عبد الوهاب مقاومة بعض القبائل في شبه الجزيرة العربية لمبادىء الدعوة الوهابية ، لان هذه المقاومة هى نتيجة لما طبعت عليه تلك القبائل من حب القتال والاغارة على من جاورهم أو الهجرة الى ارض جديدة ، وشيوع العصبيات المحلية القبلية التى تمزق المجتمع واستمرار غارات السلب والنهب والغزو كمصدر للعيش في الصحراء ، الى جانب عدم المثول لسلطة الغير والقتال في سبيل عدم الانضواء تحت راية قبيلة أخرى مهما كانت هذه القبيلة ذات رسالة للاصلاح .

ولم يكن الجانب الاجتماعى في الدعوة السنوسية ببعيد عن جوانبها الدينية والسياسية . ذلك أن الجانب الاجتماعى عند السنوسية يتمثل في نشر فضائل الاسلام عن طريق الزوايا التى مارست دورا كبيرا بل الدور كله تقريبا في نشر الدعوة السنوسية ليس فقط في برقة بل في غيرها من الاقطار العربية امتدادا من الحجاز مرورا بمصر حتى أقطار الشمال الافريقى ، وأيضا نشر الدين الاسلامى بين شعوب غرب ووسط أفريقيا الوثنيين (٩٤) .

---

(٩٤) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦٤ .

ويتضح الجانب الاجتماعى في فكر الامام محمد بن على السنوسي من كلماته لاحدى القبائل حيث جاء فيها : انا نريد ان ننشر السلام بينكم وبين الاعراب الذين يغيرون على بلدكم ويستعبدون اولادكم ، ويبتزون اموالكم ، وانا بعملنا هذا نقوم بما امر الله بهفي كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ، ويقول سبحانه وتعالى ايضا : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى المساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم (٩٥) .

كما تمثل الجانب الاجتماعى عند السنوسيين في دعوة امامهم اياهم بعدم الاقتصار على العبادة والتصوف بل دفعهم الى ان يكونوا عبادا عاملين منتجين في الزوايا التى تضم الى جانب المسجد والمدرسة المزرعة والمتجر ، يقوم المسلمون فيها بالعمل في شتىالمجالات التى تحويها الزاوية ، ولعل خير ما يمثل هذه الروح التى ارادها صاحب الدعوة أن تكون روح الجميع ، هو أن بناء الزاوية نفسه كان يقوم به أهل القبيلة او القبائل التى تبنى في أرضها الزاوية ، فالزاوية اذن منذ وضع حجرها الاساسي كانت رمزا للنشاط والانتاج (٩٦) .

وقد امكن للدعوة السنوسية بفضل دعاتها وزواياها المنتشرة بين القبائل في برقة وغيرها من الاقطار العربية والافريقية ان تؤاخى بين القبائل المتدابرة وان تؤلف بينها وتعلمها كيف يكون الاخاء وكيف يكون الايثار ، حتى اصبحت كلمة « الاخوان » تعنى الوفاء والاخلاص ، وتذكرنا بالاخوة الاسلامية في عهدها الاول (٩٧) . الى جانب تحويل المناطق المقفرة ومعاقل قطاع الطرق الى اماكن امن يأوى اليها الناس للاهتداء الى سواء السبيل وحفظ القرآن الكريم ومدارسة العلوم الدينية واللغوية .

وعلى هذا فأن تأثير الدعوة السنوسية الاجتماعى كان انقطاع الخلافات بين القبائل العربية التى اخذت ترتبط فيما بينها برباط الدعوة السنوسية والاخوة الاسلامية ، وانقطعت الاغارات على المضارب وأمن المسافرون في

---

(٩٥) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٩٦) د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٩٧) جامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية .. ص ١٦ .

الصحراء من غزوات قطاع الطرق ونهبهم لامتعتهم ، فانصرف النـاس الى الانتاج الزراعى في ارض الزوايا والى الرعى في مراعى الزوايا ، وسـارت قوافل التجارة في أمان لخير الناس دون أن تتعرض لما كانت تتعرض له من قبل من مصاعب في الوقت الذى تعددت فيه الزوايا بتعدد القبائل (٩٨) .

وحرص الامام محمد بن على السنوسى ان يجعل من اتباعه ومن شيوخ الزوايا بصفة خاصة قدوة في المعاملات الاجتماعية ، اذ رأيناه يوصي العلامة ابن الشفيع خليفته في زاوية المدينة المنورة بقوله : وحسنوا اخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير وللصغير ، واتبعوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفقوا فأن الرفـق ما كان في شيء الا زانه ، وأن الحمق ما كان في شيء الا شانه ، وارفعوا همتكم عن الخلق وقال : عليكم بالمناصحة والمذاكرة وارشاد عباد الله اليه والمدارسةوالاجتماعوالتحاببوالتوادد فيما بينكم ، ولاتباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وعلى البر اعوانا (٩٩) .

وخلاصة القول ان الزوايا السنوسية كانت مجتمعات متكاملة يقـوم فيها كل فرد بالواجب المناط به كمواطن مسلم وينال حقه كاملا وهى خلايا اجتماعية ومراكز ثقافية اسلامية ساهمت عن طريق رجالها بالوظيفة الشاملة التى ارادها لها مؤسس الدعوة السنوسية ، تلك الوظيفة التى لم تقتصر على الناحية الاجتماعية والدينية بل تعدت ذلك لتشمل النواحى التعليمية والاقتصادية والاستراتيجية .

واما ما يختص بالمضمون الاجتماعي في فكر الامام محمد احمد المهدى ، فانه ينبع من كونه ينحدر من قبائل «الكنوز» الذين يقيمون في النوبة وينتمون الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وانتسابه الى قبـائل الكنـوز قد جنبه الانتساب لاحـدى المجموعتين القبليتين العربيتين الكبيرتين في السودان وهى « جهينة » « والجعليين » المتنافستين بل المتعاديتين فتجنب بذلك عداء مجموعة لم ينتسب اليها (١٠٠) ، واتجه بدعوته الى التنظيمات القبلية الاقل قوة من تلك المجموعتين والتى سارعت الى تأييده تحقيقا لمغنم أو تأثرا بدعواه وشخصيته .

---

(٩٨) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

(٩٩) جامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية ، الملاحق .

(١٠٠) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٣ .

وانطلاقا من اختلاط محمد احمد المهدى بالناس على جميع المستويات اثناء ترحاله في طلب العلم ادرك مدى ما يقاسونه من مظالم وفقر وبؤس ومدى ما هم فيه من ضلالة وخرافات ، فدعا الى تبسيط بعض مظاهر حياة الناس الاجتماعية مثل خفض المهور عند الزواج ، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة ، والنهى عن شعر العارية اى خروج النساء مكشوفات الراس ، وعدم الاحتفال بالأعراس ، ومنع البكاء وراء الميت وابطال السحر والتعزيم (١٠١) . كل تلك مبادىء اجتماعية راى محمد احمد انها تنقى المجتمع العربى في السودان من الخرافات وتقوى من عوده لكى يواجه الحكام الظالمين.

اعتمد محمد احمد المهدى منذ البداية على التنظيمات القبلية لانجاح دعوته ، ومن بعده سار خليفته عبد الله التعايشي على نفس السياسة ، فوجدنا المهدى لكى يزيد من انصاره يحاول استرضاء القبائل بأباحة تجارة الرقيق بعد ان كانت الحكومة تحرم هذه التجارة ، لان تجار الرقيق كانوا يمثلون في البلاد طبقة قوية من الاعيان والتجار وزعماء القبائل الذين كانت في يدهم الثروات الكبيرة والذين رأوا في المهدية ما يحقق مصالحهم . هذا بالاضافة الى جهل الاهالى وسرعة تصديقهم للخرافات والاوهام واعتقادهم من قبل بقرب ظهور المهدى المنتظر ، فأقبلوا على دعاوى محمد احمد يصدقونها ويؤمنون بها دون تفكير ولا تحقيق (١٠٢)

وكان لشخصية محمد احمد المهدى تأثير قوى في نفوس مريديه وانصاره ، فعن طريق قوة شخصيته استطاع ان يجمع حوله الانصار وان يبعث فيهم روح الطاعة لاوامره والاستخفاف بالموت في سبيل تأييد دعوته ، ولقد كان لمزاياه الشخصية وما عرف عنه من الزهد والصلاح والتقوى وايمانه بدعوته وذكائه وحزمه ، اثره في نجاح دعوته وفي انتصاره على قوات الحكومة في عدة معارك .

ومما يؤكد ارتباط المضمون الاجتماعى للمهدية بشخصية محمد احمد أن زعامة المهدى اثناء حياته وسمعته وشهرته الشخصية كزعيم دينى قبل اى اعتبار آخر كفت عندئذ لتوجيه دعوته ، فعاشت هذه الدعوة التى اتخذت طابع الثورة من غير تنظيم لان زعامة المهدى اغنت عن التنظيم في هذه

---

(١٠١) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(١٠٢) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١١١ .

المرحلة (١٠٣) ، الا ان المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الانقسامات والخلافات بين القبائل وحكومة الخليفة عبد الله التعايشي .

خامسا : الاتجاهات السياسية في الدعوات السلفية :

كان للدعوات السلفية اتجاهات سياسية حرصت على الاخذ بها والاعتماد عليها في نشر الدعوة ومبادئها ، ولقد تشابهت الدعوات الثلاث في ان يمسك العرب زمام حكم انفسهم بأنفسهم ليتمكنوا من تطبيق المبادىء السلفية ، خاصة ان الدولة العثمانية كانت تمسك بزمام الامور في معظم البلاد العربية وتخضعها لسيادتها عن طريق حكام غير عرب ، كما ان الحكم العثماني مسئول عما اصاب العرب المسلمين من تخلف وشيوع الجهل والفقر بينهم نتيجة العزلة التى فرضها العثمانيون على الاقطار العربية الى جانب ما اتسم بـه الحكم العثمانى من رجعية وعدم تجديد .

واذا كانت الدعوة الوهابية قد انطلقت من نجد بشبه الجزيرة العربية ونجد لم تطأها قدم العثمانيين ، فان سيطرة العثمانيين على الحجاز والعراق واليمن بل والاحساء والكويت ثم قطر قد احاط بنجد بحيث يقف الوجود العثمانى حائلا دون امتداد الدعوة .

وحيث وجد محمد بن عبد الوهاب انه في حاجة الى قوة سياسية تكون صنوا لدعوته الدينية وتعمل على نشرها داخل نجد وخارجها ، فقد تمثلت تلك القوة في الاسرة السعودية التى تنتسب الى قبيلة عنزة احدى قبائل ربيعة ، والتى يعد سعود بن محمد بن مقرن مؤسسها باعتباره اول من سيطر على منطقة الدرعية ، وبعد وفاته عام ١١٣٧ هـ الموافق ١٧٢٤ م تعاون ابناؤه فيما بينهم على بسط نفوذهم في هذه المنطقة حتى وفد اليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاهد مع الامير محمد بن سعود على تطبيق ونشر المبـــادىء الدينية الاصلاحية (١٠٤) .

وقام تحالف محمد بن عبد الوهاب والامير محمد بن سعود على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله واقامة الشريعة الاسلامية والامر بالمعروف

---

(١٠٣) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤١٥ .

(١٠٤) د. حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية ص ٧٢ .

والنهى عن المنكر ، وان يظل الامام ـ محمد بن عبد الوهاب ـ مقيما في الدرعية لا يبارحها ولا يتحلل من هذا التحالف ، وجاء تعهد الامام للامير السعودى في العبارة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة : « الدم بالدم والهدم بالهدم » (١٠٥) .

كان التحالف بين محمد بن عبد الوهاب والاسرة السعودية في الدرعية بداية لنشر الدعوة الوهابية في بقية بلاد نجد وانحاء شبه الجزيرة العربية وبداية للصدام مع الدولة العثمانية ، وقد انطلق الحليفان لنشر الدعوة خارج الدرعية باعداد الجيوش التى توجه لرد المهاجمين والمناهضين للدعوة، وارسال الرسائل الى الحكام والامراء للدخول في الدعوة (١٠٦) ومما يجب ملاحظته ان الامام محمد بن عبد الوهاب اهتم بالجانب الدينى للدعوة وترك شئون الحكم والسياسة لآل سعود وقد تم ذلك في تناسق كامل انطلاقا من التحالف بين الطرفين ، وسارت الدعوة الوهابية بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب على نفس السياسة اذ اهتم ابناؤه وعلماء الدعوة بالناحية الدينية بينما استمر آل سعود يحكمون ويعملون على نشر مبادىء الدعوة التى صارت مذهبا تدين به الدولة السعودية وتعمل في ظله وتسعى لنشره وتحارب من اجله .

وكانت الاتجاهات السياسية عند الدعوة السنوسية تقوم على ان الدين الاسلامى لم يفرق منذ ظهوره بين الدين والدولة منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وخلفاء بنى امية وبنى العباس بل وحتى سلاطين آل عثمان في تركيا جمعوا في يدهم السلطتين الدينية والزمنية ، وحيث ان الاسلام كان دينا وسياسة فانه منوط بصاحب الدعوة أن يجمع بين الصفتين الدينية والسياسية لتدبير شئون الدنيا للمسلمين الى جانب شئون الدين (١٠٧) .

وعلى هذا كانت الدعوة السنوسية وسيلة لانشاء الامارة لانها أوجدت بفضل النظام الدقيق الذى وضعته لاتباع الطريقة نوعا من السيادة الدينية

---

(١٠٥) كناية عن الارتباط الوثيق بينهما كل منهما ولى دم الآخر يطلب به ويثأر له ويهدم بيت أعدائه اذا هدموا بيته . عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق ص ٦٦ .
(١٠٦) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٢١ .
(١٠٧) نفس المرجع . ص ٢٢٦ .

والدنيوية معا على خير ما يقيمه الاسلام من أسس لذلك ، حتى أصبحت السنوسية تسيطر على أفئدة المسلمين الذين بلغتهم هذه الدعوة (١٠٨) ، عن طريق الشيوخ والاخوان والدعاة الذين يختارهم صاحب الدعوة ويعدهم اعدادا دينيا وسياسيا يؤهلهم لقيادة القبائل التى توجد بأرضـــها الزوايا السنوســية .

ومما يؤكد الاتجاه السياسي للدعوة السنوسية الى جانب التنظيـــم المحكم لادارة الزوايا دعوة محمد بن على السنوسي أتباعه بالاستعداد الحربى بتعلم الرماية واستخدام السلاح وركوب الخيل وعدم الاكتفاء بتعلم العـــلم أو ممارسة العبادات والشعائر الدينية لان المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف ومن ثم طلب من كل فرد من الاخوان الســـنوسيين ما دام قادرا وغير عاجز او مشغول ان يكون مستعدا للطوارىء متهيئا للحرب منتظرا للامر منفذا له بكمال طاعته ، ومن كان فقيرا فسلاحه وراحلته من الزوايا ألتابع لها او من اغنياء الاخوان انفسهم (١٠٩) .

وكان تسليح السنوسيين دليلا على وضع الاساس المادى للامـــارة السنوسية بوجود قوة عسكرية جاهزة ومستعدة للدفاع عن الدعوة والامارة ضد أعدائها سواء كانوا من القـــوى المحلية أو الخارجية ، وقـد اثبت السنوسيون وجودهم في مواجهة الغزو الفرنسي لغرب أفريقيا اواخر القــرن التاسع عشر ، وفي مواجهة الغزو الايطالى لليبيا أوائل القرن العشرين .

كما تمثل الاتجاه السياسي عند السنوسية في وصية صاحب الدعـوة باسناد رئاسة الدعوة والامارة الى الاكبر الارشد من الاسرة السنوســية ، بالاضـــافة الى اتبـــاع نظـام البيعة الاسلامى ، اذ عمـــل محمد بن على السنوسي في حياته على تقديم ابنه الاكبر « محمد المهدى » للصـــلاة والبسه السيف وخلع عليه عباءة « جردا » وصافحه دليلاعلى المبايعـة ، ومن ثم تقدم كل الحاضرين من أفراد الاسرة السنوسية ومن الاخـــوان الى مصافحة ــ مبايعة ــ محمد المهدى ، فكانت تلك المبايعة قبولا منهـم في حياة صاحب الدعوة نفسه . وبذلك جمعت السنوسية في نظام الحـكم

---

(١٠٨) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين دولة ص ٤٥ .
(١٠٩) نفس المرجع ص ٥٢ .

بين مبدا الوراثة الصلبية والعمل بمبدا الشورى ، وحققت في هذا بعض شروط الامامة (١١٠) .

وهكذا جاء الاتجاه السياسى عند السنوسية مرتبطا بالجانب الدينى في شخص صاحب الدعوة الذى نادى بالعودة الى السلف الصالح في الامور السياسية الى جانب النواحى الدينية والاجتماعية حيث كانت شروط الخلافة الاسلامية تقوم على اعتبار الخليفة عربى مسلم قرشي ومن بيت النبوة وهذه الشروط تنطبق عليه . ومن ثم انتقد سيطرة الدولة العثمانيةعلى العالم العربى بسبب مسئوليتها عن تمكين العناصر التركية من الغلبة على شعوبها العربية واقامة الحكومة الاستبدادية في بلادهذه الشعوب (١١١).

وفي هذا الاطار اختلفت السنوسية عن الوهابية في الشكل ، اذ بينما ترك محمد بن عبد الوهاب شئون الحكم والقوة والسياسةللاسرة السعودية في اطار التحالف الابدى بين الطرفين ، جمع محمد بن على السنوسي السلطتين الدينية والزمنية في يده وفي يد بنيه من بعده حتى اقيمت آخر الامر الامارة السنوسية ثم المملكة « السنوسية » .

وأما الاتجاه السياسي عند المهدية فقد قام على ايمان محمد احمد بارتباط الدين بالسياسة أى بين الظواهر الدينية والامور السياسية ، اذ انه اعتبر هذين الميدانين متصلين ومرتبطين احدهما بالآخر تمام الارتباط ، كما كان عليه الحال في العصور الاسلامية الاولى ، فكان رأس الدولة هو امير المؤمنين وامامهم ، وكان على هذا الشعب أن يطيعه ما لم يوصه بمعصية الخالق ، والمهدى يتفق في هذا مع السنوسية ، الا انه كان يهدف الى هدم الحكومة القائمة أولا ثم اقامة حكومة دينية في مكانها تعمل على تطبيق الشريعة ، ويصبح هو ــ أى محمد أحمد ــ رئيسها الدينى والزمنى في آن واحد (١١٢) .

ولم يتوجه محمد أحمد بمبادئه الاصلاحية الى الحكومة القائمة ، وهى الحكومة التى يرأسها حكمدار يعينه باشوات مصر من أسرة محمد

---

(١١٠) د. محمد شكرى : المرجع السابق ص ٥٥ .
(١١١) نفس المرجع ص ١٧ .
(١١٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٥ .

على منذ فتح السودان عام ١٨٢١ م ، لانه اخذ على رجال الحكم ابتعادهم عن تعاليم الاسلام ، وانما توجه بمبادئه الى القبائل السودانية التى رحبت في معظمها بالدعوة المهدية لتحقيق مغانم اقتصادية وسياسية كأباحة تجارة الرقيق والغاء احتكار الحكومة لمعظم السلع المهمة بالسودان ، وكان على راس المؤيدين للمهدية قبائل البقارة العربية وقد ايد زعيمها عبد الله التعايشي الدعوة المهدية وحاول ان يجعل محمد احمد يعلن انه « المهدى المنتظر » على شريطة ان يستوزره (١١٣) .

وتجلى الاتجاه السياسي للمهدية ايضا في القاء محمد احمد باللائمة على الاوروبيين فيما حدث للدين الاسلامى والمسلمين من احداث بدلت احوالهم الى الاسوأ ، وخاصة الانجليز الذين سيطروا على الامور حتى في مصر ذاتها ، كما انه هاجم الخديوى توفيق لأنه احل للانجليز الذين جاءوا بكبرهم وخيلائهم الدماء والاموال والاعراض ، وهذا ليس من صفات الحاكم العادل المسلم الحق ،وان الاسلام يدعو الى طرد هذا العدو . وان يكون المسلمون يدا واحدة على اقامة الدين واخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، لان هؤلاء الاعداء قد ظلموا أمة محمد ، وان رد الظلم لا يتم الا بالقضاء عليه (١١٤) .

ولم يكتف المهدى بالدعوة لطرد الاوروبيين ، بل طالب بطرد المصريين من السودان باعتبار ذلك الوسيلة التى يمكن عن طريقها تقرير العدالة . ورفع الظلم ، وليملأ السودانيون المناصب التى يشغلها الاوروبيون والمصريون ، ولرفع البؤس واليأس عن السكان الوطنيين (١١٥) ، والتخلص من سوء الادارة التى نشأت بسبب استخدام البريطانيين في عمليات التوسع والحكم المصرى في السودان (١١٦) ، وأعلن محمد احمد وجوب الامتناع عن دفع اية ضريبة غير العشور او الزكاة فقط التى نص عليها الكتاب الكريم ، ثم دعا الى شيوع الملكية فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون أخيه المؤمن ، بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوى (١١٧).

كما تمثلت الاتجاهات السياسية عند المهدية في كونها حركة عالمية لا محلية تريد ان تمد يد الاصلاح الى الاقطار الاسلامية كلها ، ويظهر ذلك

---

(١١٣) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٢٩٢ .
(١١٤) نعوم شقير : المرجع السابق جـ٣ ص ٣٧٤ .
(١١٥) Hamilton : The Anglo Egypian Sudan. P. 67.
(١١٦) Sudan Notes and Records, Vol. XL (1959) P. 79.
(١١٧) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٩١ .

من كتب ورسائل المهدى وخليفته عبد الله التعايشي الى الملوك والزعماء في الاقطار العربية والاسلامية ، وقد اهتز لحركته المسلمون جميعا وراوا فيها رغبة مخلصة لاصلاح أحوال المسلمين ، وقد جاءته الوفود من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب (١١٨) ، كما تظهر تلك الدعوة العالمية من فكرته بتأسيس دولة اسلامية مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة .

وكان المهدى يسعى الى وحدة وادى النيل تحت زعامته وان كان لم يرسل جيشا لضم مصر في حياته بسبب وفاته المفاجئة بعد سقوط الخرطوم في يده بخمسة شهور تقريبا ، فقد وجه خليفته عبد الله التعايشي ثلاث رسائل في مارس ١٨٨٧ م الى كل من السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية والخديوى توفيق باشا مصر والملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى يدعوهم فيها الى اعتناق المهدية قبل أن تطأ جيوشه بلادهم وتنتقم منهم ، وكان غرضه خصوصا من الكتابة الى هؤلاء الثلاثة الحصول على اعترافهم بحكومته (١١٩) . وحتى يأمن على بقاء السلطة في يده وانتقالها الى ذريته من بعده ، ويحقق في نفس الوقت أمل المهدية في السيطرة على كل وادى النيل شماله وجنوبه ، ثم ارساله جيشا يقوده عبد الرحمن النجومى لغزو مصر في مايو ١٨٨٩ م ، ولكن هذا الجيش لقى الهزيمة فتوقفت مشروعات المهدية لضم مصر الى السودان تحت راية المهدية .

وكان من الاتجاهات السياسية عند المهدية أيضا التعاطف مع الحركة الوطنية العرابية في مصر ، واذا كان عرابى لم يخف وهو في منفاه تأييده وميله الى المهدى وأعلن أنه كان ينوى تعيينه حاكما عاما على السودان(١٢٠). فان المهدى كان يعطف على عرابى ، ولعل قيام عرابى ضد الحكومة المصرية الخديوية قد صادف هوى في نفسه مما شجعه على تقليده وجعله موضع عطفه وتقديره (١٢١) ، ويذكر البعض أن المهدى ـ أثناء حصار الخرطوم في

---

(١١٨) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٩ .
(١١٩) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٢٥ .
(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١١٤ .
(١٢١) ابراهيم فوزى باشا : السودان بين يدى غوردون وكتشنر حـ ١ ص ٣٩٨ .

يناير ١٨٨٥ م ـ أمر رجاله بالمحافظة على حياة جنرال غوردون ، الانجليزى المكلف باخلاء السودان من المصريين ، قائلا : انى أريد ان أفتدى به أحمد عرابى باشا (١٢٢) . وهذا الاتجاه السياسي يدل على عمق الروابط بين الشعبين المصرى والسودانى ووحدة وادى النيل .

ومن الاتجاهات السياسية عند المهدية كذلك محاولة اقامة تحالف مع السنوسية في برقة لغزو مصر ولنشر المهدية في شمال وغرب افريقيا ، ولكن زعيم السنوسية ـ محمد المهدى ـ رفض الانضمام الى المهدية بسبب العنف الذى صحبها في الانتشار بالسودان خاصة ما كان يجرى بعد الانتصار في المعارك العسكرية على قوات حكمدارية الخرطوم من قتل للانفس البريئة وسلب لاموال الناس وهتك للاعراض ، ومن ثم رأينا « محمد المهدى السنوسي » يطلب الى الشعوب الاسلامية في افريقيا خاصة في سلطنات « واداى » و « برنو » والبلاد المجاورة أن تمتنع عن تأييد « مدعى المهدى » محمد أحمد (١٢٣) .

كذلك من اتجاهات المهدية السياسية ادعاء محمد أحمد أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم يأتيه في المنام ، وعندما انتقل من جزيرة « آبا » الى « جبال النوبا » بكردفان اطلق على هذا الانتقال هجرة ومن صحبه من الاتباع مهاجرين ، كما اطلق على أهل كردفان الذين استقبلوه في أرضهم وسمحوا له بالبقاء فيها ، اسم الانصار (١٢٤) ، كما أنه اتخذ له أربعة خلفاء تشبها بالخلفاء الراشدين،كان الخليفة الاول عبدالله التعايشي زعيم قبائل البقارة ، وعرض محمد أحمد على « محمد المهدى السنوسى » أن يضعه في مقام الخليفة الثالث ـ عثمان بن عفان ـ في نظير أن يقوم « السنوسي » من جهته بشن الحرب على الانجليز في مصر ، ولكن السيد السنوسي رد على مهدى السودان : بأن مقام عثمان لا ينساله لا أنا ولا أنت (١٢٥) .

وهكذا كانت اتجاهات المهدية السياسية عنف وتطرف في معظم نشاطها ، ومن ثم لا نعجب أن اعتبر المؤرخون المهدية بأنها ثورة أكثر من

---

(١٢٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٤١ .
(١٢٣) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٧١ .
(١٢٤) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٣٧ .
(١٢٥) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٧٢ .

اعتبارها دعـــوة ، هذا على الرغم من أن المهدية في جانبها الســـياسي اتفقت في بعض الامور مع الوهابية والسنوسية كاقامة الدولة الاسلامية ونشر الدعوة ووجود الامامة ...

سادسا : تقييم الدعوات السلفية الثلاث :

على الرغم من تقسيم الدعوات السلفية الثلاث في الدراسة الى جوانب دينية واخرى اجتماعية وثالثة سياسية ، فان لهـذه الدعوات رسـالة شاملة ، ورغم ما وجد من ســـلبيات علقت بتنفيذ مبادىء دعوة او اكثر منها ، فان اثرها في اليقظة الاسلامية لا يمكن انكاره ، وليس ادل على ذلك من استمرارها حية في نفوس العرب والمسلمين حتى يومنا هذا .

فالدعوة الوهابية وان اتهمها البعض بالشدة في تطبيق مبادئها ، فانها ليست بدعة جديدة ولكن الجديد فيها هو ظهورها في زمن بدا فيه ان كل شيء مخالف لما درج عليه الناس منذ سنوات ، واصبح من عاداتهم يعتبر بدعة مدعاة للاستنكار،واذا كانت الدعوة قد لقيت معارضة،فان ذلك سنة كل جديد على القوم في كل زمان بل وفي كل مكان (١٢٦) . ولم يلجأ الوهابيون الى مقاتلة معارضيهم الا بعد اقامة الحجة ، وفي ذلك يذكر الامير سعود الكبير الذى فتح الحجاز منذ عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، اننا ندعو النـاس الى وحدانية الله ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع السلف الصالح من الامة (١٢٧) .

والدعوة الوهابية دعوة اصلاحية خالصة غرضها اصـلاح الخرق، ونسخ الشبهات وابطال الاوهام ونقض التفاسير المختلفـــة والتعـــاليم المتضاربة التى وضعها اربابها في عصور الاسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الاولياء (١٢٨) ، وان محمد بن عبد الوهاب لم ينظر الى المدنيـــة الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه في اصلاحه الى الحياة المـادية ،

---

(١٢٦) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(١٢٧) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، احداث يوم ٢٩ صفر ١٢١٨ هـ ، صورة كتاب الامير سعود الكبير لحجاج بيت الله الحرام .

(١٢٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٦٤ .

وانما اتجه الى العقيدة وحدها ، فعنده ان العقيدة والروح هما الاســاس وهما القلب ان صلحا صلح كل شيء ، وان فسدا فسد كل شيء (١٢٩) .

ويصور الدكتور طه حسين بأسلوب بليغ دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أثارت الانتباه العالمى خلال القرن الثامن عشر الميـلادى وما بعده في قوله : ان مبدأ الحركة جديد وقديم معا ، انه جديد بالنسبة الى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الامر لانه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى خالصا لله وحده ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس ، هو احياء للاسلام العربى وتطهير له مما اصابه من نتائج الجهل ومن نتــائج الاختلاط بغير العرب (١٣٠) .

وعلى هذا فلا يمكن اغفال تأثير الدعوة الوهابية على الفكرة العربيــة التى كانت مغمورة تحت السيطرة التركية على الاقطار العربية ، واذا كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب قد اهتدت بها حركة محمد بن على السنوسي الاصلاحية في ليبيا وحركة محمد احمد المهدى في السودان ، وفكرة الجامعة الاسلامية في مصر طوال القرن التاسع عشر ، فان الدعوة الوهابية قد نبهت اذهان العرب بضرورة ايقاظ وعى العروبة واعادة امجادها ونقض السيطرة التركية ، ولعل هذا الاتجاه كان دافعا لكى تلتف القلوب حول آل ســعود العرب الخلص : كما كان له تأثير على فكرة الشريف حسين في الحجاز لاقامة دولة عربية كبرى تشمل شبه الجزيرة العربية والعراق وكل بلاد الشام بعيدا عن السيطرة التركية (١٣١) .

وكان نجاح السنوسية مستندا الى الاسلوب الذى اتبعته في تنفيذ مبادئها ، ذلك الاسلوب السلمى الذى بدأ بالمؤاخاة بين القبائل الاســلامية ونشر الدعوة بينها بالتدريج وبالحسنى ، واستخدام ما عرف « بالزوايا السنوسية » كأداة لنشر الدعوة ، تلك الزوايا التى سارع الى انشــائها في أرضهم اهل كل قبيلة وسلموا زمام امرهم الى شيخ الزاويــة الذى يعينه

---

(١٢٩) د. احمد امين : زعماء الاصلاح .. ص ١٨ .

(١٣٠) د. طه حسين : الحياة الادبية في جزيرة العرب ، مجلة الهلال مارس ١٩٣٣ م .

(١٣١) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

صاحب الدعوة فانتقلت بذلك الرئاسة والزعامة من شيخ القبيلة الى شيخ الزاوية السنوسية .

كما ان الزوايا التى انتشرت في انحاء شتى من الوطن العربى والافريقى امتدادا من الحجاز فمصر فبرقة وطرابلس وفزان والجزائر وتونس الى تشاد وموريتانيا والسنغال ، ادت رسالة شاملة تعليمية ودينية واجتماعية وعسكرية . ورغم ان الرسالة الدينية استحوذت على اهتمام الزاوية الاول حين تمثلت تلك الرسالة في التنفيذ العملى لاحكام الاسلام ومبادئه بالحكم الشرعى بين المواطنين والتربية الدينية والخلقية للمريدين والاخوان واعداد الدعاة والمواطنين (١٣٢) . فقد حملت هذه الزوايا رسالتها الشاملة الى الشعوب الوثنية في قلب افريقيا الغربية والسودان والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل المتوحشة البدوية الى الاسلام طائعة مختارة (١٣٣) .

كما انه بحكم استقرار الزوايا اضطرت كل قبيلة ان تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة بها ، وقد اقتضى منها هذا الموقف عدم البعد عنها حتى يسهل لها الاتصال بها كلما دعت الضرورة الى ذلك ، وبمرور الزمن تعودت القبيلة نوعا من حياة الاستقرار والاقامة بعد ان كانت لا تعرف لذلك سبيلا (١٣٤) . هذا الى جانب تساوى الجميع في الواجبات مع تساويهم في الحقوق ، فكل طالب علم في الزاوية عليه أن يؤدى ما أنيط به من عمل مساءيومىالخميس والاثنين — ويوم الجمعة راحة — ويستوى في ذلك الصغير والكبير والغنى والفقير ، اذ ليس هناك نظام الطبقات المفرق عادة بين صفوف الامة (١٣٥) .

ومبعث نجاح السنوسية كذلك دعوتها الى العمل والانتاج ، ومن المأثور عن « محمد المهدى السنوسي » انه كان يقول للاخوان والمريدين الذين كانوا يطلبون اليه ان يعلمهم الكيمياء : ان هذه تحت سكة المحراث وانها هى كد اليمين وعرق الجبين ، بل كان يعمل مع العاملين في الزراعة والحرف ويقول: أيظن أهل الوريقات والسبيحات — اى العابدين القانتين المنعزلين — انهم

---

(١٣٢) التعليم الدينى في ليبيا ص ١٢ .
(١٣٣) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٥٠ .
(١٣٤) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٦٢ .
(١٣٥) محمد الطيب الاشهب : السنوسي الكبير ص ٥٠ .

يسبقوننا عند الله ، لا والله ما يسبقوننا (١٣٦) .

كما كان مبعث نجاح السنوسية واثرها هو بعدها عن الصدام مع القوة الاسلامية المسيطرة في العالم العربى واعنى الدولة العثمانية والتهيؤ للوقوف امام قوات الغزو الاوروبية،ومن هنا صار رجال الزوايا مقاتلين اشداء واجهوا الفرنسيين اول القرن العشرين ، في «واداى» وحول بحيرة تشاد ، كما واجهوا الغزو الايطالى لليبيا عام ١٩١١ م ، اذ كانت مقاومة السنوسيين للايطاليين مقاومة منظمة بحكم تنظيم الزوايا السنوسية ، فقد كان لبوادر اليقظة الشعبية التى بذر السنوسي بزواياه وتعاليمها وجهود شيوخها بذرتها الاولى ان هب الشعب الليبى ومنذ الوهلة الاولى للدفاع عن ارضه ضد الغزو الايطالى (١٣٧) ، وقد استمر الكفاح بقيادة السنوسيين وقائدهم عمر المختار حتى استشهد القائد عام ١٩٣١ م .

واما الدعوة المهدية فقد انشغلت بالعمليات العسكرية والخلافات القبلية مما ادى الى انهيار دولة المهدية في السودان بسرعة في حين لم يدافع عن المهدية الكثيرين من السودانيين الذين عاشوا في كنفها وتحت سلطتها، ولعل سبب ذلك ان المهدية لم تجد من رجالها فلاسفة يؤصلون افكارها ويشرحون تعاليمها ويكونون صفوفا من انصارها يحملون رسالتها ويتناقلونها جيلا بعد جيل ، كما ان المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الخلافات والانقسامات بين القبائل وبين حكومة الخليفة عبد الله التعايشي (١٣٨) .

وكان يمكن للثورة المهدية ان تصبح حركة وطنية ناجحة لولا ما شابها من عنف وبطش ليس فقط بالاوروبيين والاتراك والمصريين بل بالسودانيين انفسهم ، ولولا ادعاء المهدى لامور لا تجد قبولا حتى من السودانيين الذين كان معظمهم يدخلون في طاعة المهدية رغبة في مغنم او خوفا من بطش رجالها. ولولا عجز المهدية عن صد تيار الاطماع الاستعمارية الاوروبية الزاحف لاقتطاع اجزاء من السودان وملحقاته ، ففى عهد الخليفة عبد الله التعايشي انتزعت أملاك مصر فى الصومال وساحل البحر الاحمر وفي السودان لتلتهمها

---

(١٣٦) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٥٩ .

(١٣٧) محمد مصطفى : العدوان أو الحرب بين ايطاليا وتركيا في ليبيا ص ١٦١ .

(١٣٨) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٤٠ .

القوى الاوروبية المتسابقة ، اى ان المهديين عجزوا كل العجز عن الاحتفاظ بتلك الامبراطورية التى اسسها المصريون خلال ستين عاما في شرق ووسط أفريقيا (١٣٩) .

وهكذا كان اثر المهدية في العالم العربى والاسلامى ضئيلا بالمقارنة بتأثيرات الوهابية والسنوسية رغم اعتبارنا لها على انها حركة سلفية اصلاحية وطنية اسلامية معا (١٤٠) .

---

(١٣٩) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤١٤ .

(١٤٠) د. رأفت الشيخ : مصر والسودان في العلاقات الدولية ص ١٣٧ وما بعدها .

الجامعة الاسلامية

كانت فكرة الجامعة الاســـلامية مظهرا آخر لليقظة الاسلامية التى أخذت دورها بين الشعوب العربية والاسلامية خلال القرن التاسع عشر، ولكى نستجلى هذه الظاهرة وضوحا علينا ان نلقى الضوء على الظروف التى ادت الى ظهورها ، وعلى الشخصيات التى ارتبطت بها ، وعن الفكرة نفسها ابعادها واهدافها ونتائج الدعوة اليها .

اولا : ظروف العالم الاسلامى :

يمكن القول ان العالم الاسلامى تعرض منذ اوائل القرن الحادى عشر الميلادى لعوامل تخلف وفوضي نتيجة الغــزو الصليبى والوجود التركى في آسيا الصغرى ، ثم جاءت الغزوة المغولية عام ١٢٥٨ م على الجناح الشرقى للعالم الاسلامى ــ ايران فالعراق ــ لتزيد من تخلف المســـلمين وتضرب الحضارة العربية الاسلامية بضربة قاصمة غير تــلك الضربة التى لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم للاندلس لصالح الكاثوليك الاسبان .

وكان سقوط العالم العربى تحت الحكم العثمانى منذ اوائل القرن السادس عشر الميلادى عاملا آخر لتدهور احوال المسلمين بسبب ما اتصف به الحكم العثمانى من سلبيات اهمها العزلة التى فرضت على العالم العربى والاسلامى ، في الوقت الذى لم تكن للاتراك حضارة يفيدون بها العــرب وفي الوقت الذى اخذت اوروبا فيه تنهض وتسير في طريق التقدم والعمران، الى جانب الاستبداد والظلم التركى بالعرب والمســلمين المحكومين الذين تأخروا في كل نواحى الحياة حتى فقــدوا قوتهم وباتوا لاقبل لهم بملاقاة الغرب في اى ميدان (١٤١) .

وزاد الطين بلة ان القرن الثامن عشر الميــلادى شهد تدهورا اكبر في احوال العرب والمسلمين بظهور ما عرف بالحركات الانفصالية او الاستقلالية في الولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى، تلك الحركات التى كانت في جملتها مغامرات شخصية لافراد من الاتراك او المماليك المغامرين الذين كان هدفهم

---

(١٤١) محمود ابو رية : جمال الدين الافغانى ص ٦ .

ارتقاء كراسي الحكم والحصول على مغانم مادية كبيرة والضحية في كل الاحوال كانت الشعوب العربية والاسلامية في الوقت الذى ضعفت فيه الدولة العثمانية فلم تقو على السيطرة على ممتلكاتها وخضعت لما فرض عليها مقتنعة بما يلقيه اليها هؤلاء المغامرون من فتات من الاموال التى يجمعونها قسرا وبشراهة من الرعاية العرب والمسلمين .

وفي نفس القرن ــ الثامن عشر ــ وفي القرن التالى (التاسع عشر) اخذ الاستعمار الاوروبى يحقق وجوده بقوة في الارض الاسلامية حيث شهدت الهند المطامع الهريطانية التى انتهت بسيطرة كاملة لبريطانيا على الهند ، ثم على عدن ثم على مصر والسودان واقطار الخليج العربى ، بينما عبرت روسيا القوقاز وبسطت سيطرتها على اواسط آسيا ، في الوقت الذى وجد فيه الاستعمار الفرنسي طريقه الى اقطار الشمال الافريقى العربية الاسلامية . وقاسى المسلمون تحت الحكم الإستعمارى الاوروبى في حياتهم الاقتصادية والدينية والعلمية بما أثر في قوتهم وفي حضارتهم التى كانت مزدهرة يوما مـا .

وخير تصوير لحال المسلمين في القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الامريكى « لوثروب ستودارد » في كتابه « حاضر العالم الاسلامى » عند حديثه عن اليقظة الاسلامية في القرن التاسع عشر (١٤٢) . اذ يقول : كان العالم الاسلامى في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع اعظم مبلغ . وانتشر فيه فساد الاخلاق والآداب ، وتلاشي ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى ، واستغرقت الامم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضي واغتيال ، فليس يرى في العالم الاسلامى ــ في ذلك العهد ــ سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان تركيا واواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهنا .

وفي حياة المسلمين الدينية والاجتماعية لعب رجال الدين المستبدين وغير الامناء دورا سيئا ، حيث كثر عدد الادعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذوالسبحات ويوهمون الناس

---

(١٤٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢،٥٩ .

بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور الاليا‌ء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور،وغابت عن الناس فضائل القرآن،فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الايدى وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشي في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوارا شديدا ، واهملت الزراعة ايما اهمال (١٤٣) .

وكانت مصر ـ منارة العالم الاسلامى آنذاك بوجود الجامع الازهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التى اوجدها محمد على وحفيده اسماعيل ـ تعيش هى الاخرى عصرا من الفوضي وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكا لحاكمهم الاعلى ومن ينيبه عنه في تدبير امورهم ، يتصرف فيها بحسب ارادته ، ويعتقدون ان سعادتهم وشقاءهم موكولان الى امانته وعدله ، او خيانته وظلمه ، ولا يرى احد منهم لنفسه رأيا يحق له ان يبديه في ادارة بلاده ، او ارادة يتقدم بها الى عمل من الاعمال يرى فيه صالحا لامته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وتضربه عليهم ، وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الامم الاخرى سواء كانت اسلامية او اوروبية (١٤٤) .

وكانت احوال الشرق الاسلامى عامة تسير من سيء الى أسوأ ، فالجهل والخرافات والاوهام والعادات والبدع انتشرت بين المسلمين ، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم فأخذهم الفقر في كل اقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ولكنهم بجهلهم لا يعملون على الانتفاع،وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهبا مقسما بين الاروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداما طائعين (١٤٥) .

ويمكن ان نضيف ما اصاب المسلمين من اسراف وتبذير في الانفاق على افراحهم وامواتهم حتى يخسرون اموالهم وممتلكاتهم التى يأخذها الاجانب ـ الى جانب داء التواكل الذى كبل عقولهم عن التفكير وايديهم

---

(١٤٣) محمود ابو رية : المرجع السابق ص ٨ .

(١٤٤) رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده حـ ١ ص ٣٥ .

(١٤٥) محمود ابو رية : المرجع السابق ص ١١ .

وارجلهم عن العمل والسعى وأسلموا امرهم للاجنبى،وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل الاجتماعى مثل قولهم « سيبها على الله » و « لا تفكر ولها مدبر » و « اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب »و «مراد الخالق من الخلق ما هم عليه » و « لهم ــ اى للاجانب ــ الدنيا ولنا الاخرة » و « اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور » .

كما يمكن أن نضيف ايضا توضيحا اخر لاحوال المسلمين سوء الحكم وقسوة الحكام الذين ساهموا في سوء احوال المسلمين بابتزاز اموالهم بكل قســـوة ، ويفرضون عليهم الجهل والاوهام ويعطون للاوروبيين امتيازات اقتصادية ودينية وقضائية في بلاد المسلمين لا يتمتع بها المسلمون انفسهم ، ومن ثم صـــارت حياة المســلمين نهبا للحـــكام الاتراك وللاجانب المحتمين بالامتيازات ، فكانت تلك الايام وبالا على الحكومة والاهالى جميعا ، وكانت سعدا وربيعا للتجار وارباب البنوكة ــ المصارف ــ الغرباء الدخلاء الذين انتشروا بين ابناء البلاد انتشار الذئاب بين الاغنام ، فأثقلت كواهل الفلاحين وغيرهم من الوطنيين بالديون الهائلة واضطرهم العجز لبيع املاكهم ورهن عقاراتهم واراضيهم أو الانسلاخ منها بالكلية واحاط بهم الفقر وصاروا في أسوأ حال (١٤٧) .

كانت تلك احوال المسلمين التى أثارت مصلحا مثل جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده المصرى للتقدم بفكرة الجامعة الاسلامية لعلاج تلك الاحوال التى كان اخطر ما فيها الاعتقاد الذى ساد بين المســـلمين بوجود تعارض بين الاسلام كدين وعقيدة وبين التقدم المادى الحديث ، والنظـر الى الحضارة الاوروبية الحديثة نظرة شك وخوف مما يدفعهم الى الابتعاد عن الاخذ بأسبابها ، وساعدهم على ذلك وجود الحكم التركى الذى عمـل على ابعاد المسلمين عن الاخذ باســباب التقدم الحضارى الاوروبى ، وفي نفس الوقت اعطاء الاجانب امتيازات متنوعة في الاقطـــار الاسلامية حيث يمارسون الاستغلال والاحتكار ويكرسون في المسلمين تخلفهم الحضارى .

ثانيا : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الاسلامية :

ساد اعتقاد بأن حركة الجامعة الاسلامية كظاهرة منظواهر اليقظة الإسلامية

---

(١٤٦) المرجع نفسه : ص ١٢ .
(١٤٧) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٦ ــ ٥٧ .

في القرن التاسع عشر ارتبطت بشخصية السيد جمال الدين الافغانى وانها ماتت بموته ، والحقيقة غير ذلك اذ ان فكرة الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسي وجدت عند السيد جمال الدين وهو في بلاده افغانستان كما وجدت عند تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده في مصر ، وعند السيد محمد رشيد رضا الحجازى الاصل بعد اتصاله بالشيخ محمد عبده . ثم ان السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الامبراطورية العثمانية ارتبط اسمه بالجامعة الاسلامية حين اراد استغلالها لتدعيم سلطانه وفرض نفوذه على كل المسلمين حتى على اولئك الذين لم يخضعوا من قبل لسلطان الدولة العثمانية .

ولهذا كان علينا ونحن ندرس ظاهرة الجامعة الاسلامية ان نعرف مكونات كل شخصية من الشخصيات التى ارتبطت بها والجهود التى بذلتها كل شخصية في سبيل تحقيق فكرة الجامعة الاسلامية .

أ ـ السيد جمال الدين :

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسينى الافغانى ، ولد « بأسعد أباد » من اعمال « كابل » في عام ١٢٥٤ هـ الموافق لعام ١٨٣٨ م (١٤٨) ، من اسرة تنتسب الى آل البيت حيث ينتهى نسبه الى الحسين بن على رضي الله عنهما ، وهذا هو السبب في تسميته بالسيد ، ولعشيرته منزلة عالية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف (١٤٩) .

وبهذا نشأ محمد جمال الدين في بيت شريف وبيت علم ودين ، واستزاد علما من أساتذة مدارس « كابل » القديمة بأخذه علوم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الدينية والفلسفية على ايديهم ، الى جانب علوم الطب والفنون الرياضية ، واضاف الى دراسته لهذه العلوم استفادته

---

(١٤٨) عبد المتعال الصعيدى : المجددون في الاسلام ص ٤٩٠ .

(١٤٩) محمود ابورية : المرجع السابق ص ١٥ .

ويذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق أن والد جمال الدين اسمه «صفدر» وهى كلمة فارسية من القاب الامام على بن أبى طالب مركبة من كلمة (صف) العربية (در) من فعل دريدان الفارسي بمعنى افترس أو اقتحم (كتاب العروة الوثقى ص ١٧) .

من دراسة احوال الشعوب الاسلامية بتنقله بين افغانستان والهند والحجاز ومصر وتركيا ، وتمرسه في الاعمال الادارية والسياسية بارتباطه بالامير الافغانى « دوست محمد خان » والامير « محمد اعظم خان » ، والخديوى اسماعيل بمصر لمدة ثمان سنوات من ١٨٧١ الى ١٨٧٩ ، وحكام الدولة العثمانية بالإستانة وعلى راسهم السلطان عبد الحميد الثانى .

وكانت شخصية محمد جمال الدين بما تميزت به من اسلوب عملى واخلاص علمى هاديه في كل قطر اسلامى ينزل فيه ، ففى مكة انشأ جمعية اطلق عليها « جمعية أم القرى » عام ١٨٥٧ م واصدر لها مجلة تنطق باسمها عرفت بإسم « ام القرى » وتدافع عن اهداف الجمعية المتمثلة في وحدة المسلمين لمواجهة الاخطار المحيقة بهم (١٥٠) . وفي الهند وافغانستان اثار المسلمين ضد الحكم البريطانى وسياسته الاستبدادية والاستغلالية ، وفي استانبول استقبل هناك عام ١٨٧٠ استقبالا وديا من قبل الحكومة والاوساط العلمية ، هذه الاوساط التى استطاع أن يحدث فيها تأثيرا بعيدا بما ألقى من دروس ومحاضرات في الجامعة المنشأة حديثا (١٥١) .

وفي مصر عاش ثمانى سنوات في رعاية وترحيب من الخديوى اسماعيل الذى شجعه على المضي في دعوته الاصلاحية لان ذلك يوافق غرض اسماعيل في التصدى للنفوذ الاجنبى الذى يحاول سلب السلطة من صاحبها الشرعى ، وعلى هذا فقد نجح جمال الدين في تشكيل حزب من انصاره وتلاميذه عرف بالحزب الوطنى (١٥٢) ، وكان اظهر تلاميذه الشيخ محمد عبده ، وعندما نجحت انجلترا في حمل السلطان العثمانى على عزل الخديوى اسماعيل وتولية ابنه محمد توفيق مكانه عام ١٨٧٩ م غضب توفيق من دعوة السيد محمد جمال الدين الى الشورى لانه اعتقد ان ذلك يؤدى الى الحكم الجمهورى ، وهيجت تعاليمه الفلسفية شيوخ الازهر الجامدين فرموه بالفسوق ، وكانت تعاليم السيد قد أوغرت عليه كذلك قنصل انجلترا العام (١٥٣) ، وانتهى الامر بنفى السيد جمال الدين من مصر الى الهند في عام ١٨٧٩ م .

---

(١٥٠) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩١ .
(١٥١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦١٧ .
(١٥٢) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩٢ .
(١٥٣) محمود أبورية : المرجع السابق ص ١٨ .

ترك جمال الدين مصر بعد أن استطاع أن يبث في نفوس الشبان المصريين الامل في التحرر من السيادة الاوروبية اذا ما اقتبسوا ثقافة الغرب المادية ومناهجه التعليمية ابتغاء الدفاع عن الاسلام بوصفه دينا أكثر امعانا في مضمار الرقى (١٥٤) ، وقد جاءت تأثيرات جمال الدين الاعظم على طلاب الجامع الازهر أثناء اقامته بمصر في الفترة من مارس ١٨٧١ م الى شهر سبتمبر ١٨٧٩ م (١٥٥) .

ومن الهند انتقل السيد جمال الدين الى أوروبا حيث أقام في باريس منذ عام ١٨٨٣ وهناك التقى بالشيخ محمد عبده حيث أصدرا جريدة «العروة الوثقى » التى نطقت بأفكارهما الداعية الى محاربة تدخل الدول الاوروبية في شئون الامة الاسلامية ، ومن باريس انتقل الى لندن عام ١٨٨٦ م ، ثم عاد اليها مرة أخرى في عام ١٨٩٢ م واشترك في تأسيس مجلة شهرية سميت « أخبار الخافقين » التى كانت تصدر باللغتين العربية والانجليزية (١٥٦) .

وانتقل السيد جمال الدين من فرنسا عام ١٨٨٦ الى ايران ثم زار روسيا ، وقد بقى في ايران حتى اضطر لمغادرتها بسبب هجومه على شركة الدخان الانجليزية في ايران ، فسافر الى أوربا حتى اذا كان عام ١٨٩٢ استدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة حيث بقى بها لمدة خمس سنوات وافته المنية بعدها في ٩ مارس عام ١٨٩٧ ، وقد ذكر أنه مات مسموما .

كان هذا هو السيد محمد جمال الدين الذى نذر نفسه للدفاع عن حقوق الشعوب الاسلامية في مواجهة القوى الاستبدادية المحلية والقوى الاستعمارية الاجنبية ، وتلك كانت صفاته التى جعلت الجميع يعرفونه باسم « حكيم الشرق » وصارت هذه الصفة تتردد في كتب الادب العربى (١٥٧) . ذلك انه كان يدعو الى اصلاح أحوال المسلمين في الدنيا

---

(١٥٤) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٦١٨ .

(١٥٥) Holt, P.M. : Egypt and the Feritle Crescent, P. 212.

(١٥٦) محمود أبو رية : المرجع السابق ص ١٩ .

(١٥٧) Kedourie, E. : Afghani and Abduh, P. 1.

والدين ، ويقصد به جميع المسلمين في كل الاقطار ، وقد تأثر بدعــــوته هذه بعض طلاب الاصلاح في مصر وفارس والدولة العثمانيــــة (١٥٨)، وكان يتصور عودة الشعوب الاسلامية للعيش في ظل حكومة اســــلامية واحدة تتخلص من تأثيرات وتدخلات الاجانب السيئة .

ب ـ الشيخ محمد عبده :

هو محمد عبده خير الدين المصرى المولود بقرية محلة نصر مركـــــز شبراخيت بالبحيرة عام ١٨٤٥ م ، والذى تعلم كما تعلم أبناء مصر آنذاك في القرى حيث دخل الكتاب ، ثم انتقل الى الجامع الاحمدى بطنطافالجامع الازهر بالقاهرة حيث تعلم على يد شـــيوخ الجامعين وعلى طريقتهم في التعليم ، وان كان قد وقف على أحوال هؤلاء الشيوخ الذين يعيشـــون في عزلة عن العالم فلا يشعرون بما أصاب الاسلام والمسلمين ، ولا يهمـــهم الا أنفسهم داخل الازهر ، وبقوا على الجمود في العلوم القديمة (١٥٩) .

وقد استفاد محمد عبده من أفكار الســـيد جمال الدين الافغانى فارتبط به وبنى شخصيته ليتم مع جمال الدين الرسالة الاصلاحيـــة للمسلمين التى يعمل من أجلها ، ومن ثم تعاون الرجلان خلال فترة وجود الافغانى في مصر وعندما رحل الافغانى من مصر استمر محمد عبده يدعو الى الاصلاح حتى نفاه الخديوى توفيق الى لبنان ، ومن هناك ذهب الى باريس والتقى بالافغانى وأصدرا هناك مجلة العروة الوثقى الناطقة بلسان جمعية العروة الوثقى ، ثم عاد الى مصر بعد أن عفا عنه الخديوى توفيق .

ومن الثابت أن الافغانى استفاد من بلاغة وفصاحة الشيخ محمد عبده في الترويج للافكار الاصلاحية التى شارك الرجلان في اظهارهـا ، وبذلك

---

(١٥٨) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩٥ .

ويضيف كتاب العروة الوثقى أن السيد جمال الدين لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن ، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى في مذهبــه الاجتماعى . الشيخ مصطفى عبد الرزاق ص ٢٨ .

(١٥٩) المرجع السابق ص ٥٣١)

ويضيف الشيخ مصطفى عبد الرزاق أنه نال شـــهادة العالمية من الدرجة الثانية بعد امتحان ظهر فيه أن الشيوخ ينقمون عليه نزعاتـــه الفكرية المتأثرة بمذهب استاذه الافغانى . العروة الوثقى ص ٣٢ .

استحق الشيخ محمد عبده اسم « الاستاذ الامام » الذى اطلق عليه(١٦٠). ولا يقلل من قيمة الاستاذ الامام اضطراره الى قصر اصلاحه على الازهر والاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية التى تولى الاشراف عليها في عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ، حيث كان الاستاذ الامام يعتقد أنه لتجنب الصدام مع الانجليز المسيطرين بقوات احتلالهم على مقدرات الامور في مصر فان اصلاح هذه النواحى يؤدى الى نهضة دينية واجتماعية تصلح بها نفوس الناس واذا صلحت نفوس الناس تمسكوا بحقهم في تحرير بلادهم من السيطرة الانجليزية .

ورغم أن الاستاذ الامام حرص على الاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى وتجنب الخوض في الاصلاح السياسى ، الا أنه كان شديد الحرص على تحقيق برامجه الاصلاحية في هذه المجالات وقد أنتج هذا الحرص حربا لا هوادة فيها من رجال الدين الجامدين الذين كان يحركهم الخديوى عباس حلمى الثانى . وقد أثرت هذه الحرب في مجهودات الاستاذ الامام تأثيرا كبيرا بل وأثرت على حالته الصحية فعاجلته المنية عام ١٩٠٥ م .

جـ ـ محمد رشيد رضا :

يعتبر السيد / محمد رشيد رضا حامل أفكار الافغانى ومحمد عبده

---

(١٦٠) Kedourie, E. Ibid, P. 1.

والسبب في تسميته بالاستاذ الامام أن دعوته الاصلاحية تقوم على أمور ثلاثة هى :

١ ـ تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الاديان .

٢ ـ اعتبار الدين صديقا للعلم لا موضع لتصادمهما اذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغنى احداهما عن الاخرى .

٣ ـ فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى .

كما كان الشيخ محمد عبده محبوبا معظما معترفا له بمقام الامامة الذى لا يساميه مقام بين الطوائف الراقية من المصريين وبين طوائف الاجانب في مصر . العروة الوثقى ص ٣٦ ـ ٣٧ .

الاصلاحية باعتباره تتلمذ عليها واتصل بالشيخ محمد عبده ولازمه حوالى سبع سنوات في مصر ، ورشيد رضا لبنانى المولد حيث ولد بقرية قرب طرابلس الشام تعلم فيها القرآن والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسة الرشدية (١٦١) وهى مدرسة « ابتدائية » كان التعليم فيها باللغة التركية، ودخل عدة مدارس دينية واخذ بشيء من التصوف فبعد عن الوظائف الحكومية (١٦٢) .

وكان محمد رشيد رضا يتابع الحركة الاصلاحية التى يقودها الافغانى ومحمد عبده ويقرأ كل ما يصدر عنهما خاصة في مجلة «العروة الوثقى»، والتقى بالامام محمد عبده في طرابلس الشام مرتين . ونحن عرفنا أن الاستاذ الامام كان منفيا في لبنان لفترة ما كما ذكرنا ، ثم رحل رشيد رضا الى مصر عام ١٨٩٨ م ولازم الاستاذ الامام واصدر مجلة « المنار » التى حلت من حيث رسالتها محل مجلة العروة الوثقى ، وبعد وفاة الاستاذ الامام استمر رشيد رضا في حمل الامانة وان كان قد داهن الساسة كما فعل عندما أيد الملك احمد فؤاد في اتخاذ لقب خليفة بعد الغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال اتاتورك ، كما انه رغم أخذه بمذهب السلف الا أنه كان يخالف بعض ائمة هذا المذهب انطلاقا من تأثره بالصوفية وقد ظلت مجلة المنار تنطق بالدعوة الاصلاحية حتى وفاة السيد رشيد رضا عام ١٩٣٥ .

ثالثا ــ فكرة الجامعة الاسلامية :

جاءت فكرة الجامعة الاسلامية حصيلة الظروف التى عاشها العالم الاسلامى وحصيلة تفاعل المصلحين ــ جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ــ مع تلك الظروف ومن ثم الوصول الى أفكار لمعالجة تلك الظروف ، ومن هنا يمكن القول ان جوهر هذه الفكرة يقوم على الاخذ بيد الشعوب الاسلامية ــ وليست الشعوب العربية فقط بل كل الشعوب الاسلامية والخاضعة للاستعمار الاوروبى في آسيا وأفريقيا بصفة خاصة ــ لتحقيق الحرية أى التحرر

---

(١٦١) كان السلم التعليمى العثمانى يبدأ بما عرف بمكاتب المبتديان، ثم المكاتب ــ اى المدارس ــ الرشدية ومعناها المدارس التى يدخلها من رشد من الابناء اى الصبيان وهى توازى المدارس الاعدادية حاليا ثم المكاتب الاعدادية وهى توازى المدارس الثانوية حاليا ثم المكاتب العالية وهى توازى الكليات الجامعية حاليا .

(١٦٢) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٥٣٩ .

من استبداد الحكام وتحرر البلاد من السيطرة الاوروبية،وتحقيق التقدم اى ابعاد شبح الجمود الذى ران على افكار المسلمين لكى يصلوا الى ما وصلت اليه الشعوب الاوروبية في ميادين الحياة المختلفة ، والاعتماد في ذلك على التعليم بمؤسساته التى تأخذ بأسباب العلم الحديث وتنفض عن نفسها الجمود في الفكر وفي الاسلوب ، واظهار مرونة الدين الاسلامى اى ان الاسلام دين كل زمان وكل مكان وانه لا يتعارض مع التقدم العلمى الحديث بل يؤكده .

واذا كانت الفكرة تقوم اصلا على تحرر الشعوب الاسلامية لتجديد روحها المعنوية مستندة الى عزة الاسلام الاولى وتراثه التليد ، فان الفكرة اشارت الى ان ذلك يمكن تحقيقه بانضواء جميع هذه الشعوب تحت حكم خليفة واحد تتجمع في يديه السلطتين الدينية والسياسية ، وبذلك يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة ومنعة زمن الخلفاء الراشدين والخلفاء الامويين فالعباسيين ، ولكن بشرط ان يبنى الخليفة الواحد حكما حديثا يأخذ بأسباب الحضارة الغربية المادية التى لا تتعارض مع الدين الاسلامى الحنيف (١٦٣) .

وصادفت فكرة الجامعة الاسلامية هوى في نفس السلطان عبدالحميد الثانى سلطان الدولة العثمانية الذى تقلد السلطنة عام ١٨٧٦ ورأى ان السلاطين الذين سبقوه فقدوا مكانتهم الدينية نتيجة لتفكك العالم الاسلامى واستيلاء دول الاستعمار الاوروبى على مناطق تسكنها شعوب اسلامية منها مناطق كانت من ممتلكات الدولة العثمانية كمصر والسودان التى احتلتها القوات الانجليزية ، والجزائر وتونس التى صارت تحت النفوذ والسيطرة الفرنسيتين ، الى جانب سيطرة انجلترا على الهند وروسيا على وسط آسيا ، وهذه المناطق خرجت عن ان تكون خاضعة لسلطة الخليفة ، ومن ثم حاول عبد الحميد ان يجعل للسلطان سلطة مطلقة اكثر مما كانت متاحة للسلاطين السابقين ، تكون مؤيدة بفكرة الخلافة الاسلامية (١٦٤) .

---

(١٦٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص .
ويحدد جمال الدين فكرته بقوله : لقد نظرت الى الشرق واهله فوجدت اقتل ادوائه انقسام اهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربى المحدق منهم ، العروة الوثقى ص ١٣ .

(١٦٤) Holt, P.M. : Op. Cit., P. 172.

ورغم ان فكرة الجامعة الاسلامية عند الافغانى ومحمد عبده لم تكن بالضرورة لتتحقق في ظل الخلافة العثمانية ، فان السلطان عبد الحميد استخدم الفكرة من اجل تقوية مركزه كسلطان للامبراطورية العثمانيـــة يتمتع بمكانة خاصة في قلوب رعاياه المسلمين باعتباره خليفتهم وظل الله على الارض وحامى حمى الحرمين الشريفين ، فأحاط نفسه بالعلـــماء واستخدم الوعاظ للدعاية لشخصه كما أبعد عن مجالسه وقصوره كل ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، واستخدم شريف مكة نفسه في الدعاية له ، خاصة وأنه اظهر الكرم في الانفاق على المؤسسات الاسلامية داخـــل ولايات الدولة وخارجها حيث اعتقد بتحسين مركز الامبراطورية العثمانية بين الشعوب الاسلامية الخاضعة للحكم الانجليزى والفرنسي والروسي ، فينال هو شخصيا رئاسة كل مسلمى العالم الاسلامى .

وكان يمكن لفكرة الجامعة الاسلامية ان تجد قبولا وصدى أوســع وتنتشر بين الشعوب الاسلامية لو لم يتسم حكم السلطان عبد الحميــد بالاستبداد مما جعل المعارضة لمشروعاته تتسع لتشمل الى جانب الاتراك العرب والفرس والهنود ، بل وغير المسلمين من أهل الولايات العثمانية ، هذا الى جانب الدول الاوروبية التى اخذت تستغل اخطاء الســـلطان عبد الحميد في ضرب افكاره ومنعها من التطبيق بأثارة العرب ضد الاتراك، وكشف ادعاءات عبد الحميد الاصلاحية بأظهار استبداده وكبته للحريات والغائه للاصلاحات الدستورية وابعاد الشخصيات المصلحة من على مسرح السياسة العثمانية بل والاسلامية .

الطرق الصوفية

يمكن ارجاع التصوف الاسلامى الى القرن الثالث الهجرى ، كما يمكن ملاحظة الاثر اليونانى والمسيحى في سلوك المتصوفين . وقد اختلف الفقهاء في معنى الصوفية فمن قائل انها كلمة يونانية الاصل ترجع الى كلمة Sophos ، ومن قائل انها أطلقت على الزاهدين الذين كانوا يلبسون الصوف وهى تدل عندهم على شخص اختار أن يلبس ابسط أنواع الثياب ويتجنب كل نوع من الرفاهية أو العناية بالمظهر ويدللون على هذا الراى بأن الفرس يستعملون في مقابل هذه الكلمة لفظ « باسمينا ــ بوش » Pashmina Push (١٦٥) .

ومن قائل ان أصل الكلمة مشتق من الصفاء وبهذا يجعلون معناها قريبا الى معنى كلمة المتطهر Puritan التى شاع استعمالها في المسيحية ، ومن قائل انها تنسب الى صفة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، ومن قائل انها أطلقت في الاصل على من يجلسون في الصف الاول من المسلمين ، ومن قائل بانها ترجع الى تجنب صفو الدنيا ، ويدللون على ذلك بحديث شريف عن ابى حنيفة انه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم (١٦٦) .

والراى عندى ان الكلمة ذات أصل يونانى خاصة واننا ندرك التأثيرات اليونانية على الحضارة العربية الاسلامية التى ازدهرت في القرن الثالث الهجرى وهو القرن الذى بدأت تظهر فيه فكرة التصوف ، وعلى أية حال فالتصوف ظاهرة اسلامية تقوم طريقة المتصوفين فيها ــ كما يذكر الامام الغزالى ــ على العلم والعمل ، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله . وأن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات (١٦٧) .

---

(١٦٥) ديلاسي أوليرى : الفكر العربى .. ص ١٩٠ .
(١٦٦) د . محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام .. ص ٢٧٨ .
(١٦٧) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .

ولا يمكن اعتبار التصوف بدعا يستنكر ، لانه انبثق ، كغيره من مناهج المعرفة في الاسلام ، من روح القرآن وجوهر رسالته ، وبدأ كما بدأت تلك المناهج مع الاسلام ، ثم نما وتطور ومشي مع خطو الحياة وسنة الله ، فأخذ المتصوفون يكونون لهم فلسفة في الاخلاق وفي السلوك وفي العبادة ، وأخذوا يجردون الاسباب من قوتها ويرجعون كل شيء الى الله سبحانه ، فأكسبهم ذلك عزة خلقية وسعادة روحية قوامها الرضا بقضاء الله وقدره ، واليقين بأن لا سلطان لقوة من قوى الارض على مصائرهم وحياتهم (١٦٨) .

واذا كان التصوف قد بدأ الظهور في المشرق الاسلامى — وبخاصة في بلاد فارس — فان الهجمة الصليبية على بلاد الشام — في أواخر القرن الخامس الهجرى الموافق للقرن الحادى عشر الميلادى — قد دفعت بالمسلمين الى التساؤل : كيف جرؤ اعداء المسلمين على قتل الانفس المسلمة واستباحة اعراضها واموالها وممتلكاتها ، الا كونه غضب من الله على المسلمين لا يمكن رفعه الا بالرجوع الى الله وتنفيذ أوامره وتجنب ما نهى عنه .

ونتيجة لما حدث في الشرق الاسلامى اخذ تيار التصوف يشتد ويقوى في العالم الاسلامى مشرقه ومغربه ، على انه يبدو ان تيار التصوف اشتد في المغرب في ذلك الدور بصورة اقوى وأسرع مما كان عليه في المشرق ، وربما كان السبب في ذلك هو قرب المغرب العربى من مركز الهجوم الاوروبى على بلاد المسلمين ، مما جعل أهل المغرب اكثر احساسا بالخطر وبالتالى اكثر حماسه ورغبة في التوبة والاستعداد الروحى والمادى (١٦٩) ، وان اضطرهم هذا الخطر الذى لم يستطيعوا مدافعته ان يولوا وجوههم شطر المشرق العربى وبصفة خاصة في مصر وذلك منذ القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الرابع عشر الميلادى .

وقد يبدو من الصوفية أنها مذهب منظم لانه يشار الى « مراتب » الصوفية المختلفة ، وهى في الحقيقة تدل على مقامات متعاقبة في طريق التسامى الشخصي . ولقد كان من عادة المبتدىء السالك سبيل الله ان يضع نفسه تحت ارشاد قائد روحى ذى تجربة يعمل معلما له ويعرف بالشيخ أو

---

(١٦٨) طه عبد الباقى سرور : الحلاج .. ص ٢٦ .
(١٦٩) د . سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى ص ٣١ .

المرشد ، وتتطلب هذه التلمذة طاعة عمياء مطلقة للمعلم ، وقد نتج عن تجميع المريدين حول معلم معروف ان راينا نشـأة طوائف الدراويش ــ المتصوفين ــ في صورة جماعات من الناس يسعون كما يسعى غيرهم في طلب الرزق ولكنهم يجتمعون بين وقت واخر لبعض العبادات او الارشـادات الدينية ، ويجتمعون احيانا بوصفهم جماعات دائمة تعيش في طاعة تامـة تحت ارشاد شيخ(١٧٠) .

وتدور طريقة الصوفيين في السعى وراء الحقيقة للوصول اليها حول محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم . وهـذه الاصطلاحات خاصة بمراتبهم بعضها معلوم وذائع على الالسنة وفي مجالسهم، وبعضها يعد من الاسرار المكتومة (١٧١) .

ويثور سؤال .. اذا كان هدف المتصوفين واحد وهو الوصـول الى الله فلماذا لم يكن طريقهم واحد ، بمعنى لماذا تعددت الاساليب لتحقيق هذا الهدف ؟ لا شك ان الاجابة على هـذا السؤال تتطلب فهما لامتـداد العالم الاسلامى والمشكلات التى واجهته وصعوبة الاتصال بين الناس في ذلك الزمان ومن ثم صار لكل شيخ طريق أو طريقة كما يقول المثل العربى ، ومن ثم تعددت الطرق وتفرعت ، فبعد أن كانت الصوفيـة تنتسب الى أربعة من كبار الاولياء هم : عبد القادر الجيلانى واحمد الرفاعى واحمـد البدوى وابراهيم الدسوقى (١٧٢) ، وعرفت طرائقهم بأسـماء : القادرية والرفاعية والاحمدية والبرهامية ، انقسمت هذه الطرق الى طـوائف فرعية ، فعلى سبيل المثـال انقسمت الطريقـة الاحمدية الخاصة باتباع السيد أحمد البدوى الى ست عشرة طريقة (١٧٣) .

ورغم هذا التعدد في الطرق فان التصوف معناه تجنب الرفاهية بدافع من الزهد واختيار البساطة في اللبـاس من جانب الذين يسـمون بهـذا

---

(١٧٠) ديلاسي أوليرى : المرجع السابق ص ٢٠٤ .
(١٧١) د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .
(١٧٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١٣٠ .
(١٧٣) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٨٩

الاسم (١٧٤) ، وان الصوفى له ثلاث صفات هى :

١ ــ التمسك بالفقر والافتقار .
٢ ــ التحقق بالبذل والايثار .
٣ ــ ترك التعرض والاختيار .

وقد اجمع العلماء الصوفية في تعريف الصوفى على انه رجل احب الله فآثره وكره الدنيا فزهد فيها (١٧٥) .

ولان الطرق الصوفيةقد عرفت بأسماء اصحابها فقد سمعنا عن رجال سجلهم التاريخ كأصحاب طرق صوفية مثل ــ الى جانب من ذكرنا ــ الشيخ احمد التيجانى صاحب الطريقة التيجانية وابو الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الشاذلية وتلميذه ابو العباس المرسي ، وابو القاسم القبارى وكلهم من المغرب وفدوا الى مصر ، هذا الى جانب اصحاب طرق أقل شهرة من امثال الشيخ عبد السلام الاسمر بمدينة « زليتن » في ليبيا، والشيخ الدوكالى بقرية «مسلاتة» بليبيا كذلكوغيرهم ممناتخذوا لانفسهم زوايا يجتمعون فيها مع مريديهم ويقرأون معهم الاوراد ويؤدون الاذكار .

وكانت تلك الطرق الصوفية تمثل نشوة دينية لجأ اليها المجتهدون من ابناء الاسلام تقربا الى الله واللجوء اليه في مواجهة الاخطار الاستعمارية التى حاقت بالاقطار الاسلامية خاصة في القرن التاسع عشر ، فهى اذن مظهر آخر لليقظة الاسلامية الى جانب المظاهر الاخرى السابق الاشارة اليها واعنى بها الدعوات السلفية الثلاث وفكرة الجامعة الاسلامية .

ومما هو جدير بالذكر ان اشهر الطرق الصوفية كان لها فضل في نشر الدين الاسلامى بين الافارقة الوثنيين ، فالطريقة القادرية مثلا التى ينسب الى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى في بغداد عام ١١١٦ م وجد الزعيم الوطنى العراقى رشيد عالى الكيلانى ، انتشرت في المغرب العربى انتشارا كبيرا ، ومن هناك انتشرت في غرب افريقيا حتى سيراليون ومصب نهر النيجر ، وكانوا ينشرون الاسلام بين الافارقة بالاسلوب السلمى

(١٧٤) ديلاسى أوليرى : المرجع السابق ص ١٩٠ .
(١٧٥) د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص ٢٧٨ .

عن طريق التعليم والتجارة حيث يقوم اتباع الطريقة بفتح الكتاتيب لتعليم الاطفال الافارقة اوليات الدين الاسلامى والقراءة والكتابة باللغة العربية ثم يرسلونهم على نفقة زوايا الطريقة الى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس والجامع الازهر بمصر فيخرجون من هناك طلبة مجازين اى اساتذة ، ويعودون الى تلك البـــلاد لاجل مقـاومة التبشير المســيحى في السودان (١٧٦) .

واما الطريقة الشاذلية والتى تنسب الى الحسن الشاذلى وتأسست في المغرب في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد كانت من اولى الطرق الاسلامية التى ادخلت التصوف الاسلامى في المغرب العربى ، واشتهر من شيوخها « سيدى العربى الدرقاوى » المتوفى عام ١٨٢٣م الذى كان يطلب من مريديه الطاعة العمياء لمشـــايخهم ، وبسبب تفانى انصار الطريقة الشاذلية وخاصة الذين تأثروا بالشيخ الدرقاوى فقد اتصـفوا بالحماسة الدينية وروح التضحيةو الفداء والرغبة في الاستشهاد فلاعجب ان نجد اتباع هذه الطريقة يواجهون الغزو الفرنسي للمغرب الاوسـط ــ الجزائر ــ وفي غرب افريقيا مواجهة بطولية عنيدة .

وكانت الطريقة الثالثة التى ادت دورا في نشر الاســلام بين الافارقة هى الطريقة التيجانية التى تنتسبالى مؤسسها «احمد بن محمد التيجانى» المتوفى في مدينة فاس . عام ١٧٨٢ م ، وقد صار للطريقة اتباع كثيرون في السودانوالسنغالحتى المحيط الاطلنطىوكانوامن اشد انصار الاسلاموالتفوا حول زعيم محلى للطريقة في السنغال يدعى الحاج عمر المولود في قرية على نهر السنغال عام ١٧٩٧ م وتعلم في زوايا الطريقة التيجانية وتعلم ايضا في الجامع الازهر بمصر ثم عاد الى وطنه عام ١٨٣٣ م ، ومن هناك اخذ ينشر الاسلام بين الوثنيين من الافارقة تارة بالطريقة السلمية وتارة اخرى بالحرب، وعندما مات الحاج عمر عام ١٨٦٥ م اثناء احدى المعارك ضد احدى القبائل الوثنية بغرب افريقيا ترك للطريقة التيجانية سـلطنة اسلامية عظيمة في وسط بلاد السنغال واجهت الاستعمار الفرنسي اواخر القرن التاسـع عشر ، حتى اعتبر الفرنسيون وجود هذه السلطنة التيجانية في وسـط السودان خطرا عظيما على مشروعاتهم (١٧٧) .

---

(١٧٦) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى حـ ٢ ص ٣٩٦ .
(١٧٧) المرجع السابق .. ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨ .

واما السنوسية التى يعدها البعض طريقة صوفية ، فقد ساهمت في نشر الاسلام في «واداى» و «الباجرمى» و «بورنو» ونواحى بحيرة تشاد ، وكانت طريقة السنوسيين في نشر الاســـلام بين الافارقة تقوم على شراء الارقاء صغارا من تجار الرقيق الذين يجلبونهم من السودان ويربونهم في زواياهم سواء بالجغبوب او غيرها ، فاذا بلغــوا اشــدهم واكملوا تحصيل العلم أعادوهم الى بلادهم فيهدون أهليهم (١٧٨) ، الى جانب الدعاة السنوسيين الذين انتشروا في غرب افريقيـــا بصفة خاصة ، بالاضافة الى مقــــاومة السنوسيين من زواياهم للغزو الفرنسي على غرب افريقيا .

---

(١٧٨) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٥٠.

الفصـــل الرابـــع

الحركات التحررية والوحدوية

- جامعة الدول العربية .
- حركات التحرير في العالم الاسلامى .

  اولا باكستنان .

  ثانيا اندونيسيا .

- الوحدة الاســلامية
- منظمة المؤتمر الاسلامى

جامعة الدول العربية

لم يكن التفكير في وحدة العرب وليد الظروف والاتجاهات التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن وليد الاتجاهات الانجليزية حيال السياسة الدولية وما ينتشر في العالم من احداث وافكار ومخاوف تدفع الدول الى التكتل والتآلف وجمع الحلفاء والاعوان وضمان النفوذ في المواقع الهامة في العالم . فقد سبقت هذه الاتجاهات الجديدة رغبة العرب انفسهم في التكتل والتجمع وتوحيد الجهود ، بل امتدت هذه الرغبة في يوم من الايام فكانت تهدف ـ كما رأينا ـ الى جمع الامم الاسلامية في نطاق واحد من الاتجاهات والتعاون والجهاد في سبيل النهوض والتحرر من خطر الاستعمار .

وبهذا ندرك خطأ الاعتقاد الذى ساد بأن فكرة الجامعة العربية كشكل من اشكال الاتحاد بين الاقطار العربية انما جاءت اول مرة على لسان المستر «انطونى ايدن» Antony Eden وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى في تصريحه عام ١٩٤١ م ، وان العرب استندوا الى هذا التصريح ـ الذى كان بمثابة الضوء الاخضر البريطانى كما يذكر البعض ـ للتفكير في اقامة منظمة تجمع اقطارهم وتعمل على تحقيق مصالحهم المشتركة وتجعل منهم امة تستعيد مجدها بعد ان فرقتها الاطماع الاستعمارية بعد الحرب العالمية الاولى .

وحقيقة الامر ان هذه الفكرة لم تكن جديدة على العرب حين ادلى المستر «انطونى ايدن» بتصريحه هذا (١) اذ ان العرب فكروا في جمع الشمل بعد الحرب العالمية الاولى تجاوزا للتجزئة التى فرضتها الدول الاوروبية الاستعمارية عليهم وبعد ان فشلت مشروعات الشريف حسين بن على زعيم الهاشميين في اقامة الدولة العربية الموحدة والتى تضم بلاد الشام باقسامها المعروفة حاليا ـ سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ـ الى جانب كل من العراق والحجاز ، ومن ثم تتالت مشروعات الاتحاد في الساحة العربية انطلاقا من وجود شعور عام مشترك يشمل مختلف الاقطار العربية دون ان يكون هنالك من يقصد ذلك او يسعى اليه ، اوجدته حركة انتشار الصحافة والطباعة والنشر والاذاعة والتمثيل والشعر والآداب

(١) Fisher, S.N. : The Middle East. a history, P. 571.

وغيرها من الوسائل التى تساعد اتصال الافكار وتدانيها (٢) .

ورغم ان الاقطار العربية انشغلت كل على حدة تقريبا بحركة تحررها من النفوذ الاجنبى خاصة بعد الحرب العالمية الاولى مما اوضح الطابع الشخصي لشعوبها واظهر طابع الاقليمية واختلفت نظم الحكم في تلك الاقطار فكان منها الحكم الجمهورى ، والملكى الاوتوقراطى ، والملكى الدستورى ، كما لم تكن العلاقات السياسية بين حكومات هذه الاقطار على شيء من حسن الرابطة او تبادل التعاون من أمثلة ذلك الخلاف بين السعودية واليمن من ناحية وبين السعودية والحكم الهاشمى في العراق والاردن من ناحية اخرى .

رغم كل ذلك فقد بقى في اعماق عواطف الشعوب العربية الوان من الحب الذى يربطها في وحدة من الجهاد والكفاح للتخلص من براثن النفوذ الاجنبى وتحركها عوامل الجنس واللغة والدين والارض المشتركة الممتدة من المحيط الاطلنطى الى الخليج العربى ، وكلها كانت تذكر العرب دائما بحقيقة الرابطة القومية التى تجمعهم وتدفع الكثيرين الى المناداة بالوحدة او تحقيق شكل ما من الاتحاد (٣) .

كانت فكرة الوحدة العربية اذن في ضمير العرب كمظهر اليقظة الاسلامية كدين والنهضة العربية كقومية ، ومن ثم تعددت مشروعات هذه الوحدة قبل ان تتهيأ الظروف لظهور جامعة الدول العربية ، من بين تلك المشروعات « مشروع سوريا الكبرى » الذى تقدم به الامير عبد الله أمير شرقى الاردن في يوليو ١٩٤١ الى الحكومة البريطانية بهدف ضم امارته الى سوريا ويصبح هو زعيم الدولة الجديدة ، بل وعلى حد قوله يستعيد عرش الهاشميين في دمشق الذى سقط عام ١٩٢٠ م ، ولكن هذا المشروع لم يلق تأييد بريطانيا من ناحية ، ومن ناحية اخرى جرت الانتخابات في سوريا عام ١٩٤٣ حيث تسلم الوطنيون الحكم الذى اصبح جمهوريا ، ومن ثم سقط مشروع الامير عبد الله .

وكان المشروع الاتحادى الثانى في الساحة العربية هو مشروع الهلال الخصيب الذى تبناه نورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق وقدمه في ديسمبر ١٩٤٢ م الى الحكومة البريطانية ايضا ، ويدعو هذا المشروع — الذى عرف بمشروع الهلال الخصيب — الى اقامة اتحاد فيدرالى بين كل

---

(٢) ساطع الحصرى : نشوء الفكرة القومية ص ٢٢٩ .
(٣) د. صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ص ٦٨٦ .

من العراق وسوريا ولبنـان وامارة شرق الاردن وفلسطين ، مع اعطـاء اليهود المقيمين في فلسطين حكما ذاتيا (٤) . ولكن الحكومة البريطانية لم تؤيد كذلك هذا المشروع الذى لم يجد قبولا من جميع العرب ــ على حد قـول المستر ايدن ــ (٥) الى جانب عدم موافقة الاطراف العربية المعنية على فكرة الهلال الخصيب .

وقد يقع البعض في خطأ عند دراسة فكرة انشاء الجامعة العربية بأن الحكومة البريطانية هى صاحبة الاهتمام الاول بهذه الفكرة بدليل تقـديم حكام الاسرة الهاشمية في عمان وبغداد لمشروعاتهم الاتحادية الى الحكومة البريطانية ، وهذا في رأينا تشويه لتاريخ العرب الحديث والمعاصر ، اذ انه يصور بداية حركة الاتحاد وكأنها من صنع بريطانيا وليست استجابة لدوافع وطنية نابعة من داخل الشعب العربى (٦) ، بينما كان العرب يدركون ان سياسة بريطانيا « فرق تسد » Devide and Role ، ومن ثم فانه من الضرورى اقتراح الوسائل للوحدة العربية (٧) .

ومما تجب ملاحظته ان « مشروع سوريا الكبرى » و «مشروع الهلال الخصيب» مشروعات لا تحقق الامانى العربية حيث هدفت ــ هذه المشروعات ــ الى وحدة اقليمية ضيقة في منطقة من العالم العربى ولتحقيق مصـالح لحكام « عمان » و « بغداد » ولعلنا لانجافي الصواب اذا قلنا ان فشل هذين المشروعين يرجع في جانب منه على الاقل الى استبعاد مصر من الانضمام الى ايهما بمعنى ان مصر لم تدع للاشـتراك في اى من المشروعين ، وفي رأيى انه لو شاركت مصر في اى من المشروعين لما تحقق للحكام في « عمان » او في « بغداد » فرصة الزعامة في اى من الاتحادين .

وانطلاقا من هذا نرى ان فكرة انشاء جامعة الدول العربية كشكل من اشكال الاتحاد العربى ، ولدت في مصر وتقررت بين الاقطار العربية على ارض مصر ، ولهذا تهيأ لها البقاء والاستمرار منذ قيامها الى الآن ، وليس هذا بغريب على موقف مصر من العروبة ، اذ وقفت مصر باستمرار الى جانب الشعوب العربية في كفاحها لنيل اسـتقلالها حتى ومصر تناضل لأجـلاء

(٤) Lencrzswski, G. : The Middle East in World Affairs, P. 636.

(٥) Ibid.

(٦) د. صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٩٥ .

(٧) Fisher, S.N. : Op. Cil., P. 571.

قوات الاحتلال البريطانى عن اراضيها ، وهذا لا ينفى ان كثيرا من المصريين اعتقدوا حتى اوائل الاربعينات من القرن العشرين بوجوب اعطاء الالووية في اية جهود تشارك فيها مصر لتحقيق الوحدة العربية الى وحدة وادى النيل ، وهى الوحدة القائمة على اسس جغرافية طبيعية ، والتى يظهر فيها عامل المصلحة بصورة اوضح (٨) .

توفرت العوامل اذن بعد الحرب العالمية الاولى لتصل في النهـاية الى تحقيق الاتحاد العربى في صـورة جامعة الدول العربية التى ظهـرت للوجود بعدالحرب العالمية الثانية ، وقبل ان نناقش كيفية قيام جامعـة الدول العربية علينا ان نعرف ظروف العالم العربى بعد الحرب العـالمية الاولى وتطور هذه الظروف حتى الحرب العالميـة الثانية .

عندما انتهت الحرب العالمية الاولى بأنهاء الوجود التركى في الارض العربية تأثرت القومية العربية بعاملين احدهما قديم يستمد اصوله من افكار القوميين العرب ومن اتجاهات الثورة العربيـة التى قادها الشريف حسين في جانب الحلفاء مستغلة الى حد كبير آمال العرب القومية ، والعامل الثانى جديد تأثر بسياسة الحلفاء لتقسيم العالم العربى فيما بينهم ، وقيام انظمة مختلفة للحكم في الاقطار العربية بحدود سياسية تفصل بينها وتخضع لنفوذ استعمارى بشكل او بآخر ، فقامت في العراق دولة ملكية تحت حكم فيصل الاول بن الشريف حسـين ، وفي شرق الاردن انشـئت امارة جديدة يحكمها اخوه الامير عبد الله ، وقامت فرنسا بفصل سوريا ولبنان وانتهى الامر بهما الى اقامة نظام جمهورى في كل منهما .

اما في شبه الجزيرة العربية فقد استطاع « عبد العزيز آل سعود » ان يضم الى سلطنة نجد الحجاز وامارة عسير ويكون المملكة العربية السعودية الحديثة منذ عام ١٩٣٢ م ، واستقل الامام « يحيى حميد الدين » باليمن ، ومنحت مصر استقلالها على اسـاس تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م . وبقيت فلسطين تحت الانتداب البريطانى ، واعترف الحلفاء بقيام وطن قومى لليهود فيها ، وظل السودان خاضعا للحكم الثنائى اسما الانجليزى فعـلا ، واما اقطار المغرب العربى — ليبيا وتونس والجزائر والمغرب — فقد ظلت تكافح الاستعمار الايطالى والفرنسي والاسبانى .

---

(٨) د. انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ص ٦٤ .

وشغلت كل هذه الاقطار بنفسها وباستقلالها عن الاستعمار الاوروبى استقلالا كاملا عن الوحدة العربية المنشودة ، كما كان للخلافات التى قامت بين آل سعود والهاشميين ، وما حدث بين اليمن والمملكة العربية السعودية من خلافات اثره في تعثر التفاهم بينها جميعا ،وكان للخلافات القديمة التى قواها الفرنسيون بين المسلمين والموارنة في الشام اثرها في تباين الجهود الوطنية واضطرابها في دولتى المشرق سوريا ولبنان (٩) .

وتأثرت مصر في غمار جهادها الوطنى عن هذا المعترك الجديد ، وبرزت فيها نزعة وطنية صميمة تزعمها بعض الشباب ممن تلقوا ثقافتهم وتعليمهم في دول الغرب ، ترمى هذه النزعة الى احياء الفكرة المصرية الاصيلة متأثرين في هذا بما شاهدوه قبيل الحرب العالمية الاولى من قيام الدولة القومية وانتصارها في اوروبا ، ثم وقع حادث المحمل بين المصريين والسعوديين اثناء موسم الحج عام ١٩٢٧ م فأدى الى قطع العلاقات بين مصر والسعودية .

ولكن هذه التيارات العديدة على اختلافها لم تستطع أن تقضي على الشعور الاصيل بالوحدة العربية بين شعوب الاقطار العربية جميعا ، فكلها تتحدث اللغة العربية وتدين بالاسلام وتجرى في عروقها دماء عربية ويجمع بينها تقاليد متقاربة وتاريخ متوارث واحداث متشابهة في كفاحها للاستقلال والحرية ، فأخذت تسوى خلافاتها وبدات محاولات عديدة في هذا السبيل، فتم اجتماع العاهلين العربيين عبد العزيز آل سعود وفيصل الاول بن الحسين على بارجة حربية في خليج البصرة في فبراير عام ١٩٣٠ م ، وفي ٧ أبريل من العام التالى — ١٩٣١ — أبرمت معاهدة صداقة بين المملكة العربية السعودية والعراق جاء في ديباجتها ما يلى : وبناء على رغبة جلالتهما في بذل ما يستطاع لجمع شمل الامة العربية وتوحيد كلمتها ...

وفي ١١ مايو ١٩٣١ م عقدت في صنعاء معاهدة صداقة بين العراق واليمن جاء في مقدمتها :

تمهيدا لتوحيد كلمة الامة العربية ... وفي عام ١٩٣٤ عقدت اتفاقية صداقة بين اليمن والمملكة العربية السعودية .. وتلى هذا — عام ١٩٣٧ م — ابرام حلف عربى يضم المملكة العربية السعودية واليمن والعراق تنضم اليه

---

(٩) د. حسين النجار : الشرق العربى بين حربين ص ٢٨ — ٢٩

الدول العربية المستقلة او التى تستقل فيما بعد (١٠) ، وبدات شقة الخلاف بين الموارنة والمسلمين في سوريا ولبنان تضيق ليجمع بينهما الكفاح المشترك ضد الفرنسيين ، وعقدت بين مصر والمملكة العربية السعودية معاهدة اخوة وصداقة عام ١٩٣٦ لانهاء فترة الجفاء التى اعقبت حادث المحمل قبل عشر سنوات تقريبا (١١) .

وكان الشعور المتبادل بمأساة فلسطين الظاهرة البارزة لتقارب الشعوب العربية ، فعقدت مؤتمرات عربية في القدس والقاهرة وبلودان بسوريا ، وانضم المتطوعون من كافة البلاد العربية لمساعدة المناضلين العرب في ثورتهم على الانتداب البريطانى والصهيونية في فلسطين عام ١٩٣٦ م ، وكان مؤتمر المائدة المستديرة الذى دعت اليه الحكومة البريطانية في لندن عام ١٩٣٩ م لعلاج مشكلة فلسطين اول اجتماع رسمى يجتمع فيه ممثلو الدول العربية، وقد لبى الدعوة الى المؤتمر حكومات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الاردن واليمن ، وحالت فرنسا دون اشتراك كل من سوريا ولبنان في المؤتمر (١٢) .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فقوت أواصر التقارب العربى ، فقد الهبت الحرب عواطف العرب القومية وجمعهم الامل بقرب انهيار النفوذ الاستعمارى في بلادهم بهزيمة بريطانيا وفرنسا ، ولم يكن العطف على دول المحور ــ المانيا وايطاليا واليابان ــ الا من باب النقمة على دولتى انجلترا وفرنسا الاستعماريتين ، ووجدت حركات المقاومة نوعا من العطف الشعبى عليها ، وكانت الاعتداءات على الجنود البريطانيين في مصر تجد لونا من العطف الشعبى على كل من ينهض لمقاومة الاستعمار مهما كانت وسائل المقاومة ، كما وجدت حركة رشيد عالى الكيلانى في العراق بعض التأييد سواء في العراق أو في الاقطار العربية الاخرى ، وكانت هى بدورها ظاهرة طبيعية للتعبير عن الكراهية الكامنة لاحتلال بريطانيا ونفوذها في العراق .

ولقيت الحركة الاستقلالية التى قامت في سوريا ولبنان ضد الفرنسيين كل انواع العطف والتأييد الشعبى والحكومى في مصر والعراق وبقية الاقطار

---

(١٠) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٨٧ .
(١١) وزارة الخارجية السعودية : المعاهدات . .
(١٢) د . حسين فوزى النجار : المرجع السابق ص ٢٩ .

العربية ، فقد ايقظ انهيار فرنسا امام الغزو الـماني عام ١٩٤٠ آمال السوريين واللبنانيين بقرب تحقيق استقلالهم وانهيار الانتداب الفرنسي .

وتنبهت بريطانيا لخطورة العداء العربي للانجليز والفرنسـيين فأرادت امتصاص هذا العداء بتصريحات المستر انطوني ايدن وزير الدولة البريطاني للشـئون الخارجية خلال عامي ١٩٤١ و ١٩٤٣ م بتأييـد بريطانيا لوحدة العرب بشرط أن تنبع من رغبة العرب انفسهم ، كما انـه عندما دخلت القوات الانجليزية مع قوات فرنسا الحرة الى سوريا ولبنان في يوليو ١٩٤١ وطرد ممثلي حكومة فيشي من القطرين العربيين اعلنت انجلترا اعترافها باستقلال سوريا ولبنان واستجابت حكومة فرنسا الحرة لقرار حليفتها على أن يتم ذلك بعد انتهاء الحرب .

وخلاصة ما رأيناه من ظروف العالم العربي خلال الحربين العالميتين أن الاقطار الواقعة في شبه الجزيرة العربية والاقـل تحضرا تمتعت بالاستقلال في الوقت الذى كانت فيه الاقطار المتطورة نسبيا مصر وسوريا ولبنان ترزح تحت نير النفوذ الاجنبي ، ولم يكن هناك مجال أمام المملكة العربية السعودية أو اليمن لتزعم الدعوة الى الوحدة العربية ، بينما تطلعت حكومة العراق في الثلاثينات من القرن العشرين الى تزعم هذه الدعوة ، الا أن مصر اخذت تجتذب الى السياسة العربية منذ أن اشتركت في مؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين والذى عقد بلندن سنة ١٩٣٩ م (١٣) .

وعلى هذا فقد اخذت مصر زمام المبادرة في الدعوة لبحث تشكيل منظمة تحقق أمل العرب في الوحدة دون أن تطرح حكومة مصطفى النحاس شـكلا معينا من أشكال الوحدة ، وجاءت هذه المبادرة في شكل توجيـه دعوات من رئيس الحكومة المصرية الى رؤساء الحكومات العربية لزيارة القاهرة كل على حدة للبحث في خير السبل لتحقيق هدف العرب وذلك في صيف عام ١٩٤٣ .

ورغم تباين وجهات نظر حكومات الاقطار العربية بين متشـكك في امكانية قيام اتحاد بين الدول العربية وبين مؤيد بحماس للوحدة العربية، وبين متحفظ بالنسبة للجوانب السياسية فقد انتهت المناقشات الى عقد

---

(١٣) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٨٨ .

اجتماع بمدينة الاسكندرية في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ م حضره مندبون عن كل من مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية والجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية ومملكة العراق وامارة شرقى الاردن .

أقر اجتماع الاسكندرية ما عرف باسم « بروتوكول الاسكندرية » الذى تضمن مبادىء عامة للتعاون بين الدول العربية المجتمعة بالاسكندرية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، ثم تكونت لجنة فرعية لصياغة ميثاق « لجامعة الدول العربية » وهو الشكل الذى انتهى اليه الرأى كصورة للوحدة العربية ، وصدر الميثاق في ٢٢ مارس ١٩٤٥ م في مدينة القاهرة التى صارت مقرا للجامعة العربية بكل مؤسساتها ، انطلاقا من سبق مصر في المجال الثقافى والحضارى وثقلها السكانى بالمقارنة مع الدول العربية الست الاخرى الاعضاء في الجامعة مجتمعين (١٤).

وبهذا الميثاق صارت جامعة الدول العربية منظمة اقليمية تحاول تحقيق المصلحة العربية بقدر ما تسمح لها سياسات الحكومات العربية ، وقد وقع على الميثاق كل من : فارس الخورى رئيس وزراء سوريا ، وسمير الرفاعى باشا رئيس وزراء شرقى الاردن ، وأرشد العمرى وزير خارجية العراق ، ويوسف ياسين نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية ، وعبد الحميد كرامى رئيس وزراء لبنان ، ومحمود فهمى النقراشي باشا رئيس وزراء مصر ، ومندوب عن اليمن .

وقد تضمن الميثاق ثلاثة ملاحق أحدها خاص بفلسطين يقضي باختيار مندوب يشارك في أعمال مجلس الجامعة ، والملحق الثانى خاص بالاقطار العربية التى لم تحصل بعد على استقلالها ويقضي بمراعاة المجلس لامانيها ويساعدها على تحقيقها ، والملحق الثالث يقضي بتعيين عبد الرحمن عزام بك أمينا عاما لجامعة الدول العربية لمدة سنتين . كما تضمن الميثاق تشكيل عدة منظمات او هيئات تحقق الوحدة بين العرب خاصة في النواحى الثقافية والعسكرية والاقتصادية (١٥) .

---

(١٤) The American Assembly : The United States and The Middle East, P. 94.

(١٥) د. محمد كامل ليلة : المجتمع العربى والقومية العربية ص ١٥٦

وفي نطاق الجامعة العربية ظهرت خطوات وحدوية بعضها تحقق والبعض الاخر تعثر ، من بينها ميثاق الضمان الجماعى العربى للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى الذى عقد بين دول الجامعة السبع في ٢ رمضان ١٣٦٩ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٥٠م وقعه كل من الدكتور ناظم القدسي بك رئيس وزراء سوريا ، ونورى السعيد رئيس وزراء العراق ، والشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ووزير الخارجية السعودية بالنيابة ، ورياض الصلح بك رئيس وزراء لبنان ، ومصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر ، والسيد على المؤيد مندوب اليمن الدائم في الجامعة العربية ، وعونى عبد الهادى مندوب عن المملكة الاردنية الهاشمية .

وجاءت الخطوة الوحدوية الاخرى في شكل المشروع المقدم من الدكتور ناظم القدسي رئيس مجلس وزراء سوريا الى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في يناير ١٩٥١ م بشأن اقامة اتحاد بين الدول العربية مستندا الى خطر الانقسام بين العرب في وجود مطامع استعمارية ووجود صهيونى في فلسطين وطرح ثلاثة أشكال للوحدة : الاول الدولة المتحدة العربية ، والشكل الثانى اتحاد الدول العربية فيدراليا ، والشكل الثالث اتحاد الدول العربية كونفيدراليا .

وجاءت خطوة وحدوية اخرى في يناير ١٩٥٤ م في شكل مشروع للاتحاد العربى مقدم من الدكتور محمد فاضل الجمالى رئيس وزراء العراق الى مجلس جامعة الدول العربية في دورته العشرين ، واشار المشروع الى صعوبة تحقيق الوحدة العربية الشاملة بين الاقطار العربية ، وان البديل لذلك هو اقامة وحدة بين بعض الاقطار العربية الراغبة والمهيأة للدخول في وحدة ، على أن تقوم الوحدة في شكل توحيد للسياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية .

كما جاءت خطوة اخرى تؤكد الاتجاه الوحدوى العربى في شكل اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا عقدت في ٤ ربيع الاول عام ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٥ م ، كما عقدت اتفاقية مماثلة للدفاع المشترك بين مصر والمملكة العربية السعودية في ١١ ربيع الاول ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٧ اكتوبر ١٩٥٥ م ، واتفاقية ثالثة مماثلة بين كل من حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة العربية السعودية

وحكومة المملكة المتوكلية اليمنية في ١١ رمضان ١٣٧٥ هـ الموافق ١١ ابريل ١٩٥٦ م (١٦) .

وجاءت خطوة وحدوية كبرى باعلان الوحـــــدة الكاملة بين مصر وسوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م ، تلك الوحدة التى تعد تطويرا عملـــيا لميثاق جامعة الدول العربية ، ولولا التآمر من اعداء الوحدة في الداخـل والخارج لاستمرت هذه الوحدة مدة أطول بل ولانضم اليها أعضاء جـدد كما حدث عندما انضمت اليمن الى « الجمهورية العربية المتحدة » (وحدة مصر وسوريا) فيما عرف باسم « اتحاد الدول العربية » . واذا كان أعداء الوحدة قد نجحوا في انفصال سوريا عن مصر في سبتمبر ١٩٦١ م ، واذا كانت ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م قد جمدت اشـــتراك اليمن في « اتحاد الدول العربية » فان روح الوحدة استمرت .

ولعل خير دليل على ذلك هو توقيع ميثاق بين العراق وســـوريا ومصر في ١٧ أبريل ١٩٦٣ م لاقامة وحدة ثلاثية فيدرالية . ورغم أن هذه الوحدة لم يقدر لها التحقيق الا انها كانت خطوة وحدوية على الطـريق خاصة وأن العراق شارك في هذا الميثاق بعد أن قامت ثورته عام ١٩٥٨م انهت حكم الهاشميين الذين كانوا قد أقاموا اتحادا هاشميا بين حكـومتى العراق والاردن قبل قيام ثورة العراق بأربعة شهور . ومــع أن المشروع لو نفذ لكان حدثا تاريخيا بالنسبة للامة العربية الا أن الجماهير لم تكترث به لان الاشكال الدستورية لا تؤثر في الرأى العام العربى الذى الف مبدأ الامر الواقـــع والنظام الشخصي في الحكم (١٧) .

وجرت محاولات وحدوية في المغرب العربى عقب حصول اقطـــاره على استقلالها قامت على أساس وحدة المغرب العربى الكبــــير ــ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ــ ، وسارت هذه المحاولات شوطا لا بأس به في مجالات الاقتصاد والتعاون الثقافى حتى قامت ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا عام ١٩٦٩ م فتجمدت هذه المحاولات بسبب اتجـــاه ليبيا الى المشرق العربى بصفة عامة ومصر بصفة خاصة لتحقيق مشروعات وحدوية، الى جانب نفور الجزائر بصفة خاصة من الدخول في وحدة تحت الزعامة التونســـية .

---

(١٦) وزارة الخارجية السعودية : مجموعة المعاهدات .
(١٧) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٧٠٥ .

وجاء اعلان ميثاق طرابلس في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ م بين كل من جمهورية السودان الديمقراطية في ظل ثورة ٢٥ مايو ١٩٦٩ م بقيادة الرئيس جعفر محمد نميرى ، والجمهورية العربية الليبية في ظل ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ م بقيادة معمر القذافى ، والجمهورية العربية المتحدة بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، خطوة اخرى على طريق الوحدة العربية ، ثم انضمت الى الميثاق الجمهورية العربية السورية بعد حركة التصحيح التى قادها الرئيس حافظ الاسد في ١٥ نوفمبر عام ١٩٧٠ م . وقد حدد الميثاق اهدافه باتخاذ الخطوات العملية في مجالات الثقافة والاقتصاد والسياسة والجيش للوصول الى الوحدة الكاملة بين أعضاء الميثاق على اسس ثابتة ، فشكلت لجان في مختلف المجالات من اجل توحيدها لتكون أساسا للوحدة الدستورية بين الدول الاربع .

ثم أعلن « اتحاد الجمهوريات العربية » في ١٧ ابريل ١٩٧١ م بين جمهوريات : مصر العربية برئاسة محمد انور السادات ، والعربية الليبية برئاسة معمر القذافى ، والعربية السورية برئاسة حافظ الاسد على أن تنضم الى الاتحاد جمهورية السودان الديموقراطية متى تهيأت لها الظروف المناسبة ، وقد تشكل لهذا الاتحاد مجلس رئاسة من الرؤساء وصار الرئيس انور السادات رئيسا للمجلس ، كما تشكل مجلس امة اتحادى ترأسه مواطن ليبى ، ومجلس وزراء اتحادى ترأسه سورى .

وفي عام ١٩٧١ م أيضا أعلن عن تشكيل دولة الامارات العربية المتحدة من امارات الخليج العربى السبع : أبو ظبى ، دبى ، الشارقة ، رأس الخيمة ، أم القوين ، عجمان ، الفجيرة . وفي نفس العام أعلن استقلال كل من دولة قطر ودولة البحرين . وفي ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ الموافق ٢ أغسطس ١٩٧٢ م أعلن الرئيسان أنور السادات ومعمر القذافى قيام وحدة اندماجية بين جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية الليبية في بنغازى ونص الاعلان على أن تكون عاصمة دولة الوحدة في جمهورية مصر العربية ، وأن يكون لها مجلس رئاسة من الرئيسين حتى يتم انتخاب الرئيس بواسطة الشعب ، وأن تتشكل لجان في مختلف المجالات من أجل تحقيق الاندماج الكامل .

ومن المشروعات الوحدوية على الساحة العربية المحاولات التى بذلت لجمع الجمهورية العربية اليمنية مع جمهورية اليمن الديموقراطية في ودلة موحدة ، وتلك التى بذلتها ليبيا لاتمام وحدة مع تونس . ثم جاءت حرب

رمضان اكتـــوبر ١٩٧٣ م التى شاركت فيها جميع الدول والشـــعوب العربية كل بقدر جهده وبحسب امكانياته ، واذا كانت دمـــاء المصريين والسوريين والفلسطينيين بصفة خاصة ، ودماء الجنود العرب المشاركين في الحرب بصفة عامة قد سالت بغزارة لتحقيق نصر على الصهيونية فان روح العرب بكامل امكانياتها ساهمت في المعركة حتى يمكن القول أن روح العروبة هى التى انتصرت فحققت بذلك أروع وحدة عربية شـــاملة غير معلنـــة .

وخاتمة القول ان جامعة الدول العربية التى خرجت الى الوجـود منذ عام ١٩٤٥ م رغم انها لم تكن الصورة المثلى لتحقيق الامانى العربيـة في الوحدة بين الاقطار العربية الا انها كانت صورة مشرقة على طـريق الوحدة العربية خاصة اذا لاحظنا أن الجامعة التى بدأت بسبعة أعضـاء صارت تضم حاليا اثنتان وعشرين عضـوا ، واذا لاحظنا ظهور مؤسسات وحدوية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومنظمة الوحدة الاقتصادية ، والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ، وغيرها من المنظمـات التى تشمل جميع الانشطة في الدول الاعضاء .

حركات التحرير فى العالم الاسلامى

شهد القرن التاسع عشر ذروة الهجمة الاستعمارية ضد الشعوب الافريقية والاسيوية وبها الكثير من المسلمين ، ومن ثم تسلح مسلمو بعض الاقطار التى خضعت للاستعمار الاوروبى بمبادىء الدين الاسلامى الحنيف ــ خاصة ما يحض منها على الجهاد ــ في مقاومة الوجود الاستعمارى على ارضهم ، ومن ثم شهدت هذه الارض حركات تحريرية رائدها الاسلام في ظل اليقظة الاسلامية العامة التى شهدها العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين أو بالاحرى خلال قرنين من الزمان منذ منتصف القرن الثامن عشر الى منتصف القرن العشرين .

وفي اطار هذه الدراسة نسوق بعض الامثلة على حركات التحرير في العالم الاسلامى وماذا حققت من انجازات ومدى ما كان لها من ايجابيات أسهمت في حركة اليقظة الاسلامية .

أولا : باكستان :

يبدأ التأريخ للباكستان بدخول الاسلام الى شبه القارة الهندية على ايدى التجار العرب اذ كان للعرب علاقات تجارية مع الهنود ترجع الى سنوات طويلة قبل ظهور الاسلام ، ولكنهم حين وفدوا الى شبه القارة الهندية مسلمين في مطلع القرن العاشر الميلادى أقاموا على طول الساحل الغربى وتزاوجوا مع أهل البلاد حتى اذا جاءت الفتوح الاسلامية في عهد الامويين وجدت الطريق ممهدا لنشر العقيدة الاسلامية ، حتى اذا أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند بضعف دولة الخلافة استقل بحكمها بعض الامراء ، وكان هذا النفوذ غالبا في غرب الهند ، أو ان شئنا التحديد ، قلنا في أرض السند وهى المنطقة التى تكون باكستان الغربية اليوم (١٨) .

ومما تجب ملاحظته ان المسلمين منذ أن دخلوا السند وانحدروا منها الى بقية شبه القارة الهندية لم يتخلوا عن هذه البلاد قط ، كما أن الفاتحين الذين جاءوا قاصدين الهند وفدوا بطريق السند ــ باكستان الحالية ــ من الشرق أو من الغرب ثم انحدروا الى الهند (١٩) . وكان أول فتح اسلامى

---

(١٨) عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ١٩ .
(١٩) د . احسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ص ٤١ .

كبير للهند هو ذلك الفتح الذى قاده محمود الغزنى أمير الافغان عام ١٠٠١ م حيث اتخذ من البنجاب مركزا انطلق منه الفاتحون الاسلاميون بعده لفتح بقية أجزاء شبه القارة الهندية بل ولنشر الاسلام الذى وجد قبولا كبيرا لدى أهل الطبقات الدنيا والفقيرة من الهنود الذين دخلوا الاسلام أفواجا وتمتعوا بما ينادى به الاسلام من أخوة حتى كانوا بعد ذلك يرتقون الى مستوى الفاتحين (٢٠) .

ومنذ ان وفد الاسلام الى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة في شبه القارة الهندية ، فكانت الدولة الاسلامية التى أسسها قطب الدين محمد الغورى عام ٥٨٩ هـ الموافق ١١٩٣ م ، على انقاض الدولة الغزنوية، أقوى دولها ، فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات « فنديا » جنوبا الى جبال « الهملايا » شمالا ، ثم تلتها أسرات اسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية متخذة من دهلى مركزا وعاصمة للدولة الاسلامية، وان لم تحاول التوسع جنوبا أو تجعل من الهند كلها دولة اسلامية موحدة .

حتى اذا كان عام ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦ م حكمت الهند الدولة « التيمورية » أو الدولة المغولية التى كان عهدها أزهى عصور الحكم الاسلامى في شبه القارة الهندية ، وبلغت من القوة والاتساع حدا لم تشهده دولة اسلامية سابقة في الهند ، وشهدت البلاد في عهدها حضارة من أزهى الحضارات الاسلامية (٢١) .

وكان دخول الاسلام الى البنغال الشرقية ــ جمهورية بنجلاديش الاسلامية حاليا ــ أعظم دليل على قوة الاسلام ومبادئه التى جذبت اليها كثيرا من الهندوس فأقبلوا على اعتناق الدين الاسلامى أفواجا ، ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى غزت هذه البلاد أسرة هندوكية متعصبة نزلت عليها من الجنوب وفرضت نظام الطبقات الهندوكى في صرامة وشدة وتعصب ، فلما جاء المسلمون وغلبوا هذه الاسرة الحاكمة ودعوا للدين الاسلامى استهوت دعوتهم المغلوبين على أمرهم ورأوا في الدين الجديد مساواة لم يروها في الديانة الهندوكية فأقبلوا على اعتناقه وتحولوا من الهندوكية الى الاسلام ، وكان للدعاة والتجار المسلمين الذين انحدروا الى تلك المناطق الموسمية

---

(٢٠) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى جـ ٤ ص ١٨٠ .
(٢١) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٠.

الغنية الفضل الاول في نشر الدين الاسلامى في ارجائها الواسعة ، وكـان انتشار الاسلام في هذه المناطق وفي اندونيسيا والملايو والصين على أيديهم .

ولكن منذ القرن السادس عشر أخذت الدولة الاسلامية في الهنـد تضعف وتتفكك رقعتها الواسعة باعلان بعض الامراء استقلال المناطق التى يحكمونها ، وشعر البراهمة بأنهم مهددون بالخراب والاندثار فشرعوا يبشرون بدعوة لليقظة الهندية فآل الامر الى تضعضع سلطان السلالة المغولية (٢٢) . وجمع بعض أمراء الهندوس والسيخ الجيوش وشنوا حروبا على الدولة الاسلامية واقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها ، والملـوك المسلمون في دهلى يضعفون شيئا فشيئا ، وينحسر نفوذهم وينكمش ، حتى لم يعد لهم سلطان ولا نفوذ (٢٣) حتى اذا كان أوائل القـرن الثامن عشر انقرضت المملكة المغوليـة (٢٤) .

جاء تفتت الدولة الاسلامية في شبه القارة الهندية مهيئا للاطمـاع الاستعمارية الاوروبية لكى تحقق اهدافها ، فالى جانب البرتغال ظهـرت شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية البريطانية متصارعة جميعا لبسط نفـوذها على ممتلكات الدولة الإسلامية في الهند ، وانتهى الصراع بفوز شركة الهند الشرقيـة البريطانية بالغنيمة .

ولقد تركت الدولة الاسلامية في شبه القارة الهندية آثارا آية في الروعة والعظمة منها على سبيل المثال لا الحصر مقبرة السلطان « جهان كير » وهى تقع في بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلو مترات من مدينة لاهور ، وكتب على المقبرة : نور الدين محمد جهان كير بادشاه ١٠٣٧ هـ ، وقبـر زوجته « نور جهان » المشابه لمقبرتهوالتى تبعد عنها بحوالى كيلو متـر واحد (٢٥) . كما كان من الاثار الاسلامية كذلك قبر « تاج محل » الذى بناه السلطان « جهان شاده » سنة ١٦٣٠ م لزوجته المحظية التى كان قد ملك هواها قلبه وتدعى « الاميرة ممتاز محل » في « آجرا » التى تقـع الان في

---

(٢٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٠ .
(٢٣) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١ .
(٢٤) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٠ .
(٢٥) د . احسان حقى : المرجع السابق ص ٩٠ — ٩١ .

جمهورية الهند ، وكانت الاميرة « ممتاز محل » قد ماتت وهى نفساء في مقتبل العمر فناشدت السلطان ان يخلد اسمها في بناء عظيم الشأن فبنى لها ذلك المدفن النادر المسمى بالتاج (٢٦) .

اخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تخطط للانفراد بالنفوذ الاعلى في شبه القارة الهندية دون معارضة الدولة الإسلامية بالهند ، فعمدت الى الايقاع بين الامراء المسلمين باعانة البعض بالمال والرجال ضد البعض الاخر ، وما كاد ينتصف القرن الثامن عشر حتى امسكت الشركة بدخل الولايات الاسلامية وغير الاسلامية في شبه القارة الهندية ، وقد اساء هذا الوضع امراء الدولة الاسلامية فتعددت مواقفهم الحازمة ضد مؤامرات الشركة البريطانية ، كان من بين هذه المواقف موقف الامير « سراج الدولة » في البنغال عام ١١٧٠ هـ الموافق ١٧٥٧ م وموقف الامير « حيدر » في الجنوب في عام ١١٩٥ هـ الموافق ١٧٨١ م وموقف ابنه « السلطان تيبو » ، الا أن هذه المواقف لقيت الفشل بسبب خيانة بعض القواد وضعف نفوس بعض امراء الولايات الذين استمالهم الانجليز (٢٧).

وكان المسلمون أصحاب السيادة في الهند حتى بدات جولة الاستعمار الاوروبى ودخلت الهند تحت النفوذ البريطانى فعملوا على اضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الامر في المستعمرة الغنية الواسعة، ورغم ان شركة الهند الشرقية البريطانية بدات نشاطها في الهند بالسعى الى جنى الارباح وكسب الاموال ، الا انها سرعان ما تحولت الى حكومة ذات سياسة طموحة ترمى الى الفتح والامتلاك ، فكان من شأن هذا التحول ان ايقظ الكثير من أهل الهند الى حقيقة السياسة البريطانية الاستغلالية مما كان السبب في انفجار بركان الثورة عام ١٨٥٧ م (٢٨) .

تزعم الثورة ضد الانجليز المسلمون وبعض الهندوس الذين نكبهم الانجليز ، وبسبب تأخر الثورة وسياسة الانجليز فرق تسد فقد فشلت

---

(٢٦) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٢١ . ويمكن الإستزادة من معلومات حول تاج محل من كتاب دكتور احسان حقى ، الى جانب ستودارد .

(٢٧) د . عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨١ .

الثورة ، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج فشلها ، ونتج عن هذه الثورة اصدار قرار من الحكومة البريطانية بالغاء حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند عام ١٨٥٩ م وجعلت الهند تابعة مباشرة للتاج البريطاني، ونودى بعد ذلك بالملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا امبراطورة على الهند كذلك، ونجم عن كل ذلك تقوية السلطة السياسية البريطانية في الهند وزيادة تغلغل النفوذ الاوروبى الذى اندس في كل نواحى الحياة كالتعليم والمواصلات وغيرها من الجوانب التى كانت وسائل لانتشار نظم الحياة والآراء الاوروبية .

وبعد اخماد الثورة اصبح الهدوء يعم كل ارجاء الهند وانزوى المسلمون بعيداً عن التعاون مع الحكم الجديد، وآثروا ان يبتعدوا عن المدارس المدنية التى انشأها الانجليز بالهند ، وكانوا يريدون منها تخريج طائفة من الموظفين تعرف الانجليزية وتلم ببعض العلوم الحديثة لتساعدهم في مقاصدهم الإستعمارية بالهند ، وكان المسلمون حكام البلاد قبل الانجليز فأبوا ان يستخدمهم الانجليز في هذه المقاصد ، وآثروا ان يقتصروا على التعليم في مدارسهم الدينية وان يبتعدوا عن هذه الوظائف ، وقد زاد هذا في تأخرهم وفقرهم ، وفي ظهور طائفة الهندوس عليهم لانهم لم يأبوا الالتحاق بالمدارس التى انشأها الانجليز ، ولم يأبوا الالتحاق بتلك الوظائف (٢٩) . وهكذا بقى المسلمون في عزلتهم بينما اقبل الهندوس على المدارس التى افتتحها الانجليز في الهند ، واصبحوا وقد آل اليهم كثير من امور البلاد مما لا يليه الانجليز ، وتسلم المسئولون البريطانيون البلاد التى كانت تسرى فيها الثقافة والحضارة الاسلامية ليطبعها بطابعه ، ويقضي على كل اثر فيها للحكم الاسلامى السابق ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه (٣٠) .

وفي هذه الحال من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين في الهند كما نزل بغيرهم من المسلمين في بلاد الاسلام الاخرى ، قام السيد « احمد خان » يدعو المسلمين الى حياة جديدة وتفكير جديد ورسم لهم السبيل وخط لهم النهج الذى يسلكون ، وكان طريق العلم والمعرفة ، ووضع اساس جامعة « عليكرة » ، واصدر عددا من الصحف تدعو لفكرته فيها ، وعمل طوال حياته على جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم وبعث الايمان العميق بحضارتهم وقوتهم كما كان اجدادهم الاوائل . ووضع رسالة باللغة الاوردية الهندية اشاد فيها بثورة عام ١٨٥٧ م واثبت انها

(٢٩) عبد المتعال الصعيدى : مرجع سبق ذكره ص ٤٨٣ .
(٣٠) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٣ .

ثورة شعبية قامت بسبب المظالم التى تقع من الانجليز في الهند الى ما يرونه من سعيهم في تغيير عقائدهم ، ومساعدتهم المبشرين المسيحيين فيما يأتونه من الطعن في هذه العقائد (٣١) .

وفي ظل الضعف الذى الم بالمسلمين بدا الهندوس يشنون حملاتهم على المسلمين ، ودفع الانجليز المرابين الهندوس الى انتزاع املاك المسلمين، وتولى الوظائف الكبيرة في الدولة ووضع العراقيل المادية في سبيل الذين يحترفون التجارة من المسلمين ، ونفخ الاستعمار في لهيب الخلاف بين الطائفتين ، وازدادت شدة الخلافات بينهما حتى آمن السيد « احمد خان » بأن الهندوس والمسلمين لن يجمع بينهما وئام ، ولن تكون الفة بين الفريقين ، وان الاقلية الاسلامية ستضيع في ذلك المحيط الهندسي الزاخر .

وجاء توجيه الانجليز للهندوس عام ١٨٨٥ بتأسيس حزب هو حزب المؤتمر الذى لم ينشأ نتيجة قوة وطنية كتلك التى رأيناها في مصر عند انتهاء الحرب العالمية الاولى وتأسيس حزب الوفد المصرى وغيره ، ولم يدفع الى تأليفه رغبة في استقلال ولو ذاتيا ، ولكنه كان من تأليف واخراج الحكام الانجليز انفسهم ، ومن ثم صار الحزب في سنواته الاولى يعلن الولاء التام للحكومة البريطانية (٣٢) .

وبتأليف حزب المؤتمر ادرك السيد « احمد خان » المؤامرة الانجليزية الهندوسية على المسلمين فحذر المسلمين من عواقبها وطلب اليهم عدم التعاون مع حزب المؤتمر ، وانصاع المسلمون الى اقوال السيد احمد خان وابتعدوا عن حزب المؤتمر ، ولكن الحكومة البريطانية استمرت في تدعيم الحزب وطلبت الى القائمين عليه ان يستمروا في اعمالهم (٣٣) .

وحرص الانجليز على ان يضموا الى حزب المؤتمر ممثلين للمسلمين حتى يأخذ الصبغة العامة للبلاد وسكانها ، وان كان هذا قد لقى معارضة شديدة من جانب من المسلمين، في الوقت الذى لقى فيه تأييدا من جانب آخر منهم ، وكان رئيس الجلسة الاولى التى عقدت في « بومباى » السيد

---

(٣١) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٨٢ .
(٣٢) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٥٣ .
(٣٣) احسان حقى : مرجع سبق ذكره ص ١٦٠ .

«رحمة الله» أحد التجار المسلمين المعروفين في بومباى مع السيد «بونارجى» الهندوسي (٣٤) . وبتدعيم من السلطات الانجليزية اتخذ الهندوس موقفا عدائيا من المسلمين مما جعل السيد/احمد خان يدرك ان الحضارة الاسلامية والحضارة الهندوسية حضارتان متنافرتان ، هذا فضلا عن اختلاف اللغة والتقاليد ، فرفض ان يشترك المسلمون في اى تمثيل نيابى للهند ، وقال في ذلك : في بلد كالهند تتقسمه الطبقات وتنوشه النزعات الدينية المتفرقة الحادة وليس فيه من أسباب التربية والادراك الصحيح ما يدفع الناس الى الايمان بالمســـاواة والعدالة في الحقوق والواجبات ، ارى بل أومن ان الانتخاب والتمثيل النيابى ضار اكثر منه نافع (٣٥) .

وانطلاقا من هذه الدعوة فقد دعا المسلمين الى عقد مؤتمر يضم ممثلى المسلمين في كافة الاقاليم الهندية المختلفة ، فوضع بذلك الاساس الـذى قامت عليه الرابطة الاسلامية التى قادت الحركة الاستقلالية لدولة باكستان، كما دعا المسلمين الى نبذ جمود العلماء والعمل على تكوين جيل جديد في الهند يجمع بين الثقافتين الاسلامية والاوروبيــة ، والنهوض بكل نواحى حيــاة المسلمين في الهند في دينهم ودنياتهم . وتوفى عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م بعد ان وضع في الهنــد اول بذرة في الاصــلاح الحديث (٣٦) ، ولا يقلل من جهوده اتهامه بمسالمة الانجليز ، او قيامه بتفسير القرآن الكريم تفسيرا غير مألوف عند علماء المسلمين في عصره .

وفي عام ١٩٠٥ م أعلن نائب امك في حكم الهند اللورد « كيرزن » ان بلاد البنغال كبيرة جدا على حاكم واحد فقسمها الى ولايتين ، وقد استنكر الهندوس هذا التقسيم الذى اعطى المسلمين الولاية التى اكثريتها مسلمة ، وان هذا العمل يضعف روح الوطنية الهندية لا سيما وان البنغال هى اقوى مركز لحزب المؤتمر ، كما ان هذا العمل يجعل المسلمين والطبقات الدنيـــا تشارك الهندوس في وظائف الدولة (٣٧) .

وفي مقابل ثورة الهندوس فرح المســـلمون بقرار التقسيم للبنغال

---

(٣٤) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص٥٣ — ٥٤ .
(٣٥) عباس محمود العقاد : محمد على جناح ص ٤٥ . دار الهلال .
(٣٦) عبد المتعال الصعيدى : مرجع سبق ذكره ص ٤٨٥ .
(٣٧) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٥ .

واسسوا عام ١٩٠٦ م حزب الرابطة الاسلامية الذى نادى بكفالة حقوق المسلمين وحماية حقوقهم السياسية والادارية ومن ثم كان قيامه البداية الحقيقية للحركة القومية التى سار فيها مسلمو الهند وجاء تأسيس هذا الحزب في اجتماع عقده ممثلو المسلمين في مدينة « داكا » في ذلك العام — ١٩٠٦ م — وانتخب « اغاخان » اول رئيس له ، وظل كذلك حتى عام ١٩١٢ م (٣٨) . انطلاقا من ان « اغاخان » ترأس وفد المسلمين الذى قابل نائب الملك وقدم له عرائض بمطالب الهند الداعية الى اجراء انتخابات على الطريقة الطائفية بحيث يكون للمسلمين حق انتخاب ممثليهم المسلمين ولا يشتركون في الانتخاب العام .

وكانت حكومة الهند قد لجأت الى تقسيم البنغال ارضاء للمسلمين ومنعا للاحتكاك بينهم وبين الهندوس الا ان غضب الهندوس لهذا القرار لم يجاوزه حد فثارت ثائرتهم ، هذا مع العلم بأن حكومة الهند استندت في اصدار هذا القرار الى ان المسلمين مازالوا حتى ذلك الوقت يملكون من الارض في شبه القارة الهندية اكثر مما يملك الهندوس وانعددهم في الجيش اوفر من عدد الهندوس (٣٩) . ومع ذلك بدات المعارك الطائفية على اشدها بين الفريقين حتى دفعت المعتدلين من المسلمين الى التخلى عن عزلتهم والنزول الى ميدان المعركة ، فاخذوا يطالبون بتمثيل المسلمين في ادارة البلاد كطائفة لها كيانها وذاتيتها الخاصة .

وقد ساعد على حدوث المعارك الطائفية في الهند روح الحقد والكراهية للمسلمين التى نفخها في الهندوس زعيم منهم يدعى « بال كندادهار تيلاك » الذى دعى بأبى الاضطراب الهندى وكان تيلاك هذا وهو برهمى كان روح الحركة وعرقها النابض ولسانها الناطق نال حظا وافرا من التهذيب والعلوم الغربية ، وكان عدوا شديدا للحكم البريطانى والحضارة الاوروبية ، وداعيا عظيما يتسلط على القلوب فتنقاد اليه ، وكانت صحيفته المسماة « باكتنار » في « كلكتا » تحمل الشعب على الهياج والاغتيال والثورة (٤٠) .

ونتيجة لضغط الهندوس تراجعتالحكومة الانجليزية عن قرار تقسيم

---

(٣٨) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٧٣ .
(٣٩) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٤٠) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٧ .

البنغال ، واعلنت في يناير ١٩١١ م توحيد البنغال تحت ادارة موظف كبير برتبة حاكم ، وايجاد ولاية باسم «بهارواريسة» يديرها موظف برتبة نائب حاكم ، واعادة فصل اسام عن البنغال تحت امرة موظف برتبة محافظ ، ونقل العاصمة من «كلكتا» الى « دهلى » (٤١) فاهتزت افئدة المسلمين هلعا لهذا القرار ، ورأى حزب الرابطة الاسلامية ان يطالب بحكومة ذاتية للهند .

وشهدت السنوات التالية من سنى الحرب العالمية الاولى تعاونا بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الاسلامية في الهند لوضع قواعد الحكم الذاتى ، وكانت العلامة الكبرى من علامات سمو النهضة الهندية هو جنوح جانب من الرأى الاسلامى العام الى الاخذ بنصرة الحركة الوطنية ، ولكن دون الاشتراك في ايقاد الفتن والعبث بالامن ، وكان ذلك الانضمام منهم من بعد ما قطع لهم معتدلة الهندوس الوعود والعهود واكدوا لهم وقوفهم الى جانبهم موقف الصديق الصفى (٤٢) .

ونتيجة للتعاون بين المسلمين والهندوس في اطار حركة وطنية هندية واحدة اثناء سنوات الحرب العالمية الاولى ظهور ما عرف باسم « ميثاق لنكاو » (٤٣) عام ١٩١٦ م الذى حدد اهداف الحركة الاستقلالية في الهند واعترف للمسلمين بحق التمثيل الطائفى في الانتخابات النيابية ، فحلت بذلك مشكلة من أعقد المشكلات التى واجهت تعاون الهندوس والمسلمين ، غير ان الاشتباكات الطائفية تجددت في العام التالى فعكرت الصفاء الذى ساد علاقات الفريقين) مؤتمر « لنكاو » وبدا ان قيام اتحاد بين المسلمين والهندوس ضرب من المستحيل .

وفي الوقت الذى كان فيه المسلمون يخلصون لتحالفهم مع الهندوس ويعادون بذلك الحكومة الانجليزية ، كان الهندوس يتقربون من الانجليز سرا ويوالونهم ويحرضونهم على المسلمين فصار المسلمون بعد ان كانوا امام عدو واحد هو الهندوس امام عدوين هم الهندوس والانجليز ، (٤٤) . ونتج عن ذلك اضطهاد لزعماء المسلمين من جانب الحكومة البريطانية ونفى

---

(٤١) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٤٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩١ .
(٤٣) لنكاو اسم بلدة تقع في البنجاب عقد فيها المؤتمر .
(٤٤) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٧٠ .

لاهم الزعامات الاسلامية امثال « مولانا محمود الحسن » الذى لقب « بشيخ الهند » والذى خرجت البلاد كلها لاستقباله حين عودته من منفاه عام ١٩٢٠ م ــ وكان غاندى الزعيم الهندوسي ممن خرج لاستقباله ــ وهو في مستهل حياته السياسية ، والذى عاد من منفاه ليعلن حركة المقاطعة ضد الانجليز ويدعو لترك مدارسهم وترك جامعة «عليكرة» التى اصبحت وكرا لهم ، وانشاء جامعة اسلامية جديدة ، كانت هى «الجامعة الملية الاسلامية» العظيمة الشأن الآن في نيودلهى ، ويدعو كذلك لرد الالقاب اليهم وترك التعامل معهم عملا بالمبدأ الاسلامى الذى اعلنته هذه الآية الكريمة : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء (٤٥) .

وبنهاية الحرب العالمية الاولى حاولت انجلترا اعطاء الهند حكما ذاتيا « Home Rule » يقوم على تقسيم السلطة في الهند بين مستشارين تعينهم السلطة التنفيذية البريطانية ، وبين وزراء تنتخبهم الهيئات الانتخابية التشريعية ، وعلى هذا الشكل والنظام تتكون الحكومة المركزية في العاصمة وحكومات الاقاليم ، اما الهيئة التشريعية فينتخب اعضاؤها انتخابا على نطاق اوسع مما كان سابقا ، وتصبح لها سلطات أكثر من صفتها الاستشارية وان ظلت الشئون المالية غير خاضعة لهذه الهيئة التشريعية ، وان هذا النظام وسيلة يتم بها انتقال السلطة من الحكومة البريطانية الى الحكومة الوطنية (٤٦) .

ومنذ ان اعلن عن هذا المشروع البريطانى للحكم الذاتى في يوليو ١٩١٨ م ، اخذت الاعتراضات والمظاهرات بل والثورات تتوالى على الهند استنكارا وخاصة الاحزاب الاسلامية والطوائف الهندوسية الدنيا التى خشيت من ان تضيع حقوقهم في ظل السيطرة الهندوسية المتطرفة ، ورغبة منها في حمل الحكومة البريطانية على توسيع نطاق الحكم الذاتى ، ومع ذلك اقر البرلمان البريطانى المشروع في ربيع عام ١٩١٩ م ــ مما نتج عنه مصادمات دامية بين الجنود الانجليز والثوار الهنود ، وعندما غلبت القوة البريطانية لجأ الهنود الى ما عرف بسياسة « اللاتعاون » او « العصيان المدنى » او « المقاومة السلبية » ، والتى نسبت الى الزعيم

---

(٤٥) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٧٩ ــ ٨٠ .
(٤٦) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩٣ .

الهندى غاندى لتحرير البلاد من سيطرة الاستعمار منذ عام ١٩٢١ م حتى استقلت الهند سنة ١٩٤٧ م . والذى يعتبر بحق باعث حركة « اللاعنف » او ضبط النفس وعدم استعمال القوة في الحصول على الحق (٤٧) .

وفي مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد بلندن في نوفمبر ١٩٣٠ م طالب المسلمون بوجوب النص في الدستور على كفالة حقوقهم ، الا ان غاندى ورفاقه من اعضاء حزب المؤتمر تمسكوا بمبدأ استقلال الهند على اساس الوحدة ورفضوا منح المسلمين اية ضمانات من نوع معين ، وبينما كانت اجتماعات المائدة المستديرة تعقد بلندن ورجال حزب المؤتمر يطالبون بوحدة الهند المستقلة دون ما اعتبار للفوارق الطائفية وقف الدكتور محمد اقبال في اجتماع حزب الرابطة الاسلامية السنوى في « الله اباد » وطالب بقيام دولة اسلامية في الهند ، ومما جاء في خطابه ذلك قوله : ليست المجتمعات الهندية كالمجتمعات الاوروبية، فالهند قارة عظيمة تضم أشتاتا من العناصر والطوائف تباينت ادبانها وتعددت لغاتها واختلفت تقاليدها ، فلا يمكن للديموقراطية الاوروبية أن تطبق في الهند من غير ان يسبقها اعتراف بكيان هذه المجتمعات الطائفية ، فاذا طالب المسلمون في الهند بتأسيس دولة فان لمطلبهم ما يبرره ، وبودى أن ارى البنجاب واقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان وقد ضمتها دولة واحدة .

ومع ان اقبال نادى بهذه الدعوة لقيام دولة اسلامية في الهند وهو رئيس لحزب الرابطة الاسلامية في عام ١٩٣٠ م ، الا ان هذه الفكرة لم يوافق عليها الحزب ولم يتخذها مبدأ له الا عام ١٩٤٠ م ، أثناء انعقاد دورته التاريخية في « لاهور » ذلك العام بعد ان توفى اقبال بعامين ، وصار « محمد على جناح » قائدا لحزب الرابطة الاسلامية ومدافعا عن قيام « الباكستان » ، وذلك على الرغم من انه كان في بداية حياته السياسية من انصار الوحدة والتعاون بين المسلمين والهندوس ، وقد غيرت التجارب القاسية من تفكيره واتجاهه فآمن بالتقسيم وسار في ايمانه الجديد لا يتراجع ولا يلين حتى كان قيام دولة الباكستان على يديه .

صارت عقيدة مائة مليون مسلم في الهند اقامة دولة الباكستان ، ومن ثم وجدنا اصرار القائد والحزب في مؤتمر « سملا » الذى دعا اليه نائب الملك

---

(٤٧) د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٨٥ ــ ٨٦ .

اللورد ويفل عـام ١٩٤٥ على ضرورة قيام الباكسـتان ، فعمدت الحكـومة البريطانية الى اجراء الانتخابات في الهند التى انتهت بفوز ساحق لحزب رابطة العالم الاسلامى ووجهة نظرها في التقسيم ، اذ احرز كل المقاعد المخصصـة للمسلمين في المجلس المركزى و٤٤٦مقعدا من ٤٩٥مقعدا في المجالس المخصصة لهم ، وكذلك اسفرت عن فوز حزب المؤتمر في دوائر الهنـدوس . وكانت الحكومة البريطانية عازمة على منح الهند استقلالها ، واصبح حزب الرابطة الاسلامية وحزب المؤتمر وارثى السلطة في الهند (٤٧) ، ومن ثم يبدأ الصراع.

وقد بذلت محاولات عديدة في اعقاب الحرب العالمية الثانية للتوفيق بين حزبى الرابطة الاسـلامية والمؤتمر باءت كلها بالفشل حتى اسـتنفذت بريطانيا كل محاولاتها ولم تجد بدا من قبول الامر الواقع ، فأعلنت في ٣ يونيو ١٩٤٧ قبول فكرة تأسيس الباكستان ، وفي منتصف اغسطس من نفس العام أعلن قيام دولة الباكستان بعد التقسيم ، فظهرت الى الوجود مرة اخرى اكبر دولة اسلامية في العالم هى دولة الباكستان الاسلامية .

ومما تجب ملاحظته ان فكرة دولة إسـلامية في الهند لم تتبلور عند المسلمين فقط ، بل وعند الهندوس كذلك بعد ان راوا استحالة الوصول الى حل اذا لم يرضوا المسلمين ، ولذلك فقد وضع « كريشنا مينون » وهو الهندى الوحيد الذى كان في حاشية نائب الملك ، برنامجا يقضي بايجاد باكستان فقبله نهرو زعيم حزب المؤتمر (٤٨) . كما ان قيام الباكستان له وجـوده التاريخى الذى يؤيده والذى امتد قرونا من الزمان تأصـل فيها بناء الدولة الاسلامية الكبرى في الهند وانتشار الاسلام في شبه القارة الواسعة ، وقبل ان تقوم الباكستان على اساس دينى فانها تستمد كيانها القومى من هـذا الوجود التاريخى القـديم . وقد تمركزت العناصر الاسـلامية في المنـاطق الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من الهند ، وهم في هذه المناطق يكونون الكثرة التى تؤكد وحدتهم وتؤيد قيـام دولتهم ، بينما ينتشر الهندوس في هضبة الدكن وفي المناطق الشمالية الوسطى .

والتعصب الهندوسي لا يقوم على العقيدة والايمان قدر ما يقوم على

---

(٤٧) محمد عطا و د. عبد الحميد البطريق : باكسـتان في ماضيها وحاضرها ص ٥٦ .

(٤٨) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

اختلاف الطبائع والعقائد فهو لذلك متجدد دائم باق ما دام تباين العقيدة وبقى تباين الطقوس والمقدسات الدينية، فذبح المسلمين للبقرة كفيل بوقوع المذابح بين الطائفتين ما بقى الهندوس يقدسون البقرة ، فقيام الباكستان ضرورة واقع التاريخ وواقع لمصلحة والعدالة لمائة مليون مسلم .

ونتساءل كيف تم تنفيذ قرار التقسيم واعنى قيام دولة الباكستان الاسلامية ؟

عندما اذاع زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى في الهند : « جواهر لال نهرو » ممثل الهندوس وزعيم حزب المؤتمر ، و « محمد على جناح » ممثل المسلمين ورئيس حزب الرابطة الاسلامية ، « والسردار بالديف سنج » ممثل السيخ ، على سكان شبه القارة الهندية مشروع التقسيم في ٣ يونيو ١٩٤٧ واوصوا اتباعهم بقبوله لم يخف كل من « الباندیت جواهر لال نهرو » والسردار بالديف سنج خيبة املهما في المشروع (٤٩) . واشترط حزب المؤتمر ان تقسم كل من البنغال والبنجاب حسب كثرة سكانها من المسلمين والهندوس ، واستجاب محمد على جناح لهذا الشرط حسما لامتداد النزاع مع أن فيه بعض الغبن على المسلمين لان المنطق كان يقضي بضم الولاية كلها باعتبار اغلب سكانها (٥٠) .

وعلى هذا فقداخذ الهندوس بلاداكثرية سكانها من المسلمين واخذوا رءوس انهار تجعل رى باكستان تحت رحمتهم واخذوا معابر طرقات داخل الارض الباكستانية تجعل باكستان في متناول ايديهم ، وتحول دون الباكستانيين ودون الهند ، كما انهم استولوا على ولاية « كوردا سبورا » شرق البنجاب لكى يسهل عليهم الاتصال مباشرة بأمارة « جمووكشمير » وهذا يعنى ان المسلمين اعطوا بلادا مبتورة مفككة الاوصال محرمة من وسائل العيش وصارت باكستان باكستانين : شرقية في البنغال ، غربية في شمال غرب شبه القارة الهندية (٥١) .

---

(٤٩) عبد القادر خان ترجمة ابراهيم نوار : مأساة كشمير ص ٦ .
(٥٠) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١١ — ٢١٢ .
(٥١) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٨٥ .

وكلمة باكستان من وحى الشاعر العظيم محمد اقبال ومعناها «ارض الطهر» وترمز الكلمة الى الولايات الإسلامية في الهند ، فالباء من بنجاب والألف من الباتان والكاف من كشمير والسين من السند وأما كلمة «ستان» فمعناها دولة . وتكونت باكستان من قسمين شرقى هو البنغال وعدد سكانه نحو اثنين واربعين مليونا ، وغربى وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية ، « وبلوخستان » و «السند» و «البنجاب الغربية» وعدد سكانها كلها نحو ٣٣ مليونا (٥٢) . ويفصل بين القسمين محيط من الارض الهندية يبلغ في أقصر مدى له ١٢٠٠ ميل .

وتتكون باكستان الشرقية ـ بنجلاديش حاليا ـ من اقليم شرقى البنغال وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥ الف ميل مربع وعدد سكانها آنذاك كما اشرنا ٤٢ مليونا ، فهى بهذا من اشد بقاع العالم ازدحاما بالسكان ، اذ يبلغ متوسط كثافة السكان في الميل المربع ٧٧٧ نسمة ويرويها نهر الكنج وروافده . واما باكستان الغربية فتتكون كما ذكرنا من السند والبنجاب الغربية الى جانب اقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان واقليم العاصمة الادارى حول كراتشي وعدد من الامارات اكبرها امارة « بهاولبور » ، وتبلغ مساحة باكستان الغربية حوالى ٣١٠ الف ميل مربع يعيش عليها حوالى ٣٣ مليونا من السكان، فهى بذلك اقل سكانا واقل كثافة في نسبة السكان للميل المربع من باكستان الشرقية وتجرى فيها خمسة انهار هى السند وروافده الاربعة وتنبع جميعا من كشمير (٥٣) .

وعندما أعلن التقسيم بادر الهندوس الى الاعتداء على المسلمين في الولايات التى صارت جزءا من دولة الهند ، واتخذ الاعتداء صورا وحشية حتى اضطر المسلمون الى الفرار من الهند والهجرة الى الاراضي الباكستانية مخلفين وراءهم أموالهم وديارهم ، فكانت هجرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، اذ انتقل في بضعة شهور نحو عشرة ملايين مسلم من الهند الى باكستان، فكان وجود هذه الملايين من اللاجئين الى باكستان نكبة على نكبتها ، ولكن الباكستانيين استقبلوا اخوانهم بكل ترحاب وفتحوا لهم صدورهم وآووهم واندمجوا بهم واصبحوا شعبا واحدا (٥٤) .

---

(٥٢) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١٢ .
(٥٣) د. حسين فوزى النجار : مع الاحداث في الشرق الاوسط ص٦٣
(٥٤) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٨٧ .

وقد نتج عن التقسيم عدة مشــكلات ، ذلك انه كان اثنــاء الحكم البريطانى للهند ما يعرف بالهند البريطانية بمقاطعاتها الثمانية ، وما يعرف بهند الامراء . وفي هند الامراء كانت هناك اكثر من ٦٠٠ امارة كبيرة وصغيرة، يحكمها امراء كبار وصغار حسب اهمية اماراتهم ، وكانوا يحكمونها حكمــا مطلقا يستمد بعضهم سلطته من نائب الملك راسا وهم الامراء الكبار وعددهم ٣٣ اميرا منهم مسلمون وهندوس ، والباقى من الامراء يستمدون سلطتهم من الحاكم للولاية التى بجوارهم . وكان الامير الهندوسي يعطى لقب «مهراجا» والامير المسلم لقب «نواب» (٥٥) .

وكان من الامارات الكبرى امارة «حيدر اباد» التى تبلغ مساحتها ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة وتقع في جنوب الهند وســط ولايات «بومباى» و «مدراس» و « واوريسا الهندية » ، ومعظم سكانها من غير المسلمين ، بينما كان عدد المسلمين حوالى المليونين بينما كان حاكمها مسلما واراد ان يبقى مستقلا على ان ينظم علاقته مع حكومة الهند حسب القرار المتفق عليه حين اعلان استقلال الهند ، ولكن الجيش الهندى زحف على الولاية وضمتها الهند الى ولاياتها نهائيا في سبتمبر ١٩٤٨ م (٥٦) .

وكانت الامارة الكبرى الاخرى هى امارة كشمير التى كانت على العكس من امارة حيدر اباد اذ كان يحكمها امير هندوسي هو « المهراجــا دوجرا » بينما اغلبية سكانها مسلمون ، وقد اختارت الاســتقلال عن كل من الهند والباكستان واعطى لحاكمها ــ وليس لشعبها ــ الحق في الانضمام الى اى من الدولتين ، ولكن الهند ضمتها بالقوة ايضا كما ضمت من قبل امارة حيدر اباد ، ولكن هذا العمل من جانب الهند قد اثار استياء باكستان وصارت مشكلة دولية تهدد بالحرب بين الدولتين .

وعند التقسيم بين الهند والباكستان انضم عدد قليل من الامارات الهندية الى باكستان وهى : آمب ، بها ولبور ، شترال ، دير ، قــلات ، خيربور ، خاران ، لا سبيلا ، مانافادر ، مكران ، صوات ، جوناكاد . اما بقية الستمائة امارة فقد انضمت الى الهند .

---

(٥٥) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١٤ .
(٥٦) نفس المرجع ص ٢٨٨

ولم تنته مشكلات الباكستان بقيامها اذ ان اختلاف عنصرى الباكستانيين بين البنغاليين في باكستان الشرقية ، والبنجابيين في الغرب قد ادى الى مشكلات بين الاشقاء المسلمين في الدولة الواحدة ، ومن هنا لعبت الهند دورا في انقسام الباكستان الى دولتين ، ذلك ان الخلاف بين الهند والباكستان كان عنيفا ، فالباكستان دخلت في احلاف عسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية وبقية الدول الغربية (مثل حلف جنوب شرق آسيا والحلف المركزى بغداد سابقا) ، بينما اتبعت الهند سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وانتهزت الهند فرصة الصراع بين اقليم شرق الباكستان (وهم من البنغاليين الذين لهم اخوة في الجنس مع الهندوس في الهند) ، واقليم غرب الباكستان الذى تركزت فيه العاصمة والرئاسة ومعظم الوظائف الكبرى رغم قلة عدد سكانه بالنسبة للاقليم الشرقى .

وانتهزت الهند فرصة هجرة الكثير من باكستان الشرقية الى اراضيها ودخلت الى جانب هذا الاقليم الشرقى في حرب عام ١٩٧١ م ضد الباكستان انتهت بانفصال باكستان الشرقية التى اصبحت تعرف باسم جمهورية بنجلاديش الاسلامية كدولة مستقلة،وحدث تعديل في الحكومة الباكستانية بما يجعلها اكثر ادراكا للواقع ، وظهر السيد ذو الفقار على بوتو زعيم حزب الشعب كرئيس للحكومة الباكستانية الجديدة التى اقرت بالامر الواقع واعترفت بانفصال الاقليم الشرقى بل واعترفت بقيام بنجلاديش بزعامة الشيخ مجيب الرحمن رئيس حزب رابطة عوامى .

ولنا سؤال اخير ؟ هل انقسام شبه القارة الهندية الى دولتين بقيام دولة الباكستان الاسلامية — والتى انقسمت بدورها فيما بعد الى دولتين اسلاميتين — كان له ما يبرره ؟ من سياق التاريخ الذى رأيناه منذ نزل الانجليز على ارض شبه القارة الهندية ظهر بوضوح ان السياسة البريطانية عملت على التفريق بين ابناء الوطن الواحد ، ورغم تسامح المسلمين الا ان تعصب البعض منهم وجمود افكارهم جعلهم اعداء طبيعيين للهندوس ، كما ان عدم تقبل الهندوس لبعض التعاليم الاسلامية التى يقوم بها المسلمون الى جانب تعصبهم الاعمى لافكارهم ومعتقداتهم جعلهم اعداء طبيعيين كذلك للمسلمين ، ومن ثم كان من الضرورى ظهور الباكستان ، وان كان ما زال يوجد داخل الهند ذاتها حوالى ٤٠ مليون مسلم فضلوا البقاء على الارض الهندية ولم يهاجروا الى الباكستان ، وهؤلاء يتحملون الى اليوم اعتداءات متكررة من جانب الهندوس .

ثانيا : تحرير اندونيسيا

تتكون اندونيسيا من مجموعة من الجزر والارخبيلات اكبرها جاوة وتمتد من سومطرة الى غينية الجديدة ، ومن الغرب الى الشرق على امتداد خمسة آلاف من الكيلو مترات ، وكانت مركز الامبراطورية الهولندية الاستعمارية الكبرى فيما وراء البحار (٥٧) . وهذه الجزر عرفت الاسلام في أواسط القرن الثامن للهجرة او القرن الرابع عشر للميلاد ، وقد بلغ عدد سكانها من المسلمين في احصاء عام ١٩٣٠م الذى اجرته هولندا ٦٤ مليون نسمة (٥٨) .

وجاء دخول الاسلام الى هذه الجزر عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا اليها قادمين من الهند وعن طريق التعامل والاختلاط مال سكان تلك الجزر الى اعتناق الدين الاسلامى بأسلوب سلمى وبدون ادنى ضغط أو قهر ، وجاء انتشار الاسلام في « جاوة » أسبق من بقية الجزر ، ومن ثم اتخذ الاسلام من « جاوة » مركزا للانتشار الى بقية الجزر الاخرى حيث امتد ليشمل « سومطرة » والى قسم من « بورنيو » و « سيليب » ، والجزر التى في الشرق منها ، والمتصفح لرحلات ابن بطوطة الرحالة العربى المشهور يقرأ له مدحا وثناءا على ملك سومطرة المسلم في القرن الرابع عشر الميلادى لان هذا الملك جاهد الكفار الوثنيين ونشر الاسلام بينهم (٥٩) .

وصار للعرب المسلمين في جزر اندونيسيا سلاطين وأمراء ، وصار للعرب معرفة تامة بالجزر وبخيراتها ، وحيث كانوا اكثر حضارة من سكانها فقد صاروا في مراكز مرموقة بين الناس استندت كذلك على خبراتهم بأمور التجارة والملاحة في البحار والادارة ، ومن الجدير بالذكر ان علاقات العرب التجارية بسكان تلك الجزر لم تكن مهما كثرت واتسعت لتكفى في نيل العرب هذه السيادة الاجتماعية والادبية على جزائر عظيمة كهذه فياضة الخيرات زاخرة العمران ، بل كانت معهم قوة اعظم من هذه وهى قوة العقيدة المحمدية التى هى من الجلاء والبساطة بحيث يفهمها الخاص والعام (٦٠) .

---

(٥٧) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ص ٧٧٧ .
(٥٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٣٨ — ٣٣٩ .
(٥٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين .. ص ٢٨٥ .
(٦٠) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

ويقدر المؤرخون تاريخ دخول الاسلام الى جزر اندونيسيا بخمسة قرون تبتدىء من القرن الثانى عشر الميلادى الى ان تنتهى باحتلال الهولنديين لها في القرن السابع عشر ، ولم يؤسس العرب في تلك الجزر دولة او سلطنة موحدة وان كانوا قد نجحوا في اقامة اسس وحدة اسلامية تبقى ما بقى الانسان على تلك الارض ولا تسقط امام عدوان اوروبى أو غيره ، ولعل وجود الجزر متباعدة كان من العوامل التى لم تمكن العرب من اقامةدولةموحدة فيها. ومما تجب ملاحظته ان معظم العرب الوافدين الى تلك الجزر كانوا من حضرموت بجنوب الجزيرة العربية ، وهؤلاء مشهود لهم بالمثابرة والخبرة الملاحية والتجارة والادارية الى جانب تمسكهم بالاسلام وحسن معاملتهم لشعوب تلك الجزر .

واكبر تلك الجزر هى جاوة التى تبلغ مساحتها ٥٠٠ ر١٣١ كم٢،وان كانت بورنيـو اكبر منها بل اكبر جزيرة في الكرة الارضية بعد جزيرة غينية الجديدة،اذ ان مساحتها ٧٤٦٠٠٠ كم٢ ولكنها قسمت بين هولندا وانجلترا وقد دخل الاسلام الى بورنيو في القرن السادس عشر الميلادى وصار لها سلطان مسلم أواخر ذلك القرن ، وظلت تحافظ على إستقلالها امام البرتغال والاسبان والانجليز والهولنديين حتى أواسط القرن الثامن عشر .

وثالث الجزر من حيث العظمة والاتساع هى جزيرة سيلاب Célébes المعروفة احيانا باسم « سيليبيس » ــ ومساحتها حوالى ٣٢٢٨ كم٢ وقد انتشر الاسلام اليها اواخر القرن السادس عشر ، ومع بداية القرن السابع عشر تنافس الهولنديون والانجليز والدنمركيون مع البرتغاليين في الفوز بمحاصيل هذه الجزيرة من البهارات والفلفل والقرنفل وغيرها مما تشتهر هذه الجزيرة بانتاجه ، حتى انتهى الامر بنزول الهولنديين الى الجزيرة وبسط سطرتهم عليها اعتبارا من عام ١٦٦٧ م .

وتعتبر جزيرة سومطرة من اعظم الجزر في العالم ، ويفصلها عن بلاد الهند الصينية « بوغاز ملقا » وعن جاوة بوغاز « الصوند » ، ومساحتها ٤٣٠٠٠٠ كم٢ ومعظم سكانها مسلمون ، وخيراتها كثيرة سواء كانت زراعية أو معدنية ، وسكانها خليط من العرب والهنود والماليزيين والصينيين ، وقد خضعت هذه الجزيرة ايضا للسيطرة الهولندية .

وفي ظل الاستعمار الهولندى كانت الدولة تهدف منذ عام ١٨٣٠ الى انشاء مزارع تنتج تحت اشراف الاوروبيين المواد الغذائية والمواد الاولية

اللازمة للتصدير مثل سكر القصب والقهوة والكاكاو وزيت النخيل والمطاط ، في الوقت الذى عملت فيه مزارع الوطنيين بشكل خاص على الانتاج من اجل الاستهلاك المحلى فأنتجت الارز والفول السودانى ، وكانت الدولة وبصفتها المالكة لموارد ما تحت الارض تمارس اما الاستغلال المباشر واما منح عقود امتيازات طويلة الاجل ، ومن ثم ازدهر انتاج تلك الجـــزر ولكنه لم يكن ذا فائدة كبـــرى الا للاوروبيين ، وفي بعض الحالات بالنســـبة للمهاجرين الصينيين ، واستمرت جماهير الشعب الاندونيسي ، ونسبتهم حوالى ٩٥٪ تعيش داخل النطاق التقليدى للاقتصاد المحلى (٦١) .

ورغم السيطرة الهولندية فان المسلمين الاندونيسين استمروا ينشرون الاسلام بين الوثنيين من سكان الجزر والوافدين عليها ، وقد سبب ذلك ضيقا من جانب جمعيات التبشير الهولندية التى اخذت تضغط على الحكومة الهولندية لتوقف حركة انتشار الاسلام ، بل ولتضع العراقيل امام المسلمين الراغبين في الحج الى بيت الله الحرام ، ومحاولة قطع اثر الحضارة الاسلامية الزاهرة والوافدة من مصر وجزيرة العرب حيث ان مسلمى تلك الجزيـــرة يقلدون في ديانتهم وعاداتهم مسلمى مصر وحضرموت بل وبقية عرب الجزيرة العربية ، عاكفين على مطالعة التآليف التى تحرر في البلاد العربية ، وانه يجب في رأى الاستعمار الهولندى — وجود عاطفة قوميـــة في تلك الجزر تناهض هذه النزعة الدينية العربية (٦٢) .

ولم تكن السيطرة الهولندية في جزر اندونيسيا مهددة بشـــكل واضح من الوطنيين ، وذلك لان الادارة الهولندية لم تقدم اية خدمات في مجال التعليم والادارة وغيرها لهؤلاء الوطنيين حتى اوائل القـــرن العشرين ، وان كانت تلك الادارة قد وقعت تحت ضغط الصينيين الذين يعيشون في تلك الجزر ويطالبون بمركز اكثر سموا من جماهير الاندونيســـيين . وعندما سمح للوطنيين بالتعليم في مدارس الهولنديين ظهرت عام ١٩١١ م «جمعية صرخة الاسلام» والتى كانت مجرد رابطة للتجار ، جمعية سياسية طالبت بمشاركة المسلمين في الادارة ، ومع ذلك فان هذه المجموعة الاولى للمقاومة لم تطالب حتى ذلك الوقت بالتحرر ، ولم تكن تمثل اى تهديد على وجود الاوروبيين (٦٣)

---

(٦١) بيير رنوفان : المرجع السابق ص ٧٧٨ .
(٦٢) اوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٤٢ — ٣٤٣ .
(٦٣) بيير رنوفان : المرجع السابق ص ٧٧٩ .

ويرجع فضل النهضة الوطنية في اندونيسيا الى يقظة المسلمين وتأسيس اول جماعة من جماعات الاصلاح باسم « شركة اسلام » وهى الجماعة التى انضوت اليها جماعات متعددة باسم « مسجومى » وهى كلمة مأخوذة من « مجلس سجورو مسلمين اندونيسية » Madjelis Sjuro Muslimin Indonesia واكثر القائمين بهذه الدعوة من تلاميذ الشيخ محمد عبده وقراء تفسيره بمجلة المنار (٦٤) .

ويقدر عدد سكان اندونيسيا حاليا بحوالى ١٣٠ مليون نسمة ، فهى بهذا خامس دولة في العالم من ناحية عدد السكان ، والدول الاربع الاكثر سكانا هى على الترتيب : الصين، والهند، والاتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة الامريكية ، ويؤلف المسلمون ٩٤٪ من مجموع السكان في اندونيسيا بينما يمثل المسيحيون ٣٪ من عدد السكان ، والهندوس والبوذيون معا يمثلون ٢٪ من عدد السكان ، ومعتنقو الديانات الاخرى يمثلون ١٪ من عدد السكان . ومسلمو اندونيسيا هم من اهل السنة والجماعة (٦٥) .

وكان للجمعيات الاسلامية دور بارز في نشر التعليم لنشر المعرفة وابلاغ تعاليم الاسلام ومن هذه الجمعيات : الجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء، وشركت اسلام، وجمعية الارشاد، وديوان الدعوة الاسلامية والمنظمة الاسلامية الدولية ، الى جانب بعض الاحزاب الاسلامية مثل : الحزب الاسلامى الاندونيسي ، وحزب برتى الاسلامى ، بالاضافة الى الصحف الاسلامية ، وكل هذه المؤسسات تدعم الروح الاسلامية في نفوس اهل اندونيسيا .

---

(٦٤) عباس محمود العقاد : الاسلام في القرن العشرين ص ٨٦ — ٨٧ .

(٦٥) د. محمد السيد غلاب : البلدان الاسلامية ص ٣٠١ .

الوحدة الإسلامية

تأثرت اقطار الوطن العربى والاقطار الاسيوية المجاورة بحركة ديناميكية في القرن السابع الميلادى هى ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، وهذه الحركة الاسلامية وما يتصل بها وما يمكن تسميته ايضا بالحركة العربية التى ظهرت بها قوة اللغة العربية التى رافقت الاسلام كدين في انتشاره السريع قد اثرت على المجتمعات التى انتشر بها من القرن السابع الميلادى حتى الوقت الحاضر ، وظهر تأثيرها في جميع نواحى حياة الانسان في ذلك الوقت .

وتعتبر حضارة الاقطار العربية والاسلامية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات واجناس وشعوب مختلفة تآلفت وامتزجت في ظل الخلافة الاسلامية التى ظهرت اولا في شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الاسلام وانتشر في ايام الخلفاء الراشدين ، ثم في ظل دمشق عاصمة الامويين فبغداد عاصمة العالم الاسلامى في عصر الخلفاء العباسيين ، ثم في ظل القاهرة كعاصمة عربية للخلافة الاسلامية .

وتعتبر المرحلة الاولى لظهور الاسلام وانتشاره هامة نظرا لظهور عوامل اساسية ادت الى وحدة الثقافة الاسلامية لب الوحدة الاسلامية وجوهرها ، وهذه العوامل هى : ـ

١ ـ الوحدة الروحية التى جمعت الشعوب الاسلامية عربية وغير عربية .

٢ ـ ارتباط الدين بالسياسة ، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسي الى جانب كونه الزعيم الدينى للمسلمين ، مما ساعد على ان يكون للدين الاسلامى أثر عميق في كل مرافق وميادين الحياة في انحاء العالم العربى والاسلامى .

٣ — شيوع مبادىء الاخاء والمساواة التى تحطم الحواجز بين الناس دون النظر الى الجنس او اللون ، وهذه المبادىء تستند الى الشرائع السماوية التى اتى بها الدين .

وقد انتشر الاسلام بمبادئه الروحية والاجتماعية والسياسية والفكرية خارج شبه الجزيرة العربية ووصل في انتشاره الى مختلف قارات الارض وقد اظلت ولاية الاسلام ما بين نقطة الغرب الاقصي الى « تونازنى » على حدود الصين في عرض ما بين « فازان » من جهة الشمال وبين « سرنديب » تحت خط الاستواء اقطار متصلة وديار متجاورة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذى لا يغالب (٦٦) ، وكانت حركة انتشاره قوية نشطة في بدايتها حتى بدا كأن الاقطار التى انتشر بها تكون كتلة اسلامية متماسكة قوامها ان المسلمين مهما بعدت بينهم الديار التى يسكنونها وتباينت اللغات واختلفت الاجناس ، هم أصحاب وحدة في التوجيه وأصحاب وحدة في اعتبار المصدر المقدس الاكبر — وهو القرآن الكريم — لواء يلتف المسلمون جميعا تحت رايته ، وهذا كله كفيل بتقوية أواصر الوحدة الروحية ، وبعث النهضة الاسلامية القوية الجديرة بالقيادة والتوجيه لخير الانسانية موجهة نحو بناء مجتمع قوى الدعائم متكامل الروابط في ظل الاخاء والسلام .

ولا يقلل من هذه الوحدة الاسلامية ما تقتضيه طبيعة التفكير واختلاف وجهات النظر في الاستنباط والتدليل ، وما تمليه سنن الاجتماع من التسابق الذهنى في الوصول الى الحقائق العلمية . فهذا خلاف مرغوب يدل على الثروة الفكرية والعظمة الاسلامية التى حررت العقول وارهفت الافكار وشحذت الاذهان ولم تحبسها فيحيز محدود أو نطاق محصور .

واجتهاد المجتهدين أورث الامة الاسلامية تراثا فكريا خالدا انتجته العبقريات التشريعية من ائمة المذاهب الاسلامية الكبرى ، وهذا التراث الفكرى يعتبر بحق موضع اعتزاز تفخر به الامة الاسلامية لانه يدل على رحابة الفكر وسعة الافق ، أما الامة الاسلامية — وان تعددت فيها المذاهب — أمة واحدة بحكم ما اتفقت عليه من المواضع التى ربطت بينها

---

(٦٦) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١٠٧ .

ولها مواضـــع تختلف فيها باختلاف العقول ، ووضوح الدلالات وتغـير المصالح والاحوال ، والامة بحكم ما اتفقت عليه امة واحدة ، وبحكم مـا اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية لا تخرج عن اعتبارهم لبنات من بناء الامة الاسلامية الواحدة مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى : وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون .

وبهذا يتضح ان الوحدة من الزم الفرائض الواجبة على الامـــة الاسلامية ، وان المسلمين متحتم عليهم ان يعيشوا دائما متضامنين ، وهم يد على من سواهم ، وان كيانهم وبقاءهم متوقف على هذه الوحدة ، وعلى الاقل في الاهداف والغايات اذا اجيز التعدد في الوسائل بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ، ومن أهم الاهداف ان تقف الامة الاسلامية كلها صـفا واحدا امام الاعداء وعلى الامة الاسلامية ان توجد من الهيئات والمؤسسات ما يؤدى الى تحقيق غايات الدفاع والحماية والتنسيق بين سياساتها ، ويجب ان يكون واضحا ان الدولة الاسلامية اعم وأشمل من الدولـــة السياسية ، لان الدولة الاسلامية ذات وظائف مادية وروحيـــة في وقت واحـــــد .

وازاء تطلع المسلمين الى وحدتهم بدات الاتجاهات المعادية للوحدة الاسلامية تقوم بدور خطير لهدمها ، وحقيقة الامر ان الوحدة الاسلامية تعرضت لعوامل تفكك من الداخل وعوامل غزو من الخارج ــ كما سـبق ان راينا ــ اما عوامـــل التفكك الداخلي فقد تمثلت ــ كما هو معلوم ــ في قيام امارات ودويلات إسلامية هنا وهناك في انحاء الامة الاســـــلامية منسلخة من الكيان الاسلامي العام ، الى جانب ما أصاب المسلمين من جمود فكرى وخلافات مذهبية وسياسية شديدة أبعدتهم عن وحدتهم المتوارثة(٦٧) .

واما العوامل الخارجية المعادية للوحدة الاسلامية ــ وكما هـــو معلوم كذلك ــ فقد تمثلت في الغزوات المغولية والصليبية في العصـــور الوسطى للدولة الاسلامية ، ثم في الغزوات الاســـتعمارية الاوروبية فى التاريخ الحديث والمعاصر ، فقد خضعت الاقطار الإسلامية على امتدادها ودون استثناء لاحتلال وسيطرة من جانب الدول الاوروبية خلال القـرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصفة خاصة .

---

(٦٧) يمكن الاستزادة من هذا الموضوع من كتاب العـــروة الوثقى ص ١٠٩ ــ ١١٠ .

ومكمن الخطورة في هذا الاستعمار الاوروبى هو ما ارتبط به من جهد بذله الاستعماريون لكى يحطموا الوحدة الاسلامية ، وقد نجح الاستعماريون في تمزيق وحدة العالم الاسلامى وتفريق شمله وما نشروه من مذاهب فلسفية هدامة ، وما بثوه من أراجيف وشكوك حاولوا بها طمس معالم الاسلام ، وتشويه صحيفته وتبديد تراثه وتهوين اهدافه المثالية ومقوماته المعنوية . والاخطر من ذلك هو موالاة الحكام للاجنبى المخالف لهم في الدين والجنس ، ولجأوا للاستنصار به وطلب المعونة منه على ابناء ملتهم (٦٨) .

ولكن قيض الله للعروبة والاسلام رجالا مخلصين وقفوا مدافعين عن الاسلام والوحدة الاسلامية اعتبارا من القرن الثامن عشر الميلادى وما تلاه من قرون ، منهم زعماء الدعوات السلفية : محمد بن عبد الوهاب في نجد بشبه الجزيرة العربية ، ومحمد بن على السنوسي في برقة بليبيا ، ومحمد أحمد المهدى في السودان ، الى جانب دعوة الجامعة الاسلامية التى تزعمها السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده ، كما كان منهم زعماء الثورات والحركات الوطنية التى تصدت للاستعمار في أنحاء العالم الاسلامى .

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة الجامعة الاسلامية تدعو الى وحدة صفوف المسلمين وراء الدولة العثمانية ، وهذه هى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، أى أن الافغانى كان يعمل الى جانب اصلاح المساوىء الدينية والاجتماعية على صد النفوذ الاوروبى ، خاصة وأنه كان يرد الاستعمار الاوروبى الى أساس دينى ويعتبره حركة نصرانية موجهة ضد الاسلام .

فحركة الجامعة الاسلامية اذن التى تبناها جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده حركة اسلامية عامة مجالها العالم الاسلامى كله وغايتها جمع المسلمين على كلمة سواء واقامتهم على مبدأ التحرر من قبضة المحتلين والمستبدين من المسلمين وغير المسلمين ، فالحركة وان لم تقم باسم الدين فانها كانت في صميمها دعوة تحريرية للعقل الاسلامى كله، وهى وان لم تقم كذلك في ظل عصبية القبيلة او الوطن فأنها قامت في ظل العصبية الاسلامية في جميع الاقطار .

---

(٦٨) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١١٠ .

وهكذا يمكن القول أن العالم الاسلامى كان يموج منذ اواخر القرن الثامن عشر بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الاستغراب Westernization في الشرق الادنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الاوروبية على بعض أجزاء العالم الاسلامى ، وكانت بعض هذه الحركات الدينية تتخذ موقفا سلبيا من الاستغراب وتنادى بالارتداد او الرجوع الى الاصول الاسلامية الاولى ، وهذه هى الدعوات السلفية التى أشرنا اليها ، الا أن الجامعة الاسلامية كانت أكثر ادراكا لمشكلات العالم الاسلامى .

وتنبع مشكلات العالم الاسلامى المعاصر من موقف هذا العالم من المذاهب والتيارات العالمية وتكتلها واطماعها في أقطار ذلك العالم ومحاولتها هدم الوحدة الاسلامية ومنع قيامها مرة أخرى ، فالمشكلة في واقع الامر هى مشكلة حضارية يعيشها العالم الاسلامى وسط المذاهب والتكتلات الدولية ، اذ ان أقطار العالم الاسلامى متخلفة عن الدول الاوروبية والامريكية ، باعتبار الاقطار الاسلامية خضعت سنوات طويلة لعهود من السيطرة الاجنبية والاستغلال الاوروبى والعزلة المفروضة على نشاطها وحياتها في مختلف الميادين .

أن مجتمعنا الاسلامى حاليا يعانى من المشكلات مالم يعانه في عصر من العصور الماضية ، وذلك راجع الى عدة عوامل نذكر اهمها على النحو التالى :

١ ــ اصطدام المجتمعات الاسلامية بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها واخلاقها التى تختلف في جوهرها عما ساد المجتمع الاسلامى من نظم وفلسفات وأخلاق وعادات .

٢ ــ تفكك المجتمع الاسلامى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا تفككا بصورة كبيرة نتج عنه شعور أبنائه بالحالة المتخلفة التى يعيشون فيها ، ورغبتهم في التخلص من هذا التخلف والسير في ركب الحضارة التى تسود العالم اليوم ، وكان من الطبيعى أن يشعر المتعلمون وحملة الفكر في هذا المجتمع الاسلامى بوطأة هذا التخلف والحاجة الى سلوك الوسائل المجدية للخلاص منه ، والتمسك بالوفاق والغلب اللذين هما عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الاسلامية (٦٩) .

---

(٦٩) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : المرجع السابق ص ١١٦ .

وفي واقع الامر انقسم مفكرو العالم الاسلامى في معالجة مشـــكلات عالمهم الى ثلاث فئات هى :

أولا : فئة لاتؤمن بصلاح ما فى يد الامة الاسلامية من تراث وعقيدة لحل هذه المشكلات ، فا تجهت الى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل، وقد أسرفت هذه الفئة في هذا الاتجاه بحيث تخلت عن تفكيرها المسـتقل وعن شخصيتها المستقلة ، واستحسنت كل ما راته في الحضارة الغربية دون أن تدرك هذه الفئة الفوارق بين مجتمعنا الاســـلامى والمجتمعات الغربية وأن ما يصلح لها ربما لا يصلح لنا .

ثانيا : وفئة تؤمن بأن في الاسلام حل هذه المشكلات ايمانا غيبيا ولكنها لا تعرف كيف يحلها ، وتظن أن من الممكن تطبيق الاسلام بنفس الاشـكال التى طبقت في عصر الخلفاء الراشدين تماما . وهؤلاء هم أكثر فقهاء الشريعة وعلمائها وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشـــكلات المجتمع الاســلامى المعاصر ، ويقفون منها دائما موقفا سلبيا ، بل اظهروا الاسلام أمام خصومه بمظهر العاجز عن حلّ مشكلات المسلمين .

وقامت المعركة بين هؤلاء الفقهاء وبين أعضاء الفئة الاولى ــ وهــم المتعلمون في الغرب والمتأثرون بالثقافة الغربية ــ وكان سلاح هؤلاء الفقهاء ضد الفئة الاولى هو الاتهام بالكفر والالحاد ، بينما رد عليهم أعضاء الفئة الاولى بأن هؤلاء الفقهاء رجعيون جامدون ، وكان الجمهور الاســـلامى بمجموعه وبطبيعة ايمانه واقتناعه بدينه مستعدا أن يصغى الى هــؤلاء الفقهاء أكثر ، فأيدهم وسار وراءهم .

ولم يفعل أعضاء الفئة الثانية شيئا من أجل اصلاح اجتماعى شامل، وكانت النتيجة ازدياد وطأة الحضارة الغربية على العالم الاســـلامى ، وازداد اتصال المسلمين بها خاصة منذ الحرب العالمية الاولى ، وانتشرت المعرفة واتسع نطاق العلم الذى كان متسما بطابع التفكير الغـــربى في مدارسنا ومعاهدنا العليا ، وبدأ الجمهور الاسلامى يفقد ثقته بهؤلاء الفقهاء الذين عجزوا عن حلّ مشـــكلاته من حيث لم يثق أبدا برواد الثقـــافة الغربية المتسمة بطابع العداء للاسلام بصفة خاصة وللاديان بصفة عامة .

ثالثا : وكانت الفئة الثالثة من المفكرين الاسلاميين تتخذ موقفـــا وسطا بين الفئتين السابقتين وتنادى بأن الاسلام يحل كل مشـــكلات

المسلمين الاجتماعية ، فهى في هذا تلتقى مع أولئك الفقهاء لكنها تختلف معهم في فهم هـذه المشكلات وتصورها وطبيعة حلها ، وتختلف معهم في طريقة فهم الاسلام وتمثل مقاصده العامة ، ويختلفون مع الفئة الاولى من رواد الثقافة الغربية بموقفهم من عقيدة الامة وتراثها وبموقفهم من الحضارة الغربية وايمانهم باستقامة مبادئها ومذاهبها .

وهذه الفئة الثالثة تفهم مبادىء الاسلام على انها هى المبـادىء الثلاثة الاتيـة :

١ ــ تحقيق مصالح الناس في كل ما يحتاجـون اليه ، ولا تضيق الشريعة الاسـلامية بمصلحة للمجتمع ، ويقـر العقلاء والدارسـون الشرعيون والاجتماعيون بأنها مصلحة .

٢ ــ تحقيق العدالة بين الناس اذا تعارضت مصالحهم مهما كلفت العدالة من غرم لبعض الناس .

٣ ــ تحقيق التطور الاجتماعى الصالح في المجتمع الانسانى ، فـلا يقف الاسلام في وجه تطور ما في مختلف نواحى الحياة الاجتماعية ، اذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر او العلم أو ضرورات الحياة .

كما أن لهذه الفئة الثالثة من المفكرين الاسلاميين موقف من مشكلات المجتمع الاسلامى يقوم على ضرورة دراسة هذه المشكلات دراسة عميقة وعريضة ، والاختلاط بالمجتمع اختلاطا شاملا لكل فئاته حتى تتحـدد المشكلة وتعرف أسبابها ويعرف الطريق الصحيح لحلها حلا عمليا متفقا مع رسالة الاسلام .

وتحيط بالعالم الاسلامى المعاصر قوى ومذاهب وتيارات فـكرية واقتصادية تزيد من مشكلات هذا العالم ، من بينها الشيوعية والرأسمالية والصهيونية ، فما موقف الاسلام منها ؟ .

ينظر المسلمون الى الشيوعية من ثلاث نواحى هى (٧٠) :

---

(٧٠) يمكن الاستزادة في هذا الموضوع من كتاب حاضر العالم الاسلامى للمؤلف الامريكى لوثروب سـتودارد وتعليق الامير شكيب ارسـلان ص ٢٥٣ ــ ٢٨١ ــ تحت عنوان : القلق الاجتماعى والبلشفية .

أولا : ان الشيوعية كعقيدة ذات فلسفة مادية تنكر الروح وما وراء المادة ، وهى في ذلك تختلف عن الاسلام في أساسها وجوهرها ، ولا يمكن ان تلتقى معه في عقيدته وفلسفته ، وموقف الإسلام من فلسفة الشيوعية هو تفنيدها بالحجة والمنطق وتوضيح ما فيها من انحراف عن الحق وخطأفي الواقــــع .

ثانيا : ان الشيوعية كنظام اقتصادى اشتراكى يسعى الى تحقيــق العدالة بين طبقات الشعب ، ويمنع تحكم المال ووسائل الانتاج في العمل والعمال بأسلوب خاص ، وموقف الاسلام انه وضع نظاما اشتراكيا واضح المعالم مســـتقلا عن الشيوعية وعن الاشـــتراكيات المتعـــددة وعن الراسمالية ، وهو في ذلك لا يحارب الشيوعية في كل اتجاهاتها الاشتراكية ولا يقرها في كل اتجاهاتها ايضا ، كما انه لا يحارب النظم الاقتصـادية الاخرى ولا يقرها في كل تفاصيلها واتجاهاتها .

ولقد سبقت الاديان كلها الشيوعية الى الرحمة بالبائسين وانصـاف الناس والرغبة في تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل دين وســـائله الخاصـــة به في تحقيـــق هـــذه الاهداف الانســـانية ، فلا ضير على الاسلام أن تتفق معه الشيوعية في أهدافه الانسانية النبيلة ، وان كانت تسلك لذلك طرقا لا يقرها الإسلام .

ثالثا : ان الشـــيوعية كدولة ذات قوة واهداف ســياسية ، وموقف الاسلام منها هو موقفـــه من كل قوة مسلحة تجاوره ، فان ســالمت عقيدة المســـلمين وكرامتهم واحترمت ارادتهم وســلطانهم على ديارهم ســالمها الاسلام والمسلمون ولو كانت مخالفة في العقيدة والنظام لان الاسلام لا يفرض الحرب على كل من خالفه ، وانما يضع هذا المبدأ الخالد العادل في قول الله سبحانه وتعالى : لا ينهاكم الله عن الدين لم يقاتلوكم في الدين ولــم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم (٧١) . وان هى حاربت المسلمين في عقيدتهم وكرامتهم وديارهم اعلن المسلمون عليها الحرب واستعد المسلمون بكل وسائل القوة لرد العدوان ، وشعارهم في ذلك هو المبدأ الذى لا يزال شرعة الامم حتى اليوم في قول الله سبحانه وتعالى : فمن اعتــدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (٧٢) .

---

(٧١) سورة الممتحنة الآية رقم ٨ .
(٧٢) سورة البقرة الآية رقم ١٩٨ .

واذا كانت هذه نظرة الاسلام والمسلمين الى الشيوعية فلماذا تنتشر الشيوعية في بلاد المسلمين ؟ وفي رأينا هناك عدة اسباب لانتشار الشيوعية في أقطار العالم الاسلامى سواء في المشرق ام في المغرب ، اهمها ما يلى : ــ (٧٣).

أولا : فساد الانظمة الاجتماعية ، فان انحطاط مستوى المعيشة والعلم والصحة والتفاوت الكبير بين الطبقات وفساد انظمة الحكم وانحراف الحكام عن سنن العدالة ، ذلك كله من اكبر اسباب التذمر الذى يؤدى بالجماهير الى اعتناق اية فكرة تظن فيها الخلاص من حالتها السيئة . ان الجماهير انما تعنى بمصالحها المالية قبل كل شيء،وهى تفتش عن تحقيق تلك المصالح في دائرة اديانها ، فاذا رات فيها العجز والاعراض عن تحقيق ذلك تولت عنها وهى تفتش عن مذهب يعدها بالانقاذ وستتبعه حتما ولو كان آتيا من الشيطان .

ثانيا : محاربة الديمقراطية الغربية لشعوب العالم الاسلامى والمتخلف في افريقيا وآسيا في امانيها التحررية والاستقلالية ومحاربة ابقائها تحت نير الجهل والظلام والعبودية ، واشاعة حكم الارهاب والبطش في كثير من الاقطار المتحفزة للتحرر ، كل ذلك له أثره في اتجاه الجماهير الى نظام يعدها بالتحرر من سلطان الديمقراطيات وبطشها وارهابها .

ثالثا : التأييد الذى لقيته الصهيونية من الديمقراطية الغربية حتى أصبح لها كيان مفروض في قلب الوطن العربى رغم ارادة سكانه وشعوبه مما شرد سكان فلسطين العرب واشاع المرارة والخيبة في نفوس العرب والمسلمين ، وجعل اوساط اللاجئين الفلسطينيين امكنة صالحة للشيوعية تزداد يوما بعد يوم . واذا كان اضطراب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اوروبا قد جعل نصفها يميل الى الشيوعية او يقع تحت قبضتها ، فكيف لا تؤدى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة في اوساط الشعوب الاسلامية ، الى جانب موقف الدول الغربية الديمقراطية المعادى لامانى الشعوب الاسلامية ، كيف لا يؤدى ذلك كله الى ميل بين الجماهير الاسلامية ــ والعربية جزء منها ــ نحو الشيوعية (٧٤) .

---

(٧٣) يمكن الاستزادة في هذا الموضوع بالرجوع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت على امتنا للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢٠ ــ ٣٣٢ تحت عنوان كيف وجدت الاشتراكية لها سوقا .

(٧٤) لمزيد من التفصيل عن الاسلام والشيوعية يمكن الرجوع الى كتاب الماركسية والاسلام للدكتور مصطفى محمود .

واذا كان هذا هو موقف الاسلام والمسلمين من الشيوعية ، فما موقف الاسلام والمسلمين من الراسمالية ؟

ينظر الاسلام والمسلمون الى الراسمالية من ثلاث نواحي هى : ـ(٧٥).

أ ـ ان الراسمالية كعقيدة ومبدا يرتبط بمفاهيم الديمقراطية الغربية والليبرالية في مجالات السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، وموقف الاسلام من ذلك هو ان للاسلام ديموقراطيته غير المزيفة ودعوته للحرية الموجهة البعيدة عن الفوضي ، ومن ثم يمكن القول ان ديمقراطية الاسلام اكثر اصالة وتحديدا لانها تنسحب على المسلمين وغير المسلمين بينما الديمقراطية والحرية الغربية لا يقرها اصحابها لغيرهم .

ب ـ ان الراسمالية كنظام اقتصادى يقوم على اساس نظرية العرض والطلب والمنافسة الحرة في الانتاج والتجارة ، وتطبيقا لهذه النظرية لا تتدخل حكومات المجتمعات الراسمالية في الاقتصاد القومى للبلاد ، انما تترك امره للافراد ، فالملكية الخاصة لوسائل الانتاج تحصر الاستفادة في عدد قليل من الافراد او الذين تتيح لهم سيطرتهم على وسائل الانتاج استغلال مجموع الشعب والتحكم في الاسواق وفي الاسعار . وموقف الاسلام من ذلك موقف الناقد لكل استغلال للانسان ولكل احتكار في احتياجات الناس ، حيث ان مبادىء الاسلام لا تقر الراسمالية في استغلالها وفي تميزها الطبقى ، انما تؤمن بالمساواة وفي التقارب الطبقى وفي التكافل الاجتماعى وان تكون الثروة في خدمة المجموع .

حـ ـ ان الراسمالية في نظام سياسي كدول ذات قوة واهداف سياسية مارست قوتها وحققت اهدافها الاستعمارية في كل اقطار العالم الاسلامى ، وزرعت الصهيونية في قلب العالم الاسلامى وأمدتها بأسباب القوة والبقاء وحاربت الاسلام بصور شتى ، ولذلك يقف منها الاسلام والمسلمون موقف المكافح والمناضل ضد الاطماع الإستعمارية واتجاهات الالحاد التى حاولت الدول الاستعمارية بثها ، وهدف الاسلام والمسلمين هو المحافظة على جوهر

---

(٧٥) يمكن الاستزادة من موضوع الراسمالية والاسلام بالرجوع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت علينا للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٠٣ ـ ١٣١ تحت عنوان لماذا فشلت الليبرالية الديمقراطية عندنا ؟ .

الدين الاسلامى واصوله ، وطرد الاستعمار من ارض المسلمين واقامة علاقات مع الدول الراسمالية على اســـاس المصلحة الوطنية ومعاملة الند للند ، والوعى بأساليب الحضارة الغربية المادية بحيث يملكها المسلمون ويستفيدون منها دون ان تملكهم هى وتقيد حركتهم (٧٦) .

ولنا سؤال اخير حول احدى المشكلات التى واجهت العالم الاسلامى ، وهو موقف الاسلام من الصهيونية ؟ . لا شك ان الدين الاسلامى والمسلمين يفرقون بين اليهودية كدين سماوى والصهيونية كحركة عنصرية سياسية متحالفة مع الاستعمار ضد جزء من الامة العربية التى هى قلب الامة الاسلامية ، ذلك ان الصهيونية التقت مع النازية في مبادئها حيث تدعو الصهيونية الى مبـــدأ العنصر الممتاز ومبدأ الديانة الخاصة والوطن الخاص ، بل وتدعو الى تحقيق حلم استعمارى بأن تمـد الصهيونية ســـيطرتها على معظم منطقة الشرق الاوسط من نهر النيل الى نهر الفرات ، كما تدعو الى اســتخدام القـــوة لتحقيق هذه السيطرة ، وبالتالى استغلوا نفوذهم السياسي ليس فقط في اوروبا بل في امريكـا كذلك الى جانب نفوذهم الاقتصادى وســيطرتهم على اجهزة الدعاية من صحافة واذاعة وتليفزيون ونشرات .. (٧٧) .

ومما هو جدير بالذكر ان الحركة الصهيونية كانت اكثر تحركا وتنظيما من العرب ولها رجال ذوى نفوذ في الاقطار الكبرى الاربعة انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الامريكية وهى الاقطار المنتصرة في الحرب العالمية الاولى (٧٨) ، ولكن اساليبها لم تغب عن اليهود في العالم ، اذ وجدت جماعات يهودية عالمية عارضت بشدة خطط الحركة الصهيونية ، وقد ارسل حوالى ٣٠٠ من قادة اليهود الامريكيين الى الرئيس ويلسون يعبرون عن استنكارهم لمطالب الحركة الصهيونية في فلسطين ، كما كانت هناك قيادات يهودية في اوروبا تعتقد ان الصهيونية انما تمثل خطرا على اليهود في العالم ، وتسبب مزيدا من العداء للسامية (٧٩) .

---

(٧٦) للاستزادة يمكن الرجوع الى كتاب الاسلام والراسمالية لمؤلفـه مكسيم رودنسون وترجمة نزيه الحكيم .

(٧٧) د. محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى ص ٢٥ ـ ٣٢ . .

(٧٨) د . رأفت الشيخ : امريكا والعلاقات الدولية ص ١٦٩ ـ ١٧٠

(٧٩) . Polk, W. : The U.S. and the Arab World, P. 300.

وعقب الحرب العالمية الثانية نشطت الحركة الصهيونية في تذكير الدول الكبرى بتنفيذ وعد بلفور مستخدمة ما لاقاه الصهيونيون من اضطهاد على يد هتلر في المانيا وكان الرأى العام الامريكى يجهل تماما الوضع القائم في فلسطين وما يمكن ان يؤدى اليه تحقيق مطالب الصهيونية من صراع ، وبدت امام الرأى العام الامريكى دعاوى الصهيونية وكأنها حجج قانونية وعادلة ، بينما كانت اقلية من الشعب الامريكى الذين عاشوا في منطقة الشرق الاوسط يرفعون اصوات الاحتجاج ضد الدعاوى الصهيونية (٨٠) .

ومع ذلك قامت اسرائيل كبداية لحلم الحركة الصهيونية ، واتخذت منذ عام ١٩٤٨م سياسة عدوانية ليس فقط بارتكاب مذابح قامت بها العصابات الصهيونية ضد العرب في فلسطين ، بل وايضا في الاعتداء على الدول العربية الاسلامية المحيطة بفلسطين كالاردن ومصر وسوريا ولبنان منذ عام ١٩٤٨م مرورا بعام ١٩٥٦ م وعام ١٩٦٧ م حتى ١٩٧٣ م ، مستندة الى التصريح الذى أصدرته كل من الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وفرنسا في ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ بضمان حدود دول الشرق الاوسط ، والذى معناه ضمان حدود اسرائيل وتهديد للعرب اذا حاولوا مهاجمتها (٨١) .

اذا كان هذا هو الخطر الصهيونى على الاسلام والمسلمين ، فكيف لهم مواجهة هذا الخطر ؟ في رأيى ان ذلك يأتى بوحدة المسلمين الذين تهفو نفوسهم الى اولى القبلتين في القدس الواقعة تحت سيطرة اسرائيل ، وحدة على الاقل في الهدف وان اختلفت الوسائل ووضع الخطط والامكانيات الكفيلة بتحقيق مثل تلك الوحدة موضع التنفيذ، ودراسة اساليب الصهيونية لكى يتمكن المسلمون من معرفة مخططاتها والاستعداد للرد عليها أو منعها من التحقيق ، وذلك من خلال معرفة المسلمين لامكانياتهم ومدى ما يمكن ان يقدموه لتحقيق هدفهم .

كذلك يمكن للمسلمين عن طريق التآخى والتكاتف والعمل المنتج تربية شباب مزود بفلسفة روحية خلقية وعملية شاملة تؤهلهم ليس فقط لمقاومة الخطر الصهيونى بل والخطر الاستعمارى الذى يتخذ حاليا اشكالا ثقافية واقتصادية ، وان يتزود هذا الشباب بالعلم الحديث والاساليب الحديثة

(٨٠) The American Assembly : The United States and the Middel East, P. 7.

(٨١) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٧٢ .

في الاقتصاد والاجتماع ، والتخلى عن الاساليب القديمة البالية ، هذا الى جانب الاخذ بمبدأ الدفاع عن النفس انطلاقا من ان خير وسيلة للدفاع عن النفس هى الهجـــوم ، ولتحقيق ذلك يمكن الاخذ بما يلى :

١ ــ ان يدرك العرب والمسلمون ويفهموا بصورة جلية حقيقة الخطــر الصهيونى ، وان هذا الخطر لن يقتصر على فلسطين وحدها بل انه يشمل البلاد العربية الاسلامية كلها .

٢ ــ ان يتعاون العرب في داخل فلسطين وخارجها على شراء اراضى فلسطين وجعلها وقفا بحيث لا يمكن بيعها الى الصهيونيين في المستقبل .

٣ ــ ان يتمسك العرب تمسكا شــديدا بكل التصريحات التى تضمن لهم حرياتهم وحقوقهم كاملة مما صرح به الرجال المسئولون في الديمقراطيات الكبرى وهيئة الامم المتحدة .

٤ ــ ان تشترك البلاد العربية والاسلامية بالتعاون مع عرب فلسطين في انشاء مراكز كبرى للدعاية والتنوير في اوروبــا وامريكا ، وبيان ان ما شكوى العرب اليوم الا من الصهيونية السياسية الاعتدائية التى جاءت لتحتل قلب البلاد العربية ولتخنق الامة العربية وهى في بدء نهضتها الجديدة (٨٢) .

٥ ــ استخدام المؤتمر الاســلامى ومؤتمرات عدم الانحياز والوحــدة الافريقية ومنظمة الشعوب الاسيوية الافريقية في تأييد القضية العربيـــة الاسلامية وقلبها فلسطين ونبضها القدس الشريف .

اذا كانت تلك المشكلات التى تواجه المسلمين وتفت في عضــد الاسلام وتمنع الوحدة الاسلامية من ان تقوم لها قائمة ، فما هو الحل لمواجهة تلك المشكلات ؟ . لقد فشل الحلان الدخيلان على بلادنا المستوردان من عند غيرنا وهما الحل الليبرالى الديمقراطى ، والحل الاشتراكى في كل مجالات الحياة ، لقد فشلا في المجال الاقتصادى وفي مجال الحرية والطمأنينة للشـــعوب المسلمة ، وفي المجال العســـكرى وفى المجال الاخلاقى وفي المجال العربى

---

(٨٢) د. محمد فاضل الجمالى : المرجع السابق ص ٩٦ ــ ١٠٣ .

والاسلامى .. اذن لم يعد امامنا سوى أن نقول مع القائلين ان الحل الاسلامى فريضة وضرورة (٨٣) اذا اريد للامة الاسلامية ان تتخلص من مشـكلاتها وتستعيد مكانتها الاولى .

وكيف تهتدى الشعوب الاسـلامية مع حكامها الى تطبيق الشريعة الاسـلامية في كل نواحى حياتها ؟ لكى يتحقق ذلك لابد من شروط لاقامة المجتمع الاسلامى الكامل ، بمعنى أن تكون عقيدته اسلامية ومفاهيمه وافكاره اسلامية ، ومشاعره ونزعاته اسلامية ، واخلاقه وتربيته اسلامية ، وان تكون قوانينه وتشريعاته اسلامية (٨٤) .. كيف ؟

١ ــ ضرورة قيام الدولة المسلمة حكومة وشعبا التى تقوم بحمايـة عقيدة الاسلام من اى عبث ،واقامة الشعائر الاسـلامية والاعانة عليها ، ولتوجيه ابناء المجتمع توجيها اسلاميا ، ولوضع التشريعات التى جاء بها الاسلام في قوانين قابلة للتطبيق ، ولتنظيم فريضة الجهاد بتدريب المسلمين وشراء الاسلحة وتنظيم الصفوف .

٢ ــ اتخاذ الاسلام مصدرا وحيدا للتشريع ، فمثلا اذا قال الاسلام ان المسلمين امة واحدة وان المؤمنين اخوة ، وان الرابطة الاسلامية فـوق الرابطة القومية والوطنية ، فالحل الاسلامى هو الذى يقيم سياسته العملية على الولاء لامة الاسلام والعداء لاعداء الاسلام ، والعمل الجاد المخلص على اعادة الوحدة الاسلامية .

٣ ــ ان يكون تطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا شاملا لا يقبل التجزئة، بمعنى ان يتصدى الحل الاسلامى لكل مشكلات الحياة ، وعدم اخذ بعض احكام الله دون بعض .

٤ ــ لا يمكن تطبيق الشريعة الاسلامية الا اذا اخذت باسم الاسلام وتحت عنوان الاسلام لا باسم الاشتراكية أو الرأسمالية .

٥ ــ ان يكون الاسلام غاية لا وسيلة ، وان يكون المنتهى لكل الانظمـة والمناهج والوسائل والامكانيات لتطبيقه ، ولا يتخذ وسيلة لتثبيت حـكم معين أو للدعاية لبلد او لاسرة او لحزب او عهد أو نظام أو مذهب (٨٥) .

---

(٨٣) د. يوسف القرضاوى : الحل الاسلامى فريضة وضرورة ص ٦ ــ ١٥ .
(٨٤) نفس المصدر ص ٣٧ .
(٨٥) نفس المرجع السابق ص ٦٩ ــ ٩٦ بتصرف .

وتحقيقا لهذه الاهداف كان لابد من وجود هيئة تنسق بين الشعوب والحكومات الاسلامية بعضها مع بعض ، ومن ثم ظهرت على الساحة الاسلامية دعوة لتجسيد الوحدة الاسلامية في صورة عملية ، وجاء هذا التجسيد فيما اصبح حقيقة واقعة واعنى « منظمة المؤتمر الاسلامى » الذى صارت له امانة عامة وعدة هيئات او منظمات تتبعها .

شهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين للميلاد) قيام اكبر منظمة للعالم الاسلامى ، وانعقد اول مؤتمر قمة اسلامى لها في الرباط عاصمة المملكة المغربية في رجب سنة ١٣٩٨ هـ (سبتمبر ١٩٦٩ م) وفي غضون العشر سنوات التالية عقدت العديد من مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء الخارجية الاسلامية للنظر في القضايا الاسلامية الملحة التى تجابه الشعوب الاسلامية واستطاعت على هذا المدى القصير ان تكون واحدا من ابرز المنظمات العالمية بحكم مئات الملايين من القوى البشرية التى تمثلها وانتمائها لاخر واعظم الديانات السماوية بالاضافة الى اهمية الموضوعات التى تتناولها والتى تشكل جزءا هاما من قضايا الانسانية المعاصرة .

ولقد كان ظهور المنظمة على مسرح التاريخ المعاصر نتيجة لعوامل متعددة نبرز اهمها فيما يلى .

« أولا » مشكلات الاقليات الاسلامية .

نتيجة لحركة المد الاطرادى العكسى بين زيادة انتشار الدين الاسلامى، وانحسار النفوذ السياسي لبعض الدول الاسلامية ، بسبب السياسة الاستعمارية ، ظهرت اقليات اسلامية ، في اطار دول غير اسلامية . وارتبط ذلك بتعرض هذه الاقليات ، لاضطهادات دينية وسياسية واقتصادية ، اتخذ بعضها دورا حادا ، اقرب الى محاولات الابادة منه الى شيء اخر كما هو الحال بالنسبة لمسلمى الفلبين ، ووسط آسيا وجنوب افريقية ، واتخذ بعضها محاولات الادماج والامتصاص كما هو الحال بين مسلمى قبرص وارتريا، بالاضافة الى تعرض بعض المسلمين في مناطق كثيرة من انحاء العالم لاضطهادات دينية وسياسية واقتصادية . وقد شجع هذه الحركة المضادة للاسلام ما لقيته من نجاح في مراحل سابقة في ميادين اخرى نخص بالذكر منها انهاء الوجود الاسلامى في كل من اسبانيا وصقلية وكريت وغيرها .

وعلى الرغم من وجود المنظمات الدولية المعروفة الا انها لم تكن صالحة لمجابهة هذه القضايا التى طالما نظر اليها على أنها قضايا داخلية لا تجيز مواثيق هذه المنظمات التدخل فيها وحتى الجامعة العربية كان ميثاقها يقف عاجزا عن التصدى بايجابية لهذه المشكلات تمشيا مع نصوص ميثاقها بالاضافة الى تشابك الظروف الدولية السياسية والاقتصادية في عالمنا المعاصر وهو ما سوف نفرد له بندا خاصا في هذه العوامل .

ومن أجل ذلك كان لابد من وجود منظمة اسلامية تختص بالنظر في هذه المشكلات والقضايا بعيدا عن الحساسيات المختلفة .

« ثانيا » مشكلات التخلف الحضارى :

ليس من شك في أن المد الاستعمارى بوجه خاص والسياسة الامبريالية بوجه عام قد ساعد على تثبيت التخلف الحضارى في كثير من البلاد الاسلامية التى تعرضت للاحتلال الاجنبى بسبب السياسة الاقتصادية التى كانت تجعل من هذه البلاد مناطق استهلاك لمصنوعات ومنتجات الدول الصناعية الكبرى ولذلك فقد كانت عملية الاحتلال الاجنبى تعمل على اعاقة أى نمو حضارى يمكن أن يحرم الدول الكبرى من استنزاف ثروات البلاد المغلوبة على امرها وحتى بعد أن حصلت كثير من البلاد الاسلامية على استقلالها فان فروق مسافات التخلف بين أولئك الذين سبقوا على الطريق وأولئك الذين يلهثون من أجل التقدم ظلت طويلة وشاقة ليس فقط بسبب المعوقات التى تضعها الدول المستغلة في طريق النمو والتقدم وانما أيضا بسبب الحاجة الى موارد التمويل والاساليب التنظيمية والتقنية الحديثة بالاضافة الى الخبرات والامكانيات المطلوبة فيهذا السبيل وكان أخطر ما فسرت به هذه الظاهرة ادعاء التناقض بين معطيات الاسلام والنهضة العلمية المعاصرة ومن أجل ذلك كان لابد من تنظيم اسلامى يجابه كل هذه المشكلات ويساعد على تجاوزها خاصة بعد أن توافرت الامكانيات المادية لدى الدول البترولية الاسلامية والامكانيات والخبرات التقنية لدى بعض الدول الاسلامية التى سبقت على الطريق .

« ثالثا » تجاوز الحساسيات الشكلية في جامعة الدول العربية :

الجامعة العربية ضرورة قومية يجب أن يسعى الجميع لتدعيمها وتقويتها حيث أنها في النهاية المعتصم الاخير الذى تلجأ اليه الدول

العربية كلمـا ادلهم بها الامر او استعصى عليها الاتفاق على حـل ومهمـا قيل عن امكانياتها المحدودة وسلبياتها التى تنعكس عليها من واقع العالم العربى فهى الامـل المرتجى الذى يحـاول فيه زعماء الامة العربية ان يتناسوا خلافاتهم ويضمدوا جراحاتهم .

ولكن الجامعة العربية بمواثيقها التقليدية المرتبطة بمواثيـق المنظمات الدائرة في فلك المنظمات الدولية تحول بينها وبين مناقشـة مشاكل الاقليات الاسلامية في الدول المختلفة لان ذلك يتعارض مع حقوق الدول في سيادتها الداخلية بالاضافة الى تشابك المصالح العربية وغـير العربية في كثير من الموضوعات والمشكلات والقضايا السياسية الهامة التى تحتاج فيها الجامعة العربية دعما دوليا على مستوى المنظمات السياسية الكبـرى .

ومن أجل ذلك فكثيرا ما كانت تتجاوز جامعة الدول العربية النظر في كثير من القضايا الاسلامية الهامة وفي مقدمتها مشاكل المسـلمين في الفلبين وقبرص وارتريا وجيبوتى وغيرهـا مما كان يؤدى في كثير مـن الاحيان الى تجميد هذه المشكلات فضلا عما كان يصيب هـذه الاقليات الاسلامية من أسي عميق يتولد عن الشعور باغفال الجامعـة العربيـة لاوضاعها المريرة .

ومن هنا كان لابد من ايجاد منظمة اسلامية تتخطى هذه الحواجـز والحساسيات وتقدم المساعدات والامكانات المادية والعسكرية والحضارية للاقليات الاسلامية المغلوبة على امرها .

« رابعا » حريق المسجد الاقصي في ٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩ م :

كان السبب المباشر الذى حول الحلم الى حقيقة ما اقدمت عليـه اسرائيل في ٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩ م جريا على سياستها العدوانية من عملية تخريب كبرى لبعض الاماكن الاسلامية المقدسة في فلسطين المحتلة وانتهاك حرماتها وبلغت ذروة ذلك الانتهاك بالحريق الذى اشـعلته في المسجد الاقصي ونتجت عنه اضرار فادحة سببت الذعر عند اكثـر من ثمانمائة مليون من المسلمين مما دعا الى ضرورة تصدى الدول والشـعوب الاسلامية لهذا الحدث الخطير واذابة كل الحساسيات التى كانت تثـار حول انشاء المنظمة الاسلامية ولذلك لا نعجب اذا رأينا ان أول مؤتمـر

قمة لمنظمة المؤتمر الاسلامى انعقد بعد أقل من شهر لهذا الحادث الخطير بمدينة الرباط في رجب ١٣٨٩ هـ (سبتمبر سنة ١٩٦٩م) وحضره ملوك ورؤساء سبع وعشرين دولة عربية واسلامية وممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية كمراقبين ولم تحضر كل من سوريا والعراق وقد ندد المؤتمر بهذا الحدث الخطير وطالب المؤتمرون كلا من فرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الاخذ بعين الاعتبار وضع الحرم القدسي بالنسبة للمسلمين في مختلف أرجاء الارض وعزم الحكومات الاسلامية على تحرير القدس ورفضهم لموقف اسرائيل من ضم القدس الشرقية الى عاصمة الدولة الصهيونية بالاضافة الى ضرورة الانسحاب من الاراضي العربية التى احتلت بعد عام ١٩٦٧ ومساندتهم الكاملة للشعب الفلسطينى في كفاحه من أجل استرداد أراضيه مع ترك التفصيلات لمؤتمر يعقد على مستوى وزراء خارجية الدول العربية الاسلامية في جدة في محرم ١٣٩٠هـ (فبراير / مارس ١٩٧٠ م) واهم ما يلاحظ على هذا المؤتمر الاول ما يلى .

« أولا » ان هذا الاجتماع كان أقرب الى مؤتمر مجابهة لمسألة حريق المسجد الاقصي اكثر منه مؤتمرا للمنظمة الاسلامية ويتضح لنا ذلك من قراراته التى اقتصرت على شجب موقف اسرائيل من هذا الحادث العدوانى الخطير اضافة الى القرارات التقليدية المعتادة لجامعة الدول العربية وفي مقدمتها المطالبة بجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى التى احتلت بعد عام ١٩٦٧ .

« ثانيا » تردد بعض الدول التى تنهج نهجا اشتراكيا في سياستها في حضور هذا المؤتمر وفي مقدمتها العراق وسوريا اللتان امتنعتا عن حضور المؤتمر بالاضافة الى مصر التى حضرت كعضو مراقب ولو انها كانت قد خرجت جريحة من عدوان سنة ١٩٦٧ فلربما كانت حذت حذو الدولتين الاخريين وقد كان ذلك راجعا الى التصور الذى وقر في أذهان هذه الدول من وجود تناقض بين فكرة المؤتمر الاسلامى والجامعة العربية .

« ثالثا » قلة عدد الدول الاسلامية والعربية التى شاركت في هذا المؤتمر اذا قورنت بعضوية منظمة المؤتمر الاسلامى الان التى تضم واحدا واربعين دولة اسلامية وعربية هى المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية الغينية والجمهورية الاندونيسية وايران

والمملكة الاردنية الهاشمية وجمهورية لبنان والمملكة المغربية والجمهورية الليبية والجمهورية التونسية وجمهورية الجزائر الديمقراطية الشـعبية وجمهورية بنجلاديش الشعبية وجمهورية افغانستان والجمهورية العراقية وجمهورية النيجر والجمهورية التركية وجمهورية اوغندة واتحاد ماليزيا وجمهورية زامبيا وغينيا بيساو وجمهورية الكاميرون ودولـة الامارات المتحدة وجمهورية تشـاد وجمهورية مالى ودولة قطر وسلطنة عمـان ودولة الكويت والجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وجمهورية موريتانيا الاسلامية ودولة البحرين وجمهورية جابون وجمهورية سيراليون وجمهورية باكستان الاسلامية وجمهورية السنغال وجزر القمر وماليديف وجمهورية السودان والجمهورية العربية السـورية وفلسـطين .

« رابعا » عدم تمثيل الجامعة العربية في هذا الاجتماع لما سبق ان ذكرت من انه كان هناك تصور خاطىء بوجود تناقض بين المنظمتين الاسلامية والعربية . وكان اشتراك امين الجامعة العربية في جلسات منظمة المؤتمـر الاسلامى اعتبارا من المؤتمر الثالث الذى عقد في كراتشي شوال سنة ١٣٩٠ هـ (ديسمبر ١٩٧٠ م) ولم تحضره العراق وسوريا ايضا وبدأ اشتراك سوريا في المؤتمر الرابع الذى عقد في جدة في محرم سنة ١٣٩٢ هـ مارس سنة ١٩٧٢م وهو من أخطر مؤتمرات المؤتمر الاسلامى ثم بدأ حضور العراق بعد ذلك .

ولقد بدأ المؤتمر في جلسته الثانية التى عقدت في جدة في محرم سنة ١٣٩٠ هـ (فبراير — مارس ١٩٧٠م) بحضور وزراء خارجية الدول الاسلامية والعربية يضع الاسس التنظيمية لتشكيله فقرر انشاء امانة دائمة للمؤتمر الاسلامى يكون مقرها جدة الى أن تتحرر القدس فينتقل اليها على ان تكون هذه الامانة حلقة اتصال بين الدول الاسلامية مهمتها متابعة تنفيذ القرارات والاعداد للدورات القادمة واتخذ المؤتمر قرارا باعتـبار يوم ٢١ اغسطس من كل عام (يوم حريق المسجد الاقصي) يوم التضامن مع الشعب العربى الفلسطينى .

ويعتبر المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد في جدة (في محرم سنة ١٣٩٢ هـ فبراير / مارس سنة ١٩٧٢ م) من اخطـر اجتماعات المؤتمر حيث صودق فيه على ميثاق المؤتمر الاسـلامى بشـأن تعزيز التضامن ودعم التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمـية والمجالات الاخرى بين الدول الاسلامية كما تقرر انشاء المؤسسات التالية .

١ ـ انشاء وكالة انباء اسلامية دولية في جدة تكون مركزا لاهم الانباء والاحداث الاسلامية ويتم تداولها ونشرها على الدول الاعضاء .

٢ ـ انشاء منظمات ومراكز ثقافية اسلامية مهمتها نشر وحماية العقيدة والثقافة الاسلامية على ان تكون من اختصاصات دائرة الشئون الثقافية بالامانة العامة ويشرف عليها مساعد الامين العام وتختص بالجوانب التالية :

(أ) رعاية الجماعات الاسلامية ماديا وثقافيا في جميع بلدان العالم الاسلامى .

(ب) جمع المعلومات ذات الطابع الثقافى ودراستها وتداولها .

(جـ) نشر الكتب المتعلقة بالدين الاسلامى والثقافة الاسلامية بالاضافة الى قضايا العالم الاسلامى الكبرى وفي مقدمتها القضية الفلسطينية وقضايا الاقليات الاسلامية في العالم .

(د) تنظيم دورات تدريبية للمسئولين عن المراكز الثقافية الاسلامية .

(هـ) تنشيط الالعاب الرياضية واقامة المباريات بين الدول الاسلامية .

(و) انشاء مركز للبحوث الاسلامية .

(ز) جمع الاحصاءات واعداد الدراسات عن احوال الجماعات الاسلامية في البلاد غير الاسلامية .

(ح) انشاء مجلة اسلامية دورية تنطق باسم المؤتمر الاسلامى .

(ط) انشاء جامعة اسلامية تفتح ابوابها لكل أبناء الشعوب الاسلامية .

٣ ـ الموافقة على اقتراح مصر بانشاء البنك الاسلامى الدولى مهمته الدراسة العلمية واعطاء المشورة في الموضوعات الاقتصادية على ان تكون له ادارة مالية واقتصادية لخدمة العالم الاسلامى .

وقد تعرضت المؤتمرات الاسلامية الاثنا عشر التى عقدت حتى الان لكافة القضايا الاسلامية الهامة وفي مقدمتها عدوان البرتغال على غينيا وقضية المسلمين في الفلبين وتضامن الدول الاسلامية مع الشعوب الافريقية المكافحة ضد الاستعمار والتمييز العنصرى وقضايا المسلمين في قبرص وارتريا وجيبوتى وغيرها من القضايا الاسلامية الملحة ووقفت الى جانبها تساندها ماديا وسياسيا واعلاميا وفكريا .

وقد اجتمع وزراء الخارجية للدول الاسلامية في دورته رقم ١٢ بمدينة « اسلام اباد » الباكستانية خلال شهر رجب ١٤٠٠ هـ الموافق شهر مايو ١٩٨٠ وذلك لمناقشة اهم قضيتين على الساحة الاسلامية وهما :

١ – الغزو السوفيتى لافغانستان .
٢ – قضية فلسطين .

وقد اتخذ المؤتمر في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٨٠ م عدة قرارات اهمها : –

١ – أعرب المؤتمر عن قلقه العميق لما يعانيه الشعب الافغانى وللتدفق المستمر للاجئين الافغانيين الى باكستان وايران .

٢ – قرر المؤتمر تشكيل لجنة لزيارة موسكو للتفاوض بشأن مشكلة افغانستان .

٣ – توجيه نداء الى جميع دول العالم لتقديم المساعدة لتخفيف آلام اللاجئين الافغانيين .

٤ – كرر المؤتمر مطالبه بالانسحاب الفورى والكامل وغير المشروط لجميع القوات السوفييتية المرابطة في الاراضي الافغانية ، واهاب بجميع الدول لاحترام سيادة افغانستان ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي وانتمائها للاسلام .

٥ – أكد المؤتمر التزام جميع الدول الاسلامية بتنفيذ جميع القرارات الاسلامية السابقة والمتعلقة بمدينة القدس .

٦ – اعتبر المؤتمر قرار العدو الاسرائيلى الاخير بضم مدينة القدس الشريفة وجعلها عاصمة لكيانه الصهيونى العنصرى قرارا باطلا ولاغيا وغير مشروع وتحديا لمشاعر المسلمين جميعا ، ودعا المؤتمر جميع المسلمين لمقاومته (٨٦) .

---

(٨٦) جريدة الراية القطرية – الدوحة العدد ١٤٠ السنة الثانية السبت ١٠ رجب ١٤٠٠ هـ / ٢٤ مايو ١٩٨٠ م .

الباب الثالث

مشكلات المسلمين فى عالم اليوم

مقـــدمة

انتشر الاسلام في معظم قارات العالم ، بحيث نجد المسلمين يعيشـــون في كل أركان الكرة الارضية ومع وجود دول اسلامية دينها الرسمى الاسلام وكل سكانها أو معظمهم مســـلمون ، فقد عاشت وتعيش حتى اليـــوم اقليات اسلامية في كثير من اقطار العالم في آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا ، وسط كثرة غير اســـلامية .

وقبل ان نتحدث عن هذه الاقليات منذ وجدت على الارض التى تعيش فيها الان ، فاننا يجب ان نعرف الدول الاسلامية ونعـــددها أولا ، وهى على النحـــو التالى : ـ

١ ـ جمهورية مصر العربية وسكانها حوالى ٤١ مليون نسمة .
٢ ـ الجمهورية الجزائرية وسكانها أكثر من ١٦ مليون نسمة .
٣ ـ المملكة المغربية وعدد سكانها أكثر من ١٦ مليون نسمة .
٤ ـ الجمهورية السودانية وعدد سكانها ١٨ مليون نسمة .
٥ ـ الجمهورية العراقية وعدد سكانها ١١ مليون نسمة .
٦ ـ الجمهورية السورية وعدد سكانها ٧ مليون نسمة .
٧ ـ المملكة العربية السعودية وعدد سكانها حوالى ٨ مليون نسمة .
٨ ـ الجمهورية العربية اليمنية وعدد سكانها ٦ مليون نسمة .
٩ ـ الجمهورية التونسية وعدد سكانها ٦ مليون نسمة .
١٠ـ جمهورية الصومال الديمقراطية وعدد سكانها ٣ر٤٤ مليـــون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .
١١ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية وعدد سكانها ١ر٣٧ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .
١٢ـ الجمهورية اللبنانية وعدد سكانها ٣ مليون نسمة .
١٣ـ المملكة الاردنية الهاشمية وعدد سكانها حوالى ٣ مليون نسمة .
١٤ـ فلسطين وعدد الفلسطينيين داخل الارض الفلسطينية وخارجها حوالى ٣ مليون نسمة .
١٥ـ الجمهورية العربية الليبية وعدد سكانها حوالى ٣ مليون نسمة .
١٦ـ جمهورية اليمن الديمقراطية وعدد سكانها ٢ مليون نسمة .
١٧ـ سلطنة عمان وعدد سكانها أكثر من مليون نسمة .

١٨ـ دولة الكويت وعدد سكانها يقارب المليون نسـمة (٩٠٠ الف تقريبـا) .
١٩ـ جمهورية جيبوتى وعدد سكانها ١١٣ر٥٠٠ نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .
٢٠ـ دولة الامارات العربية المتحدة وعدد سكانها (سبع امارات) ٣٠٠ الف نسـمة .
٢١ـدولة البحرين وعدد سكانها حوالى ٢٢٠ الف نسمة .
٢٢ـ دولة قطر وعدد سكانها حوالى ٢٠٠ الف نسمة .

وهـذه المجمـوعة من الاقطـار ـ وعددها ٢٢ دولـة ـ تدخل في منظومة الجامعة العربية ، فهى تتفق في الدين والجنس واللغة العربية معا، وهذه الدول رغم أن معظم سكان كل منها ان لم يكن كلهم من المسـلمين فانه توجد بها أقليات غير اسلامية هى في الغالب أقلية تدين بالمسيحية وان وجدت اقليات يهودية او وثنية كما في جنوب السودان مثلا .

ومع ذلك فهناك عدة دول اسلامية ولكنها لا تدخـل ضمن المجموعة العربية ، اذ انها رغم وحدة الدين الاسلامى فيما بينها وبين بعضها ، وبينها وبين دول المجموعة العربية ، فانها تختلف فيما بينها وبين بعضها كما تختلف فيما بينها وبين دول المجموعة العربية في الانتماء للجنس البشرى وفي اللغة، وهذه الدول الاسلامية هى :

١ ـ جمهورية البانيا : دولة اوروبية تقع في البلقان ويمثل المسلمون فيها ٧٢٪ من عـدد السـكان البـالغ حوالى ٣ مليون نسـمة
٢ ـ الجمهورية التركية : وهى دولة أسيوية أوروبية وعدد سـكانها حوالى ٤٠ مليون نسمة يدين ٩٩٪ منهم بالاسلام .
٣ ـ ايـران : دولة أسيوية عدد سكانها حاليا حوالى ٣٧ مليون نسـمة .
٤ ـ افغانستان : دولة أسيوية مغلقة وعدد سكانها حوالى ٢٠ مليون نسـمة .
٥ ـ باكسـتان : وعدد سكانها بعد انفصال بنجلاديش اكثر مـن ٣٠ مليون نسمة كلهم مسلمون .
٦ ـ بنجلاديش : وعدد سكانها يزيد عن ٧٠ مليون نسمة يمثـل المسلمون فيهم اكثر من ٨٥٪ .
٧ ـ كشـمير : ليست دولة مستقلة تماما وتقع بين الهند وباكستان وعدد سكانها ٦ مليون نسمة ٨٠٪ منهم مسلمون .

٨ ـ اندونيســيا : مجموعة جزر عدد سكانها ١٣٠ مليون نسمة .

٩ ـ جزر الملديف : وهى ارخبيل من الجزر بالمحيط الهندى معظم سكانها البالغ ١/٤ مليون نسمة مسلمون .

١٠ ـ اتحاد ماليزيا : (يتكون من شبه جزيرة الملايو + اقليم صباح + اقليم سرواك) وعدد السكان ١٤ مليون نســمة منهم ٥٦٪ مســلمون .

١١ نيجيريا : دولة افريقية عدد سكانها ٦٨ر٤٥ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م نسبة المسلمين فيهم النصف تقريبا .

١٢ ـ النيجر : دولة افريقية وعدد سكانها خمسة ملايين نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ كلهم مسلمون .

١٣ ـ غينيا : دولة افريقية عدد سكانها ٤ر٥ مليون نســمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .

١٤ ـ غينيا بيساو : دولة افريقية عدد سكانها ٥٥٤ الف نســمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م بها نســبة مسلمة كبيرة .

١٥ ـ جامبيا : دولة افريقية عدد سكانها ٥٥٧ الف نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م أكثر من نصفــهم مســلمون .

١٦ ـ السنغال : دولة افريقية عدد سكانها اكثر من خمسة ملايــين نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحـدة لعام ١٩٧٨ ٩٠٪ منهم مســلمون .

١٧ ـ مالى : دولة افريقية عدد سكانها ٦ر١٤ مليون نســمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م أكثر من ٦٠٪ منهم مســلمون .

١٨ ـ تشاد : دولة افريقية داخلية عدد سكانها ٤ر٢٨ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .

١٩ ـ فولتا العليا : دولة افريقية عدد سكانها ٦ر٥ مليون نســمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .

٢٠ ـ ساحل العاج : دولة افريقية عدد سكانها ٧ر٢٤ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ويشــكل المسلمون اكبر مجموعة موحدة من السكان .

٢١ ـ الكامـــيرون : دولة أفريقية عدد سكانها ٦٫٧٩ مليون نســمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م نصفهم تقريبـا مســـلمون .
٢٢ ـ توجـــو : دولة أفريقية يبلغ عدد سكانها ٢٫٤٤ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .
٢٣ ـ داهومى (بنين) : دولة أفريقية عدد سكانها ٣٫٣٣ مليـــون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م .
٢٤ ـ سيراليون : دولة أفريقية عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ، اكبر شعوبها تدين بالاســلام .
٢٥ ـ افريقية الوسطى : دولة أفريقية عدد سكانها ١٫٩١ مليـــون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م غالبيتهم مســـلمون .
٢٦ ـ أثيوبيا وأريتريا : دولة أفريقية عدد سكانها ٣٠ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ، ويشـــكل المسلمون ٩٠٪ من سكان زنجبار و ٦٠٪ من سكان تنجانيقا .
٢٧ ـ تنزانيا : دولة أفريقية يبلغ عدد سكانها ١٦٫٩٤ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ، يشـــكل المسلمون ٩٠٪ من سكان زنجبار
٢٨ ـ جزر القمر : ارخبيل من الجزر في المحيط الهندى عدد سكانها ٣٣٠ الف نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م، أكثرهم مســـلمون .

والدارس لاحصائيات السكان في العالم يجد ان المسلمين يبلغ عددهم الان حوالى ٥٠٠ مليون نسمة من بين سكان العالم البالغ عددهم ٢٠٠٠ مليون نسمة ، وعدد المسلمين هذا موزع على قارات العالم ، وقد بدأ مع ظهـور الاسلام وانتشاره خارج الجزيرة العربية مهده الذى ظهر فيه باعتباره دينا عالميـــا لا يختص به العرب وحدهم انما هو دين كافة الناس .

وقد اختلف في تقدير عدد المسلمين في العالم تقديرا دقيقا ، نظـرا لعدم توفر الاحصائيات الرسمية الصحيحة اما لتخلف الاقطار التى لـم تهتم بعمـــل احصاء دقيق للسكان فيها ، واما لاسباب سياســية ودينية تدعو الدول الى عدم اذاعة عدد المســـلمين الذين يعيشون على أرضهـا، وما يهمنا هو ان المسلمين اخذ عددهم في الازدياد فقد بـدا القرن التاسع

عشر وفي العالم من المسلمين نحو ثلثمائة مليون ، وانتهى عددهم حوالى اربعمائة مليون موزعين بين آسيا وافريقيا وقليل منهم في أوروبا موزعين في شبه جزيرة البلقان (البانيا واليونان) الى جانب قبرص والقرم ورودس وبلاد البشناق وبولونيا وشواطىء بحر البلطيق في لتوانيا وفنلندا وما جاورها (١) .

وعدد المسلمين في كل قارة غير معروف على وجه الدقة وان كان مكان تواجدهم معروف تماما ، ففى آسيا يوجد مسلمون خارج الاقطار الاسلامية ــ واعنى بها الاقطار العربية وتركيا وايران وافغانستان وباكستان وبنجلاديش واندونيسيا وماليزيا ــ يعيشون في كل من الاتحاد السوفيتى وفي الصين والهند والفلبين واليابان وكوريا وبلاد التبت ، وقد يكون المسلمون اقل من غيرهم في بعض هذه البلاد ، الا ان هذه الاقلية في نمو مستمر (٢) .

وفي افريقيا وجد مسلمون في غير البلاد العربية والاسلامية ــ واعنى بها الاقطار العربية وغينيا ومالى والسنغال والنيجر والكاميرون وجزر القمر ــ يعيشون في كل من تشاد والشواطىء الغربية (سيراليون وجامبيا وفولتا العليا وداهومى وساحل العاج وغينيا بيساو وغيرها) الى جانب تنزانيا ومدغشقر وموزمبيق والحبشة واوغندة وكينيا وافريقيا الجنوبية (٣) . ويذكر المبشرون ان كثيرا من القبائل النصرانية التى في شمال الحبشة دخلت في الاسلام وان كانت اسماء افرادها لا تزال كما كانت من قبل ، والمبشرون المنتشرون على ضفتى النيل وشرقى افريقيا وبلاد النيجر والكنغو يرفعون اصواتهم بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة في هذه الانحاء (٤) .

فاذا اضفنا المسلمين الذين يعيشون على الارض الامريكية ــ سواء في امريكا الشمالية او دول امريكا الوسطى او دول امريكا الجنوبية ــ لتبين لنا ان الاسلام ارتفعت اعلامه على اركان الدنيا ، وصار المسلمون

---

(١) عباس محمود العقاد : الاسلام في القرن العشرين ص ٥٥ .

(٢) شاتليه (مترجم) : الغارة على العالم الاسلامى ص١٥٠ .

(٣) عباس العقاد : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٤) شاتليه : المرجع السابق ص ١٥٠ .

يعيشون في كل قارات العالم القديم والجديد معا ، ولا يقلل من فاعليتهم تخلفهم عن الاوروبيين في الاخذ بأسباب الحضارة الحديثة ، ولذلك فعند المقارنة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب المتقدمة يجب الا يقال عنهم أنهم تقهقروا منتكسين الى الزمن القديم وانما يقال انهم وقفوا حيث تقدم غيرهم مع العلم الحديث (٥) .

وفي الصفحات التالية استعراض للاقليات الاسلامية في أنحاء العالم ، وبصفة خاصة في الكتل السياسية كالاتحاد السوفيتى والصين واوروبا وامريكا وافريقيا ، لتكون امامنا صورة ولو محدودة عن ظروفهم في ظل حكومات غير اسلامية .

(١٥٠) عباس العقاد : المرجع السابق ص ٥٧ .

الفصـــل الخامس

الأقليات الإسلامية فى العالم

- المسلمون في الاتحاد السوفيتى .
- المسلمون في الشرق الاقصي (الصين واليابان) .
- المســــلمون في أفريقيــــا .
- المســــلمون في أوربا .
- المســــلمون في أمريكا .

المسلمون فى الاتحاد السوفيتى

يمكن التأريخ للوجود الاسلامى في الاتحاد السوفيتى منذ الفتح الاسلامى لوسط آسيا في أيام الخلفاء الراشدين ــ عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان بصفة خاصة ــ وأيام الخلفاء الامويين وأيام الخلفاء العباسيين، حيث انتشر الاسلام في تلك المناطق التى سميت باسم بلاد ما وراء النهر والمقصود هنا نهر جيحون الذى يصب في بحر آرال الذى يعرف أيضا باسم نهر خوارزم ، وهذه المناطق تضم الى جانب خراسان ــ التى تتبع حاليا كلا من ايران وافغانستان كما يخضع جزء منها للاتحاد السوفيتى ــ ست مناطق هى « فرغانة » وقصبتها « اخسكيت » ، و « اسبيجاب » ومركزها « اسبيجاب » أيضا ، و « الشاش » وهى في الاغلب اسم مدينة « طاشقند » وقصبتها « نبكث » أو « طاشقند » ، و « أشروسنة » وقصبتها « بنجكث » ، و « الصغد » وقصبتها « سمرقند » ، و « بخارى » وقصبتها « بخارى » (٦) .

وهذه المناطق عرفت باسم « تركستان » وقد ظهرت فيها مراكز حضارية اسلامية وذلك خلال عهد الخلافة العباسية ، حيث ظهرت مدينة « مرو » عاصمة خراسان ومركز الدولة الطاهرية ، ومدينة « غزنة » وكانت مركزا للدولة الغزنوية وتقع في بلاد الافغان جنوب كابل ، ومدينة « بخارى » وكانت مركزا للدولة السامانية ، ومدينة « سمرقند » عاصمة بلاد الصغد وحاضرة تيمورلنك ، وقد نبغ من علماء هذه المناطق كل من الامام البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ والامام مسلم المتوفى عام ٢٦١ هـ ، « والترمذى » المتوفى عام ٢٧٩ هـ « والنسائى » المتوفى عام ٣٠٣ هـ ، والبيهقى المتوفى عام ٥٦٥ هـ وكل هؤلاء من ائمة الحديث الى جانب « الطبرى » المتوفى عام ٣١٠ هـ المؤرخ والمفسر الذى عاش في بخارى في القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وابى دلف مسعد بن المهلهل الخزرجى الذى اشتهر كرحالة وجغرافى وشاعر (٧) ، « والخوارزمى » المتوفى عام ٤٢٨ هـ المؤرخ والشاعر ، وابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ الطبيب الفيلسوف ، والغزالى صاحب كتاب احياء علوم الدين والمتوفى في عام

---

(٦) محمود شاكر : تركستان ص ٢٦ .

(٧) د . محمد منير مرسي : أبو دلف ورسالته الثانية ، مجلة الخليج الجديد عدد ٤٤ أكتوبر ١٩٧٩ م .

٥٠٥هـ والزمخشري المتوفى عام ٥٣٨ هـ وهو من ائمة التفسير . واكثر اشراف تلك المناطق يدعــون انهم من اصل عربى وان آباءهم قدموا مع مسلمة بن عبد الملك ، وهم يفتخرون بذلك (٨) .

وقد ظلت تلك المناطق خاضعة للـدويلات الاسلامية بالمشرق حتى اجتاحها « جنكيزخان » اوائل القرن الثالث عشر الميلادى الموافق للقرن السابع الهجرى ، وقد وصل في زحفه الى بغداد فخربها ثم الى الشام فهزمه سلاطين المماليك في مصر في موقعة عين جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠ م/٦٥٨هـ، ومنذ ذلك الوقت تجزات دولة المغول الكبرى حتى ورثها التتار على يد تيمورلنك (٩) الذى مد سلطته حتى روسيا وحرص على اقامة الشعائر الاسلامية حتى مات عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، ومن ثم تفككت امبراطورية التتار الاسلامية لتظهر دولة روسيا المستقلة وعاصمتها موسكو عام ١٤٨٠ التى اخذت تنتقم من المسلمين في كل بقعة تتوسع فيها ، فعلى سبيل المثال فقد طرد الروس من مدينة « كازان » التى إستولوا عليها عام ١٥٥٢ م جميع اهلها المســلمين رذلك ليحلوا مكانهم ابناء جلدتهم من الـروس ، ولكن اثناء نزوح هؤلاء المسلمين انتشر الاسلام على ايديهم طول الطريق التى سلكوها ، وبين جميع القبائل التى جاوروها (١٠) .

اخذ الروس يتوسعون على حساب الملوك والخانات المجاورين لهم وكانوا يضطهدون المسلمين في كل بلد يجدونهم فيها ، ففى عام ١٥٨٠ م استولى الروس على مدينة «سيبير» (١١)عاصمة التتار ، وفي عام ١٧٢٢ م استولى بطرس الاكبر قيصر روسيا على « الدربند » (١٢) وسائر سواحل بحر قزوين الغربية ، وفشل شاهات ايـران في ازاحة الروس من هـذه المناطق ، حتى انتهى الامر عام ١٨١٣م بتنازل الايرانيين عن كل ادعاء لهم في هذه المناطق (١٣) .

---

(٨) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى ص ١٨٨ .
(٩) تيمورلنك تعنى تيمور الاعرج .
(١٠) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٣٨ — ٣٩ .
(١١) اطلق الروس اسم سيبيريا على كل البلاد التى تقع الى الشرق من جبال الاورال وهى مشتقة من اسم عاصمة التتار .
(١٢) الدربند منطقة تقع بالقرب من بحر قزوين في آسيا الوسطى .
(١٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٩ .

سارت روسيا في التوسع على حساب امبراطورية التتار الاسلامية فاستولت ايضا على منطقة «القرم» عام ١٧٧٧ م ، واقليم « جورجيا » عام ١٨٠١ م ، ومنطقة القوقاز او « قفقاسيا » عام ١٨٦٤ م والتى عرفها العرب باسم « القبق » والتى تشمل جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية وتنحصر بين بحرى قزوين والبحر الاسود والتى دخلها الاسلام منذ عهد الخلفاء الامويين حتى اخذها جنكيزخان بعد ان بلغت عدد سنوات حكم العرب لها حسب رأى البعض ٤٦٣ سنة ، ونتيجة لبطش«جنكيزخان» « وتيمورلنك » بأهل القوقاز هرب كثير منهم الى مصر والعراق حيث قامت دول المماليك الجراكسة .

وحاول اهل البلاد المقاومة امام الغزو الروسي للقوقاز ، وظهر زعماء مسلمون تصدوا لقيادة المقاومة من اشهرهم الشيخ شامل الذى كان عالما مسلما فهم الاسلام دولة فكان رئيسا للحكومة ، وفهمه سياسة فاستطاع أن يغتنم الفرص المناسبة ، ويعتمد على مؤيديه في مناطق نفوذ اعدائه ، وفهمه اصلاحا فأسس المحاكم واقام العدل ، وفهمه قوة فأوجد المصانع الحربية (١٤) . وقد نجح الشيخ شامل خلال الفترة من ١٨٤٣ الى ١٨٥٩م في التصدى للروس في القوقاز حيث اتخذ من بلاد الطاجستان مركزا لعملياته الحربية حتى تمكنت روسيا من البلاد واستسلم الشيخ شامل في ٦ سبتمبر ١٨٥٩ م (١٥) ، وحتى ذلك الحين عاشت اللغة العربية في القوقاز حياة كاملة لافى الكتابة فقط بل وفي الحديث ايضا ، بل ان قوة تيار التراث العربى القديم في القوقاز استطاعت ان تحمل حتى ايامنا اللغة العربية الفصحى التى لا تستخدم في التخاطب العام في موطنها في البلاد العربية (١٦) .

وهكذا نجحت روسيا القيصرية في السيطرة على اقاليم وسط آسيا التى انتشر بها الاسلام واللغة العربية ، وعمل الروس على ابقاء المجموعات الاسلامية في تلك المناطق غير موحدة دينيا ولا سياسيا ، فكان القيصر يعين مفتى روسيا الداخلية ومفتى القرم (المناطق الغربية) ولم يكن لآسيا الوسطى مفتى واحد وانما عدد من المفتيين ، اما على الصعيد السياسي فكان المسلمون يشكلون جزءا من روسيا كسائر شعوب الامبراطورية وكانوا

---

(١٤) محمود شاكر : قفقاسيا ص ٢٦ .

(١٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩١ .

(١٦) كراتشكوفسكى تعريب د. محمد منير مرسي : مع المخطوطات العربية ـ المراقب الملازم لشامل في كالوجا ص ١٨٩ ـ ١٩٧ .

خاضعين لانظمتها الا في المحميات (امارة بخارى وخانيه خيوة) ، وكان مسلمو تركستان ومركزها طاشقند والسهوب يخضعون للحكام العامين، اما سكان القفقاس (القوقاز) فيخضعون لنائب الملك ، وترك القبائل الرحل يخضعون لعاداتهم وتقاليدهم مثل « القيرغيز » و « القوزاق » . وظل الاستعمار الروسى عسكريا في جوهره لم يهتم الا ببناء الحصون والمنشآت العسكرية بينما اهمل المناطق الاسلامية اهمالا لا يعادله اهمال آخر (١٧).

وحيث استطاعت روسيا منذ القرن الثامن عشر استخلاص مناطق آسيا الوسطى من يد اصحابها حتى استوى مركزها هنـاك عام ١٨٨٤ م باستلام «مرو» اليها عن رضا وطيب نفس (١٨) ، فان السياسة اللا اسلامية التى اتبعها الروس في حكم المسلمين كانت من الاسباب التى دعت الى تزمر المسلمين من ناحيـة وتهيئهم للثـورة على الحكم الروسي كما دعت في نفس الوقت الى التمسك اكثر بالدين الاسلامى ، وان كانت القيود التى وضعتها الادارة الروسية على المسلمين قد اوقفت نشاطهم في نشر الدين الاسلامى بين غير المسلمين .

وعندما قامت الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ تفاءل المسلمون الخاضعون للسيطرة الروسية خاصة عندما عرضت الحكومة الشـيوعية في موسكو على الشـعوب التى خضعت للقياصرة بحد السيف الاختيـار بين البقاء تحت ادارة الحكم الجديد او الاستقلال ، وكان اهـالى بـلاد القوقاز اجمعين ممن اعلنوا استقلالهم التام فتألفت جمهورية في كرجستان (بلاد الكرج او جورجيا) ، واخرى في الطاجستان ، والثالثة في اذربيجان ، والرابعة في اريفان الارمينية ، واوفدت كل من الجمهوريات الاربع وفودها الى الآستانة لمفاوضة الاتراك والالمان في الاعتراف بهـذه الجمهوريات الاربع ، وصار الحديث في ارتباطها بعضها ببعض بشكل حلفى (١٩) . ولكن هزيمة الاتراك والالمان في الحرب العالمية الاولى واحتـلال الانجليز للقوقاز قـد اوقف مشروعات جمهوريات القوقاز الاسلامية ، حتى اذا استعاد الروس القوقاز قبضوا بيد من حديد على هذه الجمهوريات وقضوا بشـدة على الثوار الوطنيين فيها .

وفي تركستان قامت ثورة ضد الحكم الروسي منذ عام ١٩١٩ ، وقد قام

---

(١٧) محمود شاكر : تركستان ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(١٨) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦٧٠ .

(١٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق حـ ٢ ص ١٩١ .

بدور فيها القائد التركى المعروف انور باشا والذى عمل وزيرا للحربية في حكومة الاتحاديين ثم ترك تركيا عقب اعلان الهدنة وقاد ثورة تركستان حيث استشهد عام ١٩٢٢ م بعد كفاح دام احد عشر شهرا كاملا (٢٠) . وبعد ان هاجم عساكر البلاشفة في مواطن عديدة وظفر بهم ، وغنم منهم مدافع واعتادا حربية ، ونشرت الجرائد الاوروبية اخبار غزواته وفتوحاته ، وفرح بها احبابه والمسلمون جميعا (٢١) .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية حاولت حكومة الاتحاد السوفيتى استرضاء المسلمين الخاضعين لها فسمحت بأنشاء مراكز اسلامية ، ولكن ما كادت الحرب تنتهى حتى عادت الحكومة السوفيتية الى اتباع اسلوب القسوة والاضطهاد بل والابادة مع المسلمين خاصة انها نقمت انضمام كثير من المسلمين المضطهدين الى الالمان اثناء معارك الحرب العالمية ضد الروس ، ونتج عن هذا الاسلوب القضاء على مظاهر الايمان عند المسلمين بمعنى عدم الجهر به خوفا وتقية ، ولكنه لم يستطع ان يمس حقيقة الايمان في نفوس المسلمين الذين قاوموا الالحاد .

ان تسعة اعشار المسلمين الذين يعيشون في الاتحاد السوفيتى انما هم من الاتراك ، كما ان معظم هؤلاء المسلمين انما هم من اتباع السنة، كما يعيش حوالى ثلاثة ملايين من الشيعة اغلبهم في جمهورية طاكجستان ، كما يوجد مائة الف اسماعيلى في هضبة البامير وهم من اتباع اغا خان ولهم اتصال بالهند (٢٢) . وقد عمدت الحكومة السوفيتية الى تقسيم المسلمين وذلك لتجزئتهم ، وهم يعيشون الآن في :

١ - جمهورية كازاجستان وهى جمهورية اسلامية وعدد سكانها ١٢ مليون نسمة وعاصمتها مدينة « الما اضا » اى بلد التفاح .

٢ - جمهورية اوزبكستان وعدد سكانها ثمانية ملايين نسمة وقد شملت كلا من جمهورية « كاراكالباكيا » وجزء من امارة بخارى ، وقسما

---

(٢٠) محمود شاكر : تركستان ص ٥٣ .
(٢١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق حـ ٤ ص ٣٧٢ .
(٢٢) محمود شاكر : تركستان ص ٦٩ .

من خانية خوارزم ومناطق اخرى وعاصمتها مدينة « طاشقند » واهم مدنها « سمرقند » و « خيوة » و « وبخارى » .

٣ ـ جمهورية تركمانستان وعدد سكانها لا يتجاوز المليون والنصف فقط رغم اتساع مساحتها وعاصمتها مدينة « عشق اباد » وتقع جنوب البلاد بالقرب من حدود ايران .

٤ ـ جمهورية « قيرغيزيا » وعدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة ، ولكن نتيجة لسياسة الاتحاد السوفيتى المناهضة للوطنيين تناقص العدد وزاد عدد الوافدين من الروس والعاصمة « فرونزى » نسبة الى القائد الروسي ميخائيل فرونزى ، مما يدل على سيطرة الروس على القيرغيز .

٥ ـ جمهورية طادجكستان : ويبلغ عدد سكانها ما يقرب من المليونين وهم من اصل ايرانى ومركز ها مدينة « ستالين اباد » .

٦ ـ جمهورية باشكيريا : وتقع في السفوح الغربية لجبال اورال سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة وعاصمتها مدينة « اوفا » التى ظلت حتى القرن الحالى مركزا اسلاميا كبيرا .

٧ ـ جمهورية تاتاريا وتشترك مع جمهورية باشكيريا في حدودها الشرقية ، وعاصمها مدينة كازان التى اشتهرت بوجود عدد كبير من المساجد مما يدل على وجود عدد كبير من المسلمين .

٨ ـ شبه جزيرة القرم التى قامت بها دولة اسلامية عقب الحرب العالمية الاولى ولكن الشيوعيين في موسكو قضوا على هذا الاستقلال وسيطروا على هذه البلاد حتى الان وحاربو الوجود الاسلامى .

وهذه الجمهوريات السبع الى جانب القرم مناطق اسلامية وكلها تعرف بتركستان الروسية في الوقت الذى توجد فيه تركستان الصينية ، كما توجد جمهوريات واقاليم اسلامية اخرى في منطقة القوقاز تخضع لسيطرة روسيا الماركسية ، وهى على النحو التالى :

أولا : جمهوريات ذات استقلال وتدخل في اتحاد فيدرالى مع موسكو (٢٣) وهى :

١ – جمهورية ارمينيا ، وتقع في الجزء الجنوبى من القوقاز على حدود تركيا وايران ، ويزيد عدد سكانها عن المليونين ونسبة المسلمين منهم حوالى ١٢٪ .

٢ – جمهورية اذربيجان ، وتقع الى الجنوب الشرقى من القوقاز ، وبها مدينة باكو العاصمة التى تنتج البترول وعدد سكانها حوالى اربعة ملايين ونصف ونسبة المسلمين فيهم ٧٨٪ وكانت اكثر من ذلك قبل دخول الروس الى هذه المنطقة .

٣ – جمهوريا جورجيا : وتشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز ، ويبلغ عدد سكان جورجيا حوالى اربعة ملايين ونصف، نسمة ونسبة المسلمين منهم ١٩٪ ، ويعرفون باسم الكرج والعاصمة مدينة « تفليس » . وتضم أقساما ادارية هى « جورجيا » و « انجازيا » و « آجاريا » .

ثانيا : جمهوريات ذات حكم ذاتى وتشمل (٢٤) .

١ – جمهورية « كبارديا بلكاريا » وكل سكانها مسلمون وهم من العناصر الشركسية .

٢ – جمهورية « أوستينا الشمالية » وبعض السكان يعتنقون المسيحية والبعض الاخر مسلمون .

٣ – جمهورية « شاشان انغوشيا » وسكانها يدعون انهم من اصل عربى ، ويبلغ عددهم ما يقارب المليون يتمسكون بالاسلام .

٤ – جمهورية انجازيا : وتقع شمال غربى جورجيا على ساحل البحر الاسود وعاصمتها مدينة « سوخوم » وبعض سكانها مسلمون والبعض الاخر مسيحيون خاصة الذين يقيمون على الساحل .

---

(٢٣) محمود شاكر : قفقاسيا ص ٤٦ .
(٢٤) محمود شاكر : نفس المرجع ص ٤٧ وما بعدها .

٥ ـ جمهورية آجاريا : وتقع على ساحل البحر الاســـود أيضا بين « جورجيا » و « تركيا » وعاصمتها مدينة « باطوم » وهى مدينة بترولية تصدر بترول « باكو » .

٦ ـ جمهورية داغستان وتقع بين جبال القوقاز وبحر قزوين وعدد سكانها حوالى مليون ونصف وكلهم من المسلمين على اختلاف أجناسهم فيما عدا الروس الوافدين الى البـــلاد والعاصمة مدينة « محج قلعة » التى تعرف اليوم باسم « ماخاتشكالا » .

٧ ـ جمهورية ناختيشيفيان ، وهى من الجمهوريات الواقعـة الى الجنوب من ارمينيا على الحدود الايرانية ، ومن ثم فسكانها من اصل ايرانى ويتمسكون بالاسلام .

ثالثا : مقاطعات ذات حكم ذاتى وهى :

١ ـ كراتشاى الشركسية : وهى مقاطعة ذات حكم ذاتى وتابعـــة لاقليم « ستافروبول » وسكانها من المغول وكلهم مسلمون .

٢ ـ قره باخ الجبلية : وهى تقع في جمهورية أذربيجان في ســـفوح جبال أرمينيا .

٣ ـ اوستينا الجنوبية : والاوست يناسم قبيلة شركسية تقطن القسم الاوسط من جبال القوقاز وتقع الى الجنـــوب من جمهورية أوستينا الشمالية ، وهى تتبع جمهورية جورجيا .

٤ ـ الاديغة : وتقع عند ساحل البحر الاسود الشرقى وأهم مدنها ميناء سوخى .

وهذه التقسيمات للبلاد التى يسكنها مسلمون في الاتحاد السوفييتى له مخططاته التى تتفق مع نظرة الماركسية الى الاسلام والى كل دين باعتباره مخدر الشـــعوب كما يقولون ، ومن ثم جاءت هذه التقسيمات لكى تحارب الوجـــود الاسلامى بين المسلمين وفي نفوسهم . ورغم وجود تشـكيلات دينية ومفتى أعظم في تركستان مركزه طاشقند ، ورغم وجود مفتى اعظم لمسلمى القوقاز . ومفتى لمسلمى القرم (٢٥) ، فأن المسلمين في الاتحـــاد

(٢٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ٢ ص ٢٨٨ .

السوفييتى يلقون العنت والاضطهاد ، ويتعرض الشباب المسلم لتأثيرات معادية للاســـلام حتى يخشي على الاسلام بعد انتقال الجـــيل المعاصر المسلم الى الرفيق الاعلى .

وسعت الحكومة السوفيتيية ايضا ــ مع ســـعيها لمحاربة الدين الاسلامى ــ الى فرض اللغة الروسية على أطفال مدارس تركستان (٢٦) اى على المسلمين الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية ، واقناع هؤلاء المسلمين بأن مصلحتهم في الخضوع للسياسة السوفييتية اذا ارادوا التقدم ونزع صفة التخلف عنهم ، وادراك ان الدين هو الذى يحول بينهم وبين الاخذ بأسباب التقدم في مختلف نواحى الحياة . وعليه فعلى المسلمين في كل انحاء العـالم وضع الخطط لمساعدة مسلمى الاتحاد السوفيتى على الاستمرار في التمسك بالاسلام دينا ومواجهة حركة الالحاد التى تشيعها الحكومة السوفييتية بينهم هذا مع العلم بأن الحكومة السوفييتية تفرض ستارا حديديا على المسلمين هناك وتمنعهم من الخروج خارج حدودها ، واذا قـــدر لبعضهم الخروج لاداء فريضـــة الحج منعوا من التحدث عن أحوالهم هناك أو عن السياسة السوفييتية نحوهم .

والى جانب مسلمى وسط آسيا الخاضعين للاتحاد السوفييتى ، توجد جماعات اسلامية في عدة جمهوريات اوروبية داخلة ضمن الاتحـــاد السوفيتى ، وهذه الجمهوريات هى :

١ ــ جمهورية « كاريليا » الفنلندية وعاصمتها « تبروزا فودسك » ، وقد الحقت بجمهورية روسيا الاتحادية .

٢ ــ جمهورية « استونيا » وعاصمتها « تالين » .

٣ ــ جمهورية « لاتفيا » وعاصمتها « ريغا » .

٤ ــ جمهورية « ليتوانيا » وعاصمتها « فنليس » .

وهذه الجمهوريات الاربع تقع على بحر البلطيق .

٥ ــ جمهورية « مولدافيا » وكانت تسمى « البغـــدان » وتقع على

---

(٢٦) محمود شاكر : تركستان ص ١١٧ .

ساحل البحر الاسود الغربى وعاصمتها « كيشينيف » .

٦ ـ جمهورية « اوكرانيا » وعاصمتها « كييف » وهى منطقة روسية .
٧ ـ جمهورية « روسيا البيضاء » وعاصمتها « منسك » وهى منطقة روسية (٢٧) .

وبذلك يصبح عدد جمهوريات الاتحاد السوفييتى ١٥ جمهورية تكون الاتحاد قلبها جمهورية روسيا الاتحادية ومركزها مدينة « موسكو » ، وتشمل كل المناطق الباقية في الاتحاد السوفييتى في آسيا واوروبا وتمتد من البحر الاسود حتى المحيط الهادى ، ومن اواسط آسيا حتى البحر المتجمد الشمالى . وجناحها الاسيوى يضم ٣ جمهوريات في تركستان و ٥ جمهوريات في القوقاز ، و ٦ جمهوريات في الجناح الاوروبى الى جانب القلب الذى فيه العاصمة مسكو . واذا كان مسلمو الجناح الاسيوى يتكلمون اللغة العربية او التركية ، فان مسلمى الجناح الاوروبى لا يتكلمون بهاتين اللغتين وانما يتكلمون بالليتوانية والروسية ومن ثم يجب عمل منح دراسية لطلاب العلم من ابناء هؤلاء المسلمين حيث يؤخذون الى مصر لاجل تعليمهم أصول اللغة العربية والدين الاسلامى الحنيف (٢٨) .

ومما تجب ملاحظته ان المسلمين يعيشون اليوم وراء حدود الستار الحديدى عيشة لا نعرف عنها شيئا بل لا يعرف احد عنهم خبرا ، ولا يعرفون هم عنا شيئا حيث انقطعت اخبارهم عن العالم الخارجى ، وقطعت اخبار العالم عنهم منذ اصبحوا يرزحون تحت وطأة الحكم الشيوعى ، وليست حياة السكان هى التى نجهلها فقط بل حتى الارض التى يقطنون عليها اصبحت دراستها مهملة منذ اصبحت ملحقة بالارض الروسية رغم ان هذه المنطقة قد ارتبطت حقبة من التاريخ ليست قصيرة بالارض العربية (٢٩) . ورغم أن مسلمى الاتحاد السوفيتى يعتبرون البلاد العربية بلاد النور ما دام الاسلام فيها نشأ ومنها خرج ويعتبرون العرب المثل الاعلى في الكمال والعلم والخلق والفضيلة ، وأن الاسلام في البلاد العربية هو الحاكم فيها لا المحكوم عليه (٣٠) .

---

(٢٧) محمود شاكر : المرجع السابق ص ١٠٨ .
(٢٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٨٨ .
(٢٩) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٦٦ .
(٣٠) محمود شاكر : قفقاسيا ص ٨٤ .

المســـلمون في الصين

ينتشر المسلمون في كل مقاطعات الصين وان كانت نسـبتهم تختلف بين مقاطعة وأخرى ، ويرجع هذا الاختلاف الى الطرق التى دخل بها الاسلام وانتشر في الصين والى سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة نحو رغبـــه المسلمين في اقامة حكومة اسلامية تجمعهم تحت ظلها . وقد دخل الاسلام الى الصين منذ أيام الاسلام الاولى خاصـــة في عهد الخلفاء الراشدين . وان اول وافد من الدولة الاســلامية الى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١ م في عهـــد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه . ثم ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس متعاقبين الى الصين في عهد الخلفــاء الراشـــدين أيضا (٣١) .

وكان للتجار المسلمين دور كبير في انتشار الاسلام بالصين ، فالتجار الذين نزلوا بالمناطق الساحلية وخاصة في المراكز الكبرى مثل « كانتون » و « شانفهاى » ومـــدن « شانتونج » حملوا معهم الدعوة الاســـلامية والتجار الذين دخلوا الى الاجزاء الغربية من الصين بطريق البر عبر وسط آسيا قاموا هم أيضا بدور هام في هذا السبيل وتنقلوا في فيافى الصين ولم يقتصروا على جهـــة واحدة وانما في جميع الجهات ، فكان انتشار الاسلام يماشي ســـير الدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومـــدة اقامتهم ومدى ايمانهم وعمق فكرتهم (٣٢) . ودخل الاسلام الى شـــمال الصين بواسطة الترك في عهد جنكيزخان وخلفائه ، حيث لم يعبأ جنكيزخان بالدين وكان يجمع حوله من جميع الملل ودخل في جنده كثير من التـــرك والافغان والباتان والفرس ، وكل هؤلاء مسلمون فنشروا الاســـــلام في الصـــين (٣٣) .

وحتى اليوم نجد أن المسلمين يكثرون في مقاطعات « كانســـو » و « يونان » و « هونان » و « شانتونج » و « هابى » ، اضافة الى تركستان التى معظم ســـكانها من المسلمين (٣٤) ، وقد انتشر الاسلام في الصـــين انتشارا سريعا وسهلا نتيجة توفر عدة عوامل هى :

---

(٣١) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٨٨
(٣٢) محمود شاكر : تركستان الصينية ص ٥٢ .
(٣٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق حـ ١ ص ٢٧١
(٣٤) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٦ .

١ ـ تجارة المسلمين وهى سبب دخول الاسلام في الصين الاصلية في عهد اسرة «تان» (٦١٨ـ٩٠٥ م) ، وازدهار الاسلام في عهداسرة « ســــون » (٩٦٠ ـ ١٢٧٦ م) وأسرة « مين « (١٣٦٨ ـ ١٦٤٣ م) .

٢ ـ الفتوح الاســـلامية وهى سبب اسلام سكان مقاطعة سنكيانج او التركستان الصينية في عهد أسرتى « سون » و « مين » ، فضلا عن انها كانت سببا في اسلام التركستان الروســـية في عهد اسرة « تان » .

٣ ـ تناسل المسلمين ، وهو سبب ازدهار الاسلام وازدياد المسلمين في الصين الاصلية بعد أسرة « يـــون » (١٢٧٧ ـ ١٣٦٧ م) وأسرة « مين » التى تلتها .

٤ ـ اختلاط الكافرين ـ الوثنيين ـ بالمسلمين وتأثرهم بآدابهم وهو سبب آخر لاسلام ابناء التتار في التركســـتان الصـينية والروســـية (٣٥) .

٥ ـ شراء المسلمين لاولاد الصينيين الوثنيين ويربونهم على الاسلام فيصيروا متمسكين بالدين الاسلامى ، ومما يدل على ذلك انه في ثورة البوكر التى جرت عام ١٩٠٠ م والتى قتل فيها الوف من المسيحيين ، ونهبت أموالهم ، وبيعت نساؤهم . فاشـــترى مسلمو نينغ هسيا عددا كبيرا منهم ، وبعدها صـــار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض اغلبهم الردة بعد أن عرفوا الاسلام وذاقوا حلاوة الايمان .

٦ ـ لجوء مسلمى الصين الى الزواج بالصينيات الوثنيات ، وهـم يرغبون من ذلك نشر الاســـلام فلعل الله يشرح صـــدور زوجاتهم للاســـلام (٣٦) .

ويبلغ نسبة عدد المسلمين في الصين الى عدد سكان الصين حوالى

---

(٣٥) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٧٤ .
(٣٦) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٦ ـ ٥٧

$\frac{1}{8}$ على اكثر المصـــادر دقة ، فاذا كان عدد سكان الصـــين ٨٠٠ مليـــون نسمة الان فاننا يمكن ان نذكر دون مبالغة ان عدد المسلمين في الصـــين مائة مليون ، يتكلمون اللغات الصينية والتركية والفارسية والعربيـــة بالترتيب وحسب المناطق التى يعيشون فيها ، ومعظم الكتب الدينيـــة تكتب باللغتين العربية والفارسية ، ويعمل المسلمون هناك بالتجارة والزراعة، وهم غير مكروهين من قبل بقية الطوائف الصينية ، وذلك لعدم نقدهم مبادىء الفيلسوف « كنفوشيوس » ولعدم اذاعة الدعوة الاسلامية اى عدم التبشير بها ، ومن ثم كان مسلمو الصين وطنيون بكل معنى الكلمة وهم اهل نجـدة وشجاعة وهم رجال حرب وقتال وكثير منهم جنود في الجيش وفيهم قواد، وفيهم علمـــاء وان لم تكن لهم رئاسة دينية وانما تقوم الجمعيات المحلية بالاشراف على التقاليد الاسلامية (٣٧) .

ورغم استمرار انتشار الاسلام وحسن العلاقة بين المسلمين وغـير المسلمين في الصين ، الا انه عندما سيطرت الاسرة « المانشورية » على الحكم في الصـــين خـلال ثلاثـة قـــرون (١٦٤٤ – ١٩١١ م) اضطهـــدت هذه الاسرة المسلمين وسامتهم ســـوء العذاب فصادرت أملاكهم ، واخذت اموالهم ، وانتهكت حرماتهم ، مما جعل الثورات تندلع في كل مكان من قبل المســـلمين (٣٨) . والتى بدأت عام ١٨٥٦ م في بلاد « يونان » بسبب عمال من المسلمين والوثنيين يعملون في أحد المعادن فأسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغه فاستنفروا اليهم الوثنيين قاطبـــة ، وتكررت الوقائع وصـــمد الفريقان بعضهم لبعض ، فلجأت الحكومة الى الحيلة والدسائس وجاذبت زعماء المسلمين حبال الرشـــوة بالاموال والاعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم ومن ثم ينتقم منهم الصينيون شر انتقام (٣٩)

---

(٣٧) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٨٤ – ٢٨٥ . ويحب المسلمون أن يقال لهم لفظة « باى شان » اى أصحاب العمائم البيض .
(٣٨) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٩٠ .
(٣٩) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٢٨ .

وعندما قامت الثـــورة الشيوعية فى الصين عام ١٩٤٩ م ، واعلنت جمهورية الصين الشعبية ـ التى انهت حكم جمهورية الصين الذى امتـد من عام ١٩١١ م كبداية للحكم الجمهورى ـ اعلنت حكومة بكين ان تركستان الصينية (الشرقية) دولة تتمتع باســتقلال ذاتى ، واصبح الســيد سيف الدين هو رئيس الدولة وذلك عام ١٩٥٣ م ، وعرفت هذه البـلاد منذ تلك الفترة باسم « سينكيانج » ووصلت مع الصين بخط حديدى عام ١٩٥٨ م (٤٠) .

وتضم الصين المقاطعات التاليـــة :

١ ـ ولاية « كانســـو » وتتألف من هضبة التبت العالية وتقـــع على السفوح الشرقية لجبال نان شان ، وبها سور الصـــين العظيم ، وعدد سكانها من المسلمين حوالى ٧ ملايين ، ومركز المقاطعة مدينة « لان تشـــو » .

٢ ـ مقاطعة «نينج هسيا » واكثر سكانها من المسلمين وهى في الاصل جزء من « كانسو » ومركزها مدينة « نينج هسيا » .

٣ ـ مقاطعة « يونان » . وتقع بين منطقة التبت ومقاطعة ستشوان في الشمال وبين دولة بورما من الغـــرب وفيتنام ولاوس من الجنوب ومقاطعتى « كوانج سي » و « كيوتشو » من الشرق وكان ظهور الاســـلام فيها على يد رجل يدعى السيد الاجل في القرن الثالث عشر الميلادى ، ويزيد عدد ســـكانها عن المليون نسمة وعاصمة المقاطعة مدينة « يونان » .

٤ ـ مقاطعة « شنس » : وعاصمتها مدينة « سنفان » وعدد المسلمين فيها يقدر بحوالى المليون .

٥ ـ مقاطعة « شانس » وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٥ الف مسلم .

٦ ـ مقاطعة تشيهلى ، وقد قسمت الى عدة مقاطعات أصغر وعـدد سكانها حوالى المليونين وعاصمتها مدينـة بكين عاصمـــة الجمهورية .

---

(٤٠) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٠ .

٧ ــ مقاطعة « شانتونج » ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٢ر٥٠٠ الف نسمة وهى مقاطعة ساحلية .

٨ ــ مقاطعة منشوريا : وعاصمتها مدينة « شن يانج » وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

٩ ــ مقاطعة « منغوليا الداخلية » : عدد المسلمين فيها قليل وغير معروف على وجه الدقة .

١٠ ــ مقاطعة « ستشوان » : ومركزها مدينة « سونج بان تينج » ويزيد عدد المسلمين عن ربع المليون .

١١ ــ مقاطعة « هونان » : ومركزها مدينة « هوى شينج » وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٢ مقاطعة « هوبة » : ومركزها مدينة « فوشانج » وعدد المسلمين فيها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٣ ــ مقاطعة « آن هوى » : وعاصمتها مدينة « انكينج » وعدد المسلمين فيها حوالى ٥٠ الف مسلم .

١٤ ــ مقاطعة « كيانج سو » : ومركزها مدينة « نانج كينج » وعدد المسلمين فيها حوالى ربع المليون .

١٥ ــ مقاطعة « تشيكيانج » : ومركزها مدينة « هانج تشوفو » وعدد سكانها من المسلمين يقرب من المليون مسلم .

١٦ ــ مقاطعة « كوى شوى » : وبها حوالى عشرة آلاف مسلم .

١٧ ــ مقاطعة « كوانج سي » : ومركزها مدينة « كوى لين » وعدد المسلمين فيها حوالى ٢٠ الف مسلم .

١٨ ــ مقاطعة « كوانج تونج » : وعاصمتها مدينة « كانتون » وعدد المسلمين حوالى ٢٥ ألف مسلم .

١٩ ـ مقاطعة « كيانج سي » : وبها حوالى ثلاثة آلاف مسلم .

٢٠ ـ مقاطعة « فوكيين » : ومركزها مدينة « آموى » وعـــدد المسلمين في المقاطعة عدة آلاف قليلة (٤١) .

وقبل أن نختتم حديثنا عن المسلمين في الصين لنا ســـؤال ما هى احوال المسلمين في الصين وما هو واجب المسلمين في الاقطار الاســـلامية نحوهم ؟ لا شك أن الشيوعية لا تعترف بالدين بـــــل وتحاربه ولا تدين الا بالدنيا ، ولهــــذا لا تجد مجالا للتفرقة بين الناس في غيرها ، فتضيق بغير الشيوعية ولا تقبله في دولتها ، وتفرق بها في الدنيا بين الناس فتثيب في الدنيا من ينتحلها ، وتعاقب فيها من لا يتخذها عقيدة (٤٢) .

وتبعا لسياسة الشيوعية تغيرت عقيدة بعض مسلمى الصـــين تحت تأثير الضغط احيانا والتوجيه احيانا اخرى وخاصة بالنسبة الى النشء الجديد ، وتارة من أجل الوظائف والمناصب ، وتارة بسبب ضعف الايمان حيث يظن بعض الناس ان الارزاق والاعمار بيد الحكام ، ورغم ذلك نجد ان بعض المسلمين تمســـــكوا بعقيدتهم واحتفظوا بدينهم اشد الاحتفاظ وان كانـــوا قد تواروا في عبادتهم عن الانظار ، وابتعدوا في صلواتهم عن العيون، تجنبا لما اتبعه النظام الشـــيوعى من سياسة اقتصادية تقـــــوم على اغتصاب أموال الناس باسم القانون ، وسياسة اجتماعية حطمت الروابط بين الافراد والاسر وخرقت العادات والتقاليــــد الخلقية . وما الى ذلك من سياسات اوجدت رد فعل عند المسلمين فيتطلعون الى قـوة اسـلامية كبرى تمد لهم يد المعـــونة ، وينتظرون دعوات للدين حتى ينضـــووا تحت لوائها ويسيروا في ركبها (٤٣) .

---

(٤١) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٩ ـ ٨٨ .
(٤٢) عبد المتعال الصعيدى : المجددون في الاسلام ص ٥٨٤ .
(٤٣) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٨٩ ـ ٩١ .

المسلمون فى اليابان

دخل الاســـلام الجزر اليابانية عن طريق مواطنين من التركستان الذين فروا امام ضغط واضطهاد الروس الشيوعيين في تركستان ومنشوريا، ويمكن التاريخ لاول مسجد بنى في اليابان الى عام ١٩٣٥ م وقـد الحقت به مكتبة اسلامية يستطيع ان يلجأ اليها من يرغب في المزيد من المعـــارف والمعلومات الصحيحة عن الاسلام والمسلمين .

وقد تزايد عدد المسلمين في اليابان نتيجة عدة عوامل مثـل انضمام بعض الجنود اليابانيين الى الاسلام عقب عودتهم من الحرب في ماليـــزيا واندونيسيا اثناء الحرب العالمية الثانية ، ومثـــل تأثر بعض اليابانيين بالاسلام في تعاملهم مع مسلمين سواء كانوا اساتذة وعلماء أو تجار ، واثناء عمل اليابانيين في بعض البلاد الاسلامية مثل افغانستان وباكستان وغيرها .

ومنذ عام ١٩٥٢ م تم تشـــكيل اتحاد لمسلمى اليابان ، والذى يعد اقـــدم المنظمات الاسلا .ية في اليابان والتى يبلغ عددها الان ١٥ منظمة ، وتقوم هذه المنظمات بانث اء المساجد والمعاهد لتعليم اللغة العربيـــة والدين الاسلامى والاتصال بالاقطار العربية والاسلامية وحضور المؤتمـــرات والندوات الاسلامية التى تعقد هنا وهناك في انحاء العالم الاســـلامى . ويتولى الحاج « عبد الكريم سيتو » الاستاذ بجامعة « تاكو شوكو » وظيفة منسق مجلس المنظمات الاسلامية في اليابان .

ويبلغ عدد المسلمين اليوم في اليابان حوالى ٣٠ الف مســـلم ، وقد كان عددهم قبل عام ١٩٧٣ م قليلا ثم تضاعف بعد هذا التاريخ منذ ازمة البترول حيث شعر اليابانيون بحاجتهم الى التعامل مع الاقطار العربيـــة ، ولكى ينجح هذا التعامل لابد من التقرب من العرب ، ومن ثم دخل الكثيرون في الاســـلام .

كما توجد اقليات اسلامية في الدول الاسيوية التالية : الفلبين ونسبة المسلمين الى عدد السكان ١١٪ وتايلاند ونسبة المسلمين الى عدد الســكان ٤ر٠٪ ، وفي بورما يعيش عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ٧٪ من عـــدد السكان ، وفي الهند تبلغ نسبة المسلمين ١٥٪ من عدد السكان وفي سيريلانكا

نسبة المسلمين تبلغ ٨٪ وفي كوريا يبلغ عدد المسلمين ٣٥٠٠ مسلم ، وفي ارمينية تبلغ نسبة المسلمين ١٢٪ من عدد السكان ، وفي سنغافورة تبلغ نسبة المسلمين ١٧٪ من عدد السكان ، كما تبلغ نسبة المسلمين في فيتنام ٣٪ من عدد السكان ، وفي كمبوديا تبلغ نسبة المسلمين ٢٪ من عدد السكان، وفي لاوس يعيش اربعة آلاف مسلم ، وفي نيبال تبلغ نسبة المسلمين ٣ر٨٪ من عدد السكان ، وفي بوتان تبلغ نسبة المسلمين ٥٪ من عدد السكان، ويوجد في فورموزا ٤٥ الف مسلم ، وفي هونج كونج عشرة آلاف مسلم .

المسلمون في افريقيا

تتناول دراستنا لهذا الموضوع الوجود الاسلامى في الاقطار الافريقية غير الاسلامية للوقوف على احول المسلمين فيها بصفتهم اقليات وسط سكان غير مسلمين لندرك الدور الواجب على الاقطار الاسلامية والمسلمين في كل مكان نحو هذه الاقليات لتدعيمها ماديا وادبيا .

ويعتبر دخول الاسلام في افريقيا من الامور ذات الاثر الكبير في تاريخ القارة ، وهذا لان العرب المسلمين اصحاب الدين الجديد لم يؤمنوا يوما بنظرية تفوق الاجناس او وجود جنس نقى ، بل تزواجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل الافريقية ، وارتحلت القبائل العربية في الصحراء الكبرى ، وربطت بين الافريقيين شمال القارة ووسطها وشرقها وغربها(٤٤)، حتى اصبح عدد المسلمين في القارة الافريقية اليوم يوازى ثلث سكان القارة يسكنون انحاء القارة شمال وجنوب خط الاستواء .

ويمثل الاسلام اليوم في القارة الافريقية قوة كبرى ، ولا تقتصر هذه القوة على القيمة العددية للافارقة المسلمين فقط بل تشمل هذه القوة ايضا النشاط الثقافى والاقتصادى والاجتماعى الذى يمارسه مسلمو افريقيا الى جانب اشتراكهم الحالى في الحركات التحررية لاوطانهم للتخلص من نير الاستعمار الاجنبى بوسائله المختلفة (٤٥) .

وان نظرة الى الاحصائية التى وردت في بعض المصادر عن اعداد الافارقة المسلمين في كل قطر من الاقطار الافريقية يتضح أن الدين

---

(٤٤) د . عبد الملك عودة : السياسة والحكم في أفريقيا ص ٥٨ .
(٤٥) د . رافت الشيخ : افريقيا في العلاقات الدولية ص ١٦ .

الاسلامى في انتشاره بأفريقيا قد اخترق نطاق الغابات في غرب أفريقيا ، كما انتشر على طول الساحل الغربى ودخـــل مع بعض المهاجرين الى الكنغو ، وكذلك الحال في الشرق ، اذ نفذ الاسلام الى جنوب الســودان وهضبة البحيرات ، وتدفق الى قلب الهضبة الحبشية وتخطى ســاحل شرق افريقيا الى المناطق الداخلية : الى كينيا وتنجانيقا ودخل جنــوب أفريقيا مع المهاجرين المسلمين من سكان شبه القارة الهندية (٤٦) .

وقد نفذ الاسلام الى القارة الافريقية عن طريقين رئيسيين هما :

١ ــ طريق البحر الاحمر واثيوبيا والمحيط الهندى .

٢ ــ طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس في مصر (٤٧) .

ومن هذين الطريقين اخذ الاسلام ينتشر في انحـــاء القــارة ، فعن الطريق الاول انتشر الاسلام في شرق ووسط القارة ، بينما عن الطريق الثانى انتشر الاسلام في شمال أفريقيا وغربهــا حيث تدفقت عبــــره الجماعات الاسلامية والقبائل العربية (٤٨) ، وكان الاسلام يأتى مـــع موجات من العرب والمسلمين المحملين بالرسالة من شبه الجزيرة العربية ، وكل موجة تؤدى دورها من حيث نشر الدين الاسلامى واللغة العربيـــة والاختلاط بالافارقة ، وكانت كل موجة تستقر في المكان الذى تنزل به أول الامـــر سرعان ما تتجه الى المناطق المجاورة لها لكى تنشر فيها نــــور الايمان بالاسلام ، ولعل الموجة العربية التى وفدت الى شمال أفريقيـــا كانت انشط الموجات العربية الاسلامية اذ كانت هذه الموجة القادمة من لبيا في اتجاه الجنـــوب الافريقى عبر الصحراء الكبرى قد ساعدت على نشر الدين الاسلامى والتأثير في زنوج غرب أفريقيا تأثيرا اجتماعيا (٤٩) .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة انه عند دخول الدين الاسلامى الى القارة الافريقية ومعه ثقافة العرب تشربها الافارقة الذين اعتنقوا الدين الاسلامى ، وحاولوا التوفيـــق بين عاداتهم وتقاليدهـــــم المتوارثة اى

---

(٤٦) د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ٨ .

(٤٧) —Awad, M. Some aspects of the diffusion of Arab influnces in the Sudan, P.

(٤٨) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون في شرق أفريقيا ص ٧ .

(٤٩) —Bartlett, V. : Struggle for African, P. 14.

ثقافتهم على تواضعها ، وبين الثقافة العربية الاسلامية الحديثة النشطة .
واستمر الاسلام والثقافة العربية على نشاطهما في افريقيا حتى اصبحت بعض الاقطار والمدن الافريقية مراكز اشعاع للحضارة العربية المزدهرة، من امثلتها مصر بعواصمها الاسلامية المتعاقبة : الفسطاط والعسكر والقطائع ثم القاهرة ، والقيروان في تونس وفاس بالمغرب الاقصي ، وفي غرب افريقيا اصبحت مدينة « تنبكت » طول القرن الخامس عشر والسادس عشر من مراكز الثقافة العالمية ، وعلماؤها يبارون علماء المدارس الاسلامية الاخرى في القوة والانتاج ، وامتدت هذه النهضة الى سنار والى هرر ومقديشيو وكيلوا وزنجبار وغيرها من مراكز الإسلام في افريقيا (٥٠) .

وقد ساهمت « الرباطات » التى وجدت في شمال وغرب افريقيا في نشر الدين الاسلامى هناك ، هذه الرباطات عبارة عن ثكنات عسكرية لحراسة الثغور الاسلامية وحمايتها من الروم في البحر المتوسط يوم كان الاسطول العربى الاسلامى لا يقوى على مدافعتهم (٥١) ، ثم تحولت تلك الرباطات لتصبح مراكز متنوعة الوظائف ، بعد استقرار الامر للمسلمين في افريقيا ، حيث اتخذها العلماء مقار يقدمون فيها مختلف الخدمات ، فصار بكل رباط مستشفى للمرضي يعالجهم المرابطون بالمجان، وبه دار للمسافرين بين الامصار الاسلامية ينزل فيه المسافرون للراحة استعدادا لمواصلة السفر ، وبه مدرسة يلقى فيها المرابطون علومهم على الرجال والنساء . وبه معمل لصناعة الحبر والرق والكاغد (الورق) لتوزع على طلاب العلم مجانا ، ودار نسخ المصاحف الشريفة وكتب الحديث والفقه حيث يحبس المؤلفون مؤلفاتهم بخطوط ايديهم على الاربطة لتكون منها النسخة الام التى يرجع الى نصها الصحيح (٥٢).

استمر تأسيس الاربطة ونفاذ ثقافتها الاسلامية واشعاعها على الربوع الافريقية ، واتسعت سلسلة الرباطات من خليج غانة على المحيط الاطلنطى الى البحر الاحمر اى الى مكة المكرمة ، واستمر هذا الحال الى

---

(٥٠) عبد الرحمن عبد الله السعدى : تاريخ السودان ص ٢٨ .
(٥١) د . رافت الشيخ : تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ص ٩٠ .
(٥٢) د . رافت الشيخ : افريقيا في العلاقات الدولية ص ١٩ .

اوائل القـرن الرابع الهجرى فظهر عنـدئذ « ابو بكر الصنهاجى » الذى اشـترك مع يوسف بن تاشفين في تأسيس دولة المرابطين التى قـام بأعمالها السياسية « يوسف بن تاشفين » وقام بأعمالها العلميـة « أبو بكر الصنهاجى » في غانا و « محمد بن ياسين » في موريتانيا ، وبنى لها « يوسف بن تاشفين » جامعة مراكش .

وهكذا بلغت الرباطات ــ الساحلية والصحراوية ــ من التضخـم ما جعلها طريق العلم والحج ووسـيلة ادخال أفريقيا في الاسلام ، وما حولها الى جامعة مراكش وما جعل المرابطين دولة اسلامية كبرى فتحت الانـدلس من جديد ووحدت اقطـار المغرب وادخلت السـودان في الاسـلام (٥٣) . ولكن عندما تحللت دولة المرابطين على يد « الموحدين » فقدت الرباطات دورها وحلت محلها الزوايا الصوفية التى قامت كذلك بدور كبير في نشر الثقافة العربية الاسلامية وفي اعتناق كثير من الوثنيين الافارقة للدين الاسلامى . ولعل أشهر هذه الزوايا ما ارتبط بالدعـوة السنوسية التى انطلقت من برقـة .

وكان الى جانب الزوايا الصوفية ادوات اسلامية اخرى ساهمت في نشر الاسـلام بأفريقيا واعنى بها الحركات والممالك الاسلامية ، فالى جانب الحركة المهدية في السودان والطرق التيجانية ، والشاذلية وجدت حركة محمد بن عبد الله حسان في الصومال وحركة الحاج عمر في جنوب السـنغال الادنى (٥٤) ، كما وجدت امبراطورية في غانا التى عاشت من القرن الرابع الى القرن الحادى عشر الميلادى وتقع في جنـوب موريتانيا الحالية وتقع عاصمتها على نهر النيـجر الاعلى ، و « امبراطورية مالى الاسلامية » التى قامت في المدة من ١٢٣٨ ــ ١٤٨٨ م والتى وصـل الاسلام الى أراضيها أول ما وصل في القرن الحادى عشر الميـلادى ، و « امبراطورية السنغاى » التى اعتنق ملوكها الدين الاسلامى منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، وسلطنة « باجرمى » في منطقـة « تشـاد » و « امبراطورية كانم وبرنو » التى ازدهرت في الفترة الممتدة من القـرن العاشر حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وكان يسكن سلطنة كانم شعب « ساو » الذى اتخذ لنفسه سكنا حول بحيرة تشاد . واختلط ــ وافراده

---

(٥٣) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة في المغرب ص ٤٦ .
(٥٤) د . رافت الشيخ : أفريقيا في العلاقات الدولية ص ٢٣ .

بيض البشرة ــ بقبائل افريقية سود البشرة من سكان منطقة بحر الغزال ومن سكان واحة الكفرة ، وكانت عاصمتهم مدينة « نيجامى » (٥٥) .

وفي شرق افريقيا ظهرت سلطنات وممالك اسلامية ، حيث نسمع عن مملكة « احمد القرين » في شرق افريقيا والذى واجـــه التحالف البرتغالى الحبشي في القرن الخامس عشر الميلادى . ونسمع عن مـــدن الساحل الشرقى لافريقيا مثل « مالندى » و « مومباسا » و « كيلوا » و « سوفالا » و « موزمبيق » التى خضعت لسيطرة امراء من المسلمين الذين لهم الفضـــل في جعل حياة الافارقة الشرقيين اكثر تقدما ورقيا من سكان غرب افريقيا (٥٦) . وهذه المدن الاســـلامية هى التى تعرضت لهجمات البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر . ولعلنا نتذكر اقامـــة الدولة الاسلامية في زنجبار على عهد السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط وعمان في أوائل القرن التاسع عشر تلك الدولة التى لعبت دورا مهما في نشر المدنية العربية الاسلامية لا فى شرق افريقيا فقط بل وفي حوض نهر الكنغو وفيما يعرف بجنوب غرب أفريقيا ، حيث صارت هناك رحـلات وهجرات للمسلمين من شرق القارة الى غربها شجعها السلطان ســعيد بنفســـه .

ولعلنا نتذكر كذلك الدور الذى قامت به مصر في عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ م) في نشر الثقافة العربية الاســـلامية في جنوب السودان واوغندة بل وساحل الصومال ، واذا كانت دولـــة السلطان سعيد بشرق أفريقيا قد تركزت في الساحل فأن النشاط المصرى قد نشط داخل القارة ، ويرجع الفضل لهذا النشاط في وجود مسلمين في كل من اوغندة وكينيا وتنزانيا .

ونتيجة لكل هذا النشاط الاسلامى نجد خريطة العالم الاسلامى الافريقى على النحو التالى :

أولا : الاقطار العربية الاسلامية : وتشمل مصر ، الســـودان ، الصـومال ، جيبوتى ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا .

---

(٥٥) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٢٩ .
(٥٦) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٤٨ .

ثانيا : الاقطار الافريقية الاسلامية : وتشمل ما يلى :

١ ـ السنغال وتقع في غرب أفريقيا ويبلغ عدد سكانها ٥ر٣٥ مليون نسمة حسب تعداد هيئة الامم المتحـــدة لعام ١٩٧٨ م ، ونسبة المسلمين ٩٠٪ من مجموع الســكان والعاصمـــة « داكار » (٥٧) .

٢ ـ مالى : وقد دخلها الاسلام منذ القرن الرابع الهجرى الموافـق للعاشر الميلادى حيث قامت بها عدة امبراطوريات اسـلامية مثل امبراطورية الصـــنغاى ـ أو الســنغاى ـ ، ومملكة « التكرور » ، ومملكة « فوتا » وغيرها . ويبلغ عدد سكان مالى حاليا ما يزيد عن خمسة ملايين نسمة أكثـر من ٦٠٪ منهم مسلمون ، والعاصمة « باماكو » (٥٨) .

٣ ـ جامبيا : وكانت جزءا من امبراطورية مالى الاســلامية وهى جزء من السنغال ، وخضعت لاستعمار انجليزى ، وسكانها لا يكادون يصلون الى ١/٢ مليون نسمة اكثـــر من نصف عددهم مسلمون .

٤ ـ غينيا : وهى دولة ساحلية في غرب افريقية اشهر شـــعوبها شعب « الماندنج » (٥٩) ، وقد خضعت لاستعمار برتغالى ثم لاستعمار فرنسي حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٥٨ م ، وعدد سكانها أكثر من أربعة ملايين نســـمة حوالى ٨٠٪ مسلمون . والعاصمة ـ وهى نفس الميناء ـ « كوناكرى » .

٥ ـ غينيا بيساو : آخر معاقل الاستعمار البرتغالى في أفريقيـــا

---

(٥٧) د . محمد السيد غلاب : البلدان الاسلامية ... ص ٤٧٠ .
(٥٨) نفس المرجع : ص ٤٨٥ .
(٥٩) تعرض شعب الماندنج المسلم لعمليات خطف حيث بيـع من اختطف رقيقا في العالم الجديد ، وقصة الجذور للكاتب الزنجى الامريكى « هيلى » توضح هذه الحقيقة بالنسبة لهذا الشعب ولغيره ، حيث كان بطل القصـــة من هذا الشعب .

وتقع بين السنغال من جهة الشمال وغينيا من جهة الجنوب، ويسكنها اقل من مليون نسمة اغلبيتهم وثنيون ونسبة المسلمين لها اعتبارها بين السكان ، ومن هنا اعتبرت من الدول الاسلامية ، وعاصمتها « بيساو » (٦٠) .

٦ ـ فولتا العليا : وهى دولة داخلية ليست لها سواحل في غرب أفريقيا ، وقد دخلها الاسلام منذ القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم خضعت للاستعمار الفرنسى حتى حصلت على استقلالها الكامل داخل المجموعة الفرنسية في ١٥ اغسطس ١٩٦٠ م ، وعدد سكانها أكثر من خمسة ملايين ونصف يحتل المسلمون فيهم نسبة لها اعتبارها ، والعاصمة « وجادوجو » .

٧ ـ ساحل العاج : تطل على خليج غينيا بغرب افريقيا ، وقد صارت مملكة اسلامية منذ القرن الخامس عشر الميلادى اسوة بالممالك الاسلامية بغرب افريقيا ، ثم خضعت للاستعمار الفرنسي من عام ١٩٠٢ حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ ، ويسكن ساحل العاج أكثر من خمسة ملايين نسمة ، ورغم أن المسلمين لا تزيد نسبتهم عن ٢٣٪ من عدد السكان ويتركزون في شمال البلاد (٦١) ، الا انهم يؤلفون اكبر مجموعة موحدة من السكان ، حيث لا تتجاوز نسبة المسيحيين ١٢٪ بينما باقى السكان وثنيون ، والعاصمة « أبيدجان » .

٨ ـ سيراليون : دولة ساحلية بغرب افريقيا تعرضت لهجمات تجار الرقيق والمستعمرين مثل غيرها من اقطار غرب افريقيا، وقد اختارت موقعها في الاصل جمعية مكافحة الرق البريطانية عام ١٧٨٧ م لاعادة توطين الرقيق المحررين ، ثم صارت عام ١٨٠٧ م مستعمرة للتاج البريطانى ، وأصبحت فريتاون Free Town العاصمة المركز الرئيسي لمكافحة تجارة

---

(٦٠) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٧٧ .

(٦١) —The African Continent, P. 162.

الرقيق في هذه المناطق ، ومن « فريتاون » كان النفـــوذ البريطانى الكنسي والتعليمى ونشاطه التجارى يمتد الى بقية غرب افريقيا لتكوين مواقع لبريطانيا في غرب القارة تساهم في تدعيم العلاقات بين انجلترا وهذم الاقاليم (٦٢) ، ويسكن سيراليون ما يزيد عن اثنين ونصف مليون نسمة تتمـــثل نسبة المسلمين كبيرة اذ بينما لا تتجاوز نســـبة المسيحيين الثلث نجد اكبر شعبيين من شعوب سيراليـــون يعتنقون الاسلام هما شعبى « الماندى » و « التمـــنة » . والاول في الجنوب والثانى في الشمال (٦٣) .

٩ - توجو : اصغر الجمهوريات الناطقة باللغة الفرنسية في غـرب افريقيا ، ولها ساحل صغير على خليج غينيا ، وقد انتشر الاسلام في شمال توجو ، ويبلغ عدد سكانها نحو مليونين منهم حوالى ١٣٥ الف نسمة مسلم يتركزون في الشمال (٦٤) . والعاصمة هى مدينة « لومية » .

١٠ - داهومى : وتطل هى الاخرى على خليـج غينيا وتحدها من الشرق نيجيريا ومن الغرب توجو ومن الشمال فولتا العليـا والنيجر . وبدأ الاسلام يدخـــل الى الشمال الشرقى من داهومى في القرن السابع عشر الميلادى ، وقد اخذ الاسلام ينتشر في المناطق الساحلية للبلاد في مطـــلع القرن الثامن عشر (٦٥) . وقد تعرضت داهومى لجريمة تجارة الرقيق . ثم خضعت للاستعمار الفرنسي منـــذ عام ١٨٩٣ م حتى استقلت اول اغسطس ١٩٦٠ م ، ويزيد عدد سكانها قليـلا عن ثلاثة ملايين نسمة معظمهم وثينون ، وتبلغ نسبة المسلمين ١٥٪ من عدد السكان يتركزون في الشمال (٦٦) ، وعاصـــمة داهومى هى مدينة « بورتو نوفو » . وقد صار اسم البلاد « بنين » . Benin بدلا من داهومى .

(٦٢) —Kirkwood, K. : Britain and Africa, P. 15.

(٦٣) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٤٩٤ .

(٦٤) —The African Continent, P. 173.

(٦٥) عبد الرحمن زكى : افريقية الاسلامية ص ٨٩ .

(٦٦) —The African Continent, P. 177.

١١ ـ نيجيريا : هى اكثر الاقطار الافريقية سكانا اذ يقرب عـــدد سكانها من ٧٠ مليون نسمة ، وهى من أكبر دول افريقيـــة مساحة ، وتمتد من المحيط الاطلنطى جنوبا حتى الصحـــراء الكبرى شمالا ، وهى دولة اتحادية تتكون من الاقليم الشمالى المسلم ، والاقليم الجنوبى الشرقى ، والاقليم الجنـــوبى الغربى ، ثم أضيف اقليم رابع هو اقليم الوسط الغربى (٦٧) . وقد شهدت قيام حركات اسلامية وسلطنات اسلامية منـــذ القرن الثالث عشر الميلادى ، وقـــد خضعت للاســــتعمار البريطانى ثم نالت استقلالها عام ١٩٦٠ م وصارت عضـــوا في الكومنولث البريطانى . ويبلغ عدد المســـلمين في نيجيريا أكثر من ٢٧ مليون مسلم اى ما يوازى تقريبا نصف عـــدد السكان ، والعاصمة « لاجوس » (٦٨) .

١٢ ـ الكاميرون : وأرضه تشبه مثلثا كبيرا ضلعه الشرقى يتاخم تشاد وأفريقيا الوسطى ، وضلعه الجنوبى يتاخم الكنـــغو والجابون وغينيا الاستوائية ، وضلعه الغربى يتاخم نيجيريا ويطـــل بجبهة ضيقة على خليـــج غينيا (٦٩) . وقد دخـــل الاسلام الى شمال الكاميرون ، كما تعرضت البلاد لاحتـــلال فرنسي والمانى وانجليزى حتى تم استقلال البلاد عام ١٩٥٧م وصارت اتحادا عام ١٩٦١ م ، ويبلغ عدد السكان حـــوالى ٦ مليون نسمة وعدد المسلمين أقل من النصف اذ تبـــلغ نسبتهم من ٢٠ الى ٢٥٪ من عدد السكان (٧٠) ، ولا يـــزال نصف السكان يعتنقون الديانات القديمة وعاصمة الكاميرون مدينة « ياوندى » وهى داخلية .

١٣ ـ النيجر : دولة صحراوية داخلية ، وقد كانت من بين الاقطار الافريقية بغرب ووسط افريقيا التى خضعت للاســـتعمار

(٦٦) The African Continent, P. 177.
(٦٧) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٠١ .
(٦٨) د . محمد رياض : افريقيا .. ص ٤٦٦ .
(٦٩) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥١٢ .
(٧٠) The African Continent, P. 190.

الفرنسي حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ م ، ويرجع دخول الاسلام الى تلك البلاد منذ القرن الحادى عشر الميلادى، حيث دخلها من الغرب عن طريق صنغاى ومن الشرق عن طريق « كانم » و « وبرنو » (٧١) ، وقد كانت النيجر جـــزءا من الامبراطوريات والسلطنات الاسلامية في غرب أفريقيا ، وسكان النيجر حوالى ٥ر٤ مليون نسمة كلهم مسلمون ، والعاصـــمة « نيامى » .

١٤ ــ تشاد : وتتكون من سلطنات اسلامية سابقة هى « كانم » التى بدأ الاسلام بها في القرن التاســع الميــلادى و « واداى » و « الباجرمى » وقد دخلها الاسلام في القرن الرابع عشر الميــلادى ثم خضعت كلها اسلطة « رابح السودانى » في اواخر القــــرن التاسع عشر حتى احتلها الفرنسيون أوائل القرن العشرين ، وعدد سكانها حوالى اربعة ملايين نسمة اغلبيتهم مســـلمون (٨٥٪) وهذه الاغلبية المسلمة تتحدث اللغة العربية . والعاصمة مدينة « اندجامينا » فورت لامى سابقا (٧٢) .

١٥ ــ أفريقيا الوسطى : دولة تقع بوسط القارة ، وبحكم هذا الموقــع خضعت للمالك الاسلامية في السودان الغـــربى : « كانـــم » و « برنو » و « واداى » و « الباجرمى » و « دارفور » حتى استخلصها الفرنسيون لانفسهم اول القـــرن العشرين حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٥ م (٧٣) . ويتمثل الاســلام فى القبائل السودانية والمستعربة التى تعيش فى الشمال الشرقى، والقبائل المغربية مثل « البيل » و « البورورو » في المرتفعات الغربية ، ويبلغ عدد المسلمين في أفريقيا الوســطى ٥٠ الف مسلم من عدد السكان البالغ حوالى مليونين (٧٤) .

١٦ اثيـــوبيا : كانت « الحبشة » ــ وهو الاسم القديم لاثيــوبيا ــ

---

(٧١) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٧٧ .

(٧٢) New African Year Book, P. 109.

(٧٣) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٢٦ .

(٧٤) The African Continent, P. 226.

اول أرض هاجر اليها المسلمون ، حين نصح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج الى أرض الحبشة « فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيـه » . وقد استقر بعض مهاجرى المسلمين في الحبشة ثم توافدت الهجرات الاسلامية الى الحبشة اما عن طريق مضيق باب المندب او عن طريق مصر والبحـــر الاحمر . ومن ثم صار للاسلام قدم ثابتة في الحبشة ومـا حولها وواجهوا بعض المصاعب نظرا لان ملوك الحبشة ينتمون مذهبيا الى اقباط مصر فهم مسيحيون لا ينظـرون بارتياح الى علو شـأن الاسلام والمسلمين ، وحملت راية الجهاد الاسلامى عدة امارات منها « امارة عدل » و « سـلطنة أوفات » و « امارة هرر » وغيرها من الممالك الاسلامية التى بلغت سبع امارات في جملتها ، على ان الاسلام ظل في اثيوبيا واريتريا دين اكثر من نصف السكان تعتنقه قبائل الدناقل في اريتريا وشرقى الحبشة الى جانب أهالى هرر وقبائـل الجالا وكلها شعوب قوية المراس في شرقى البـلاد (٧٥) . وعدد سكان الحبشة ٢٦ مليون نسـمة منهم الجـالا والصوماليون والدناكل مسلمون ونسـبتهم اكثـر من نصف عـدد السـكان ، بينما الاحباش وهم « التيجرينيون » و « الامهرا » و « شوا » فأقباط (٧٦) . ومن الواضـح استحواذ اثيوبيا على أراض عربية هى الصـومال الغربى واريتريا وهرر . وعاصمة الحبشة مدينة « اديس أبابا » .

١٧ ـ تنزانيا :

وتتكون من اتحاد «تنجانيقا» و «زنجبار» الذى ظهر للوجود عام١٩٦٤ م وتقع بشرق افريقيا وتطل على المحيط الهندى وتجاور كلا من كينيا واوغندا ورواندا وزائير وزامبيا وملاوى وموزمبيق ، ولهـا عدة جزر أهمها جزيرة «زنجبار» وجزيرة «بمبا» وجزيرة «مافيا» (٧٧) . ويمكن تحديد دخول الاسلام الى تلك البلاد في القرن الاول الهجرى زمن الدولة الاموية ، حيث هاجر

(٧٥) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٣٨ .
(٧٦) Op. Cit., P 226
(٧٧) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٤٢ .

اليها كثير من المسلمين الذين نشطوا في انشاء المراكز التجارية الممتدة من القرن الافريقى شمالا حتى مدينة سفالة » في موزمبيق الحالية جنوبا ، كما انشأوا مدن « دار السلام » عاصمة تنزانيا الحاليـة ، و « كلوة » المدينة التنزانية ، وعن طريق هذه المراكز ظهرت ممالك اسلامية في شرق افريقيا ساهمت في نشر الاسلام .

وقـد ظل الوضع على هذا النحو حتى جاء البرتغاليـون اول القرن السادس عشر حيث شعروا بأن الوجود الاسلامى بشرق افريقيا يشكل عائقا امامهم للاستحواذ على تجارة التوابل وتحقيق حلمهم في انشاء امبراطوريـة برتغالية ، وفيما بين ١٥٠٥ و ١٥٠٩ م هاجم البرتغـاليون موانى «كلوة» و «مومباسا» و «موزمبيق» ودمروها واقاموا مراكز برتغالية مكانهـا (٧٨) ، ومع ذلك فانه ما كاد القرن السابع عشر ينتصف حتى تم طرد البرتغاليين من شرق افريقيا على يد العرب والمسلمين الذين تزعمهم السيد/سيف بن سلطان سلطان مسقط وعمان الذى بدأ بتكوين مركز افريقى للسلطنة في زنجبار ، وخضعت تنجانيقا وزنجبار للاستعمار الانجليزى ، حتى حصلت الاولى على استقلالها عام ١٩٦١ م بينما حصلت الثانية على استقلالها عام ١٩٦٣ م ، ثم حدث انقلاب عسكرى عنصرى فى زنجبار ضد العرب المسلمين فى زنجبار الذين قتل منهم ١٦ الف عربى مسلم و ٥٤ الف من المسلمين الاخرين . ثـم صارت زنجبار وتنجانيقا دولة اتحادية عام ١٩٦٤ م .

ويمثل المسلمون في زنجبار حوالى ٩٠٪ من مجموع السـكان البالغ عددهم نصف مليون نسمة ، وهم ينتمون الى العرب والشيرازين والهـنود والافارقة ، بينما يصل عدد المسلمين في تنجانيقا الى ٦٠ من عدد السكان البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة تقريبا . والعاصمة دار السلام التى تعـد مدينة اسلامية حيث ان ٩٠٪ من سكانها من المسلمين (٧٩) .

١٨ ــ جزر القمر :

تتكون من مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة وتقع شمال جزيرة مدغشقر ، وقد دخلها الاسلام مبكرا أثناء نشاط العرب في المحيط الهندى، ويقال ان العرب المسلمين نزلوها في القرن الرابع الهجرى ــ العاشر الميلادى ــ

---

(٧٨) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٥٠ــ ٥١ .
(٧٩) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٥٣ ــ ٥٥٥ .

قادمين من مسقط (٨٠) . وحاول البرتغاليون ارتياد جزر القمر في القرن السادس عشر الميلادى ولكنهم واجهوا مقاومة من الاهالى في بعض الجـزر فاضطروا الى اخلائهـا (٨١) . ويبلغ عدد سـكان الجزر نحو ثلث مليـون نسمة ، وهم خليط من عدة جنسيات افريقية عربية هندية صينية ايرانية ، والاسلام هو الدين الغالب في هذه الجزر ، واللغة العربيـة هى لغة الادارة ولغة التعليم الاسلامى ــ ولذلك لا نعجب ان تطلب جزر القمر الانضمام لجامعة الدول العربية ــ واللغة السواحلية هى لغة التجارة وتكتب بحروف عربية. والعاصمة « مورونى » (٨٢) .

ثالثا : الاقطار الافريقية التى بها اقليات اسلامية :

يتواجد الاسلام في صورة اقليات سكانية في عدة دول افريقية هى : ــ

١ ــ ليبـيريا :

وتقع على الساحل الغربى لافريقيا بين « سيراليون » و « راس بالماس »، وقد انشئت هذه الدولة الجديدة عام ١٨٢١ م عندما اهتم بعض الامريكيين بموضوع مكافحة تجارة الرقيق وتحرير زنوج امريكا فحصلوا على مرسوم حكومى عام ١٨١٩ بانشاء مستعمرة ليبيريا على مثال مستعمرة سيراليون البريطانية ، حيث ارسلت الحـكومة الامريكية الزنوج المحـررين جماعات متوالية (٨٣) ، وقد وصلت اول مجموعة منهم الى ليبيريا عام ١٨٢٢ م وكان عددهم ٨٨ افريقيا فقط ، ثم اعلن استقلال هذه البلاد عام ١٨٤٧ م وتعين لها رئيس (٨٤) .

وعندما حدثت الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ ــ ١٨٦٥) شـكل زنوج الولايات الجنوبية مشكلة كبيرة في ولايات الشـمال التى رحلوا من الجنوب اليها ، وهناك خلقوا مشكلات خطيرة اجتماعية وسياسية ، ولم يكن

---

(٨٠) نفس المرجع ص ٥٥٩ .
(٨١) عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ١٤٥ .
(٨٢) The African Continent, P. 308
(٨٣) د. زاهر رياض : استعمار افريقيا ص ٨٢ .
(٨٤) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٦٣ .

في الامكان اعادتهم الى الجنوب كما أن بقاءهم في الشمال أصبح أمرا غير مرغوب فيه (٨٥) ، ومن ثم رحلوا الى دولة ليبيريا التى انشئت عاصمتها « مونروفيا » منذ عام ١٨٢١ م .

ويبلغ عدد سكان ليبيريا حاليا حوالى ٣ر٥ مليون نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪ يتكلمون لغات محلية ، رغم ان اللغة الرسمية للدولة هى اللغة الانجليزية ، ولا يشارك المسلمون — وهم يسكنون في المناطق الداخلية من الدولة — في الحكم ، ويسيطر على جهاز الحكم السود القادمون من امريكا ولا يزيد عددهم عن الف شخص أى ان نسبتهم تبلغ ١٪ من السكان فقط (٨٦) .

٢ — غانـــا :

وتقع في غرب افريقيا وتشرف على خليج « غانا » وكانت تعرف باسم « ساحل الذهب » ، وهى احدى البلاد الداخلة في حوض نهر « الفولتا » . ومنذ القرن الحادى عشر الميلادى نسمع عن امبراطورية غانا الاسلامية التى عاشت عصور ازدهار وعصور تفكك حتى بدأ التدخل الانجليزى في البلاد ، اذ كانت قبائل « الفانتى » التى تسكن الجزء الساحلى ، وقبائل « الاشانتى » التى تسكن في الداخل ، وهذه القبائل كانت متنافرة ومتقاتلة (٨٧) .

وقد مارست الشركات البريطانية نشاطها المعتاد في الجزء الساحلى واستطاعت عقد المعاهدات التى احتكرت بها التجارة في هذا الجزء الا ان انجلترا اصطدمت بقبائل « الاشانتى » الذين يسكنون المناطق الداخلية ، وهى قبائل شديدة المراس واثقة تماما من قدرتهم على حكم جيرانهم بقدر ثقتهم في حكم انفسهم ، ومن هنا قاوموا الانجليز حتى عام ١٩٠١ م عندما فرضت انجلترا حمايتها على غانا ، ثم الحقت كمستعمرة التاج البريطانى ، الى ان حصلت على استقلالها عام ١٩٥٧ م ، وكانت تعرف باسم ساحل الذهب (٨٨) .

ويبلغ عدد سكان غانا حوالى عشرة ملايين نسمة تقدر نسبة المسلمين بينهم بحوالى ٣٠٪ وتدين قبائل الاشانتى الداخلية جميعها بالاسلام ، بينما

---

(٨٥) Bartlett, V. : Struggle for Africa, P. 141

(٨٦) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٤٧ .

(٨٧) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١١٧ .

(٨٨) Kirkwood, P. 26

يمثل الاسلام اقلية بين قبائل الفانتى الســـاحلية ، والعاصمة مدينة اكرا واللغة الرسمية للبلاد هى الانجليزية (٨٩) .

٣ ــ غينيا الاستوائية :

دولة صغيرة تتكون من جزء ساحلى يقع في غــرب افريقيا بين كل من الكاميرون والجابون ، وجزء بحرى يتكون من جزيرة « فيرناندوبو » وبعض الجزر الصغيرة ، وعرفت بالاستوائية تمييزا لها عن غيرها من الدول التى سميت باسم غينيا ــ مثل جمهوريا غينيا ، وغينيا بيساو .. ــ ويبلغ عدد سكان هذه الدولة ٣٠٠ الف نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٣٥٪ وهم يقيمون في المنطقة الساحلية من الدولة والتى تعرف باسم « ريومونى » ، بينما اكثر سكان « فيرناندوبو » من النصارى الكاثوليك (٩٠) .

وقد دخل الاسلام الى تلك البلاد على يد المرابطين في القرن الخامس الهجرى ــ الحادى عشر الميلادى ــ كما كان للتجار المسلمين دور في هــذا السبيل ، وعاصمة البــلاد هى مدينة «ســـانتا ايزابيل » وتقع في جزيرة « فيرناندوبو » واللغة الرسمية هى الاسبانية باعتبار هــذه البــلاد كانت مستعمرة اسبانية .

٤ ــ الجــابون :

دولة تقع بغرب افريقيا ويمر بوسطها تقريبا خط الاستواء ، وتقــع بين كل من غينيا الاستوائية والكاميرون والكنغو . وقد دخلها الاســلام في عهد دولة المرابطين بغرب افريقيا وشمالها خلال القرن الخامس الهجــرى (الحادى عشر الميلادى) ، ورغم نشاط المسلمين في نشر الاسلام بين الافارقة الوثنيين ، الا ان الاستعمار الاوروبى منذ حركة تجارة الرقيق قد اعاقوا انتشار الاسلام وسيطر الاستعماريون الفرنسيون على سواحل البـــلاد واسسوا مدينة « ليبرفيل » على الساحل عام ١٨٣٨ م ، وقد كانت الجابون تكون مع الكنغو مســـتعمرة واحــــدة حتى انفصـــلت الجــابون واستقلت عام ١٩٦٠ م .

---

(٨٩) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٥١ .
(٩٠) نفس المرجع ص ٦٥٣ .

وقد اعتنق رئيس الجمهورية « البرت برنارد بونجو » الاسلام في عام ١٩٧٣ م وتسمى باسم « عمر بونجو » واسلمت معه اسرته جميعها ، كما تابعه عدد من المسئولين وافراد القبيلة التى ينتمى اليها ، وهى قبيلة « البونجوى » . وعدد سكان الجابون حوالى ٦٠٠ الف نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم بنحو ٤٥٪ بينما عدد المسيحيين نسبتهم ٣٥٪ والوثنيين نسبتهم ٢٠٪ والعاصمة مدينة « ليبرفيل » واللغة الرسمية هى اللغة الفرنسية (٩١) .

٥ ـ كينيا :

وتقع في شرق افريقيا ، وكانت مجالا لنشاط العرب والهنود المسلمين منذ القرون الاولى للاسلام ، وقد خضعت لاستعمار انجليزى أواخر القرن التاسع عشر ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٥ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ (٩٢) ، وتتراوح نسبة المسلمين بين ٣٥٪ و٥٧٪ ، بينما توجد اقلية مسيحية والباقى من السكان وثنيون ، وقد اسس المسلمون في كينيا بعض المؤسسات الاجتماعية والتعليمية منها الجمعية الخيرية الاسلامية ، والاتحاد الوطنى للمسلمين وجمعية الشبان المسلمين في نيروبى والمؤسسة الاسلامية ، ومؤسسة القرآن الكريم في نيروبى وجمعية الدعوة الاسلامية في «ممباسة» ، والجمعية الصومالية الباكستانية في « ممباسة » والجمعية النسائية العربية الافريقية في «ممباسة» والجمعية الصومالية الاسلامية في نيروبى ، والجماعة الاسلامية في نيروبى – وهى فرع للجماعة الاسلامية في باكستان وتضم الباكستانيين الذين ينتمون للجماعة . ويزيد عدد الجمعيات الاسلامية في كينيا على ٥٢ جمعية (٩٣) .

ونظرا لكثرة عدد الجمعيات الاسلامية في كينيا ، فان جهود المسلمين هناك مبعثرة رغم وجود تنظيم يضم هذه الجمعيات يعرف باسم « المجلس الاعلى لمسلمى كينيا » ، لان هذا التنظيم اهتم بانشاء المدارس والمكتبات العامة والمساجد لمواجهة حركة التبشير النشطة ، وعاصمة البلاد مدينة « نيروبى » ، وهناك مدن ذات تاريخ اسلامى قديم مثل « ممباسة » ومالندى وهى مدن ساحلية ذات صبغة اسلامية عربية .

---

(٩١) المرجع السابق ص ٦٥٤ – ٦٥٥ .

(٩٢) New African Year Book, P. 151

(٩٣) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٦٣ – ٦٦٤ .

٦ ـ موزمبيــق :

كانت موزمبيق مقرا لامــارات ومــدن اسلامية مزدهرة منذ القــرن الرابع الهجرى ، ومن أشــــهر هذه المدن « سفالة » و » كلوة « ، ومن هذه المدن نفذ الاســــلام نحو الداخل وشق طريقه في جنــــوبى « مالاوى » ـ نياسالاند سابقا ـ (٩٤) ، ومنذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى خضع كل الساحل الشرقى لافريقيا تقريبا للبرتغاليين بعد صدامهم بالامارات العربية الاســــلامية هناك ، حتى جاء أجداد السلطان « برغش » العمانى في القرن الثامن عشر فطردوا البرتغاليين من النصف الشمالى للســــاحل الشرقى الافريقى ، واسسوا في الاملاك الافريقية التى ورثها برغش ســـلطنة ولكن البرتغاليين بقوا في المناطق المجاورة لمنافسيهم حيث استمروا متمســكين بموزمبيق التى تاخمت حدودها الشمالية الحدود الجنوبية لمملكة الســلطان برغش (٩٥) . وقد ظلت موزمبيق مستعمرة برتغاليــة حتى حصلت على استقلالها في ٢٥ يونيو ١٩٧٥ (٩٦) .

ويبلغ عدد سكان موزمبيق ما يقرب من عشرة ملايين نســـمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ من الســـكان يكثرون في المناطق الساحلية ويقلون في المناطق الداخلية ، وقـد تعرض المسلمون للاضطهاد من الحكم البرتغالى ، ويتجمع المسلمون من أهل السنة على الساحل ، « وفي لورنزو ماركيز » مسجدان ، وفي مدينة موزمبيق مسجد وهناك قاض شرعى في كل من الجهتين ، كذلك تعيش على الســــاحل جماعات من الهنود اكثرهم من الاسماعيلية (٩٧) . والعاصمة مدينة «مابوتو» .

٧ ـ أوغنــــدة :

تقع في جنوب السودان وبين كـل من كينيا وتنزانيا وزائير ورواندا ، وقد وصل اليها الاسلام عن طريق المدن الساحلية بشرق أفريقيا منذ أواخر القرن الثامن عشر على يد التجار العرب والمسلمين . وعن طريق مصر عندما ضمت أوغنــــدة الى السودان المصرى في عهد الخديوى اسماعيل منــــذ

---

(٩٤) د . عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٩٥) Coupland, R. : The exploitation f East Africa, P. 445

(٩٦) New African Year Book, P. 182.

(٩٧) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٦٧ .

عام ١٨٦٤ م واعتنق ملـــكها « الكاباكا » المسمى « امتـــيا الاول » الدين الاسلامى ، لكن الموظفين الانجليز مثل بيكر وغوردون عملا في عهد الخديوى اسماعيل على عرقلة النشاط الاســـلامى هناك واتاحا للبعثات التبشيرية المسيحية العمل بحرية ، ولكن الاسلام استطاع ان يرسخ اقدامـــه في تلك البلاد رغم المؤامرات نتيجة تاثير الجنود المصريين الذين اختلطوا بالســـكان وتزوجوا منهم ، حتى ان كثيرا من مســـلمى اوغندة اليوم يعدون انفســـهم من احفاد اولئك الجنود الذين قدموا البلاد ايام الخديوى اسماعيل (٩٨) .

ونجحت انجلترا في فرض حمايتها على اوغندة منذ عام ١٨٩٠ وربطتها بجنوب الســـودان لتمنع تأثير شمال السودان المسلم على تلك الجهـــات وسمحت للبعثات التبشيرية المسيحية بالنشاط في تلك البلاد ، ومع ذلك ظل كثير من المسلمين في اوغنـــدا متمسكين بعقيدتهم ، واستمر الاســـلام في الانتشار بجهود التجار والعمال من الهنود المســـلمين بعد جهود التجـــار العرب والجنود المصريين وعدد ســـكان اوغندة ١٢ر٤٣ مليون نسمة حسب احصـــاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ (٩٩) . والعاصمة مدينة «كمبالا»، وتبلغ نســـبة المسلمين في اوغندة نحو ٤٠٪ من مجموع السكان يتجمعون في منطقة « بوغندة » وفي الولاية الغربيـــة ، وفي الولاية الشرقية وفي الولاية الشمالية على طول مجرى نهر النيل . وفي هذه المناطق تقـــوم المؤسسات والجمعيات الاسلامية على راسها المجلس الاسلامى الاعلى ، وان كانت قلة امكاناتهم تجعلهم هدفا لمنافســـة قوية للبعثات التبشيرية ، وان كان اهـــل البلاد ينظرون الى المسيحية باعتبارها احـــدى المستحدثات او الواردات الاوروبية ، وبخاصة انهم يجدون المسلمين القادمين اكثر اختلاطا بهم واندماجا فيهم ، ونظروا الى كل مسلم يفد الى البلاد أن واجبه الدعوة الى الاسلام(١٠٠)

٨ ــ بوروندى :

وتقع في وسط افريقيا في المنطقة الاستوائية داخل هضبة البحيرات . وقد دخلها الاســـلام على استحياء على يد التجار العرب والمســـلمين ، ثم نشط المسلمون في تلك البلاد على عهد سلاطين زنجبار العمانيين حتى استولت عليها المانيا بموجب قرارات مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ م ثـم

---

(٩٨) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٨ .

(٩٩) New African Year Book, P. 243.

(١٠٠) د . عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ٤٨ .

ضمتها بلجيكا للكنغو عقب هزيمة المانيا في الحرب العالمية الاولى ، ومن الطبيعى ان يعمل الاستعمار بأشكاله المختلفة على محاربة الاسلام والمسلمين هناك . ورغم ذلك نشط المسلمون في اقامة المؤسسات الدينية والتعليمية والاجتماعية ، حتى اذا حصلت البلاد على استقلالها عام ١٩٦٢ م أعطى المسلمون منذ عام ١٩٦٦ م شيئا من الحرية واعترف بالدين الاسلامى رسميا (١٠١) .

وعدد سكان بوروندى ما يزيد قليلا عن اربعة ملايين نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ويمثل المسلمون في البلاد ٢٥ ٪ من عدد السكان . واغلب مسلمى بوروندى من اهل السنة مع وجود مذاهب اخرى اسلامية كالشيعة الجعفرية والاسماعيلية والاباضية . وعاصمة البلاد هى مدينة « بوجومبورا » .

٩ ـ رواندا :

وتقع الى الشمال من «بوروندى» وقدخضعت لما خضعت له بوروندى من حيث نشاط التجار العرب والمسلمين في نشر الاسلام بين اهلها ، ومن حيث خضوعها للاستعمار الالمانى فالاستعمار البلجيكى حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٢ . وعدد سكان رواندا ٥٧ر٤ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م (١٠٢) ، وتبلغ نسبة المسلمين في هذه البلاد ٦ ٪ فقط الذين يتجمع معظمهم في العاصمة «كيكالى» ويقيمون المساجد هناك .

١٠ مالاوى :

تقع على ضفاف بحيرة «مالاوى» ـ التى كانت تسمى سابقا باسم نياسا ـ وكانت مالاوى نفسها تسمى باسم « نياسا لاند » ، وهى تقع بين تانزانيا وزامبيا وموزمبيق . وقد وصل الاسلام اليها على يد التجار والدعاة ايام امبراطورية الزنج التى قامت في القرن الرابع الهجرى وكانت عاصمتها مدينة كلوة التى تقع في جنوبى تانزانيا (١٠٣) وخضعت هذه البلاد للاستعمار الانجليزى الذى خلف الاستعمار البرتغالى عام ١٨٥٩ م ، ثم

---

(١٠١) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٨٧ .

(١٠٢) New African Year Book, P. 205.

(١٠٣) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٦ .

صارت مالاوى مستعمرة بريطانية عام ١٨٩١ م بعد كفاح ضد المسلمين هناك، وظلت كذلك حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٣ م . وعدد سكانها ٤٣ر٥ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م . وتبلغ نسبة المسلمين هناك ٣٥٪ من مجموع السكان (١٠٤) .

١١ ـ زامبيا :

هى التى كانت تعرف باسم روديسيا الشمالية ، والتى خضعت مع روديسيا الجنوبية ـ زيمبابوى ـ للاستعمار الانجليزى منذ عام ١٨٩٥ م ، وقد دخل اليها الاسلام مبكرا اذ يرجع وجود الاسلام في « روديسيا » الى القرن الهجرى الاول ، ويبلغ عدد المسلمين في زامبيا ما يزيد على مائة الف مسلم يمثلون ٢ر٤٪ من عدد السكان الذين يبلغون ٥ر٥ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ ، وللمسلمين مؤسسات اسلامية مثل الجمعية الاسلامية ، وجمعية الشباب المسلم التى ينتمى اكثر اعضائها الى الهند وباكستان ، ثم رابطة النساء المسلمات ، الى جانب عدة مساجد وكتاتيب ـ ثلاثة من الكتاتيب ـ لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى (١٠٥).

١٢ ـ زيمبابوى « روديسيا » :

وكانت تعرف باسم روديسيا الجنوبية وخضعت لما خضعت له زامبيا من نشاط اسلامى ومن استعمار انجليزى ، فقد دخل الاسلام الى « زيمبابوى » على يد المسلمين القادمين من ساحل شرق افريقيا ، وقد وجد الدكتور « ستانلى تيمبور » قبرا في أراضي « زيمبابوى » على مقربة من نهر « الزمبيزى » يعود الى ما قبل ثلاثة عشر قرنا . وقد نقش عليه ما يلى : بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله . هذا قبر سلام بن صالح الذى انتقل من دار الدنيا الى دار الاخرة في السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبى العربى . صلى الله عليه وسلم . وهذا يدل على وجود العرب والمسلمين في تلك البلاد منذ وقت مبكر ، ولا تزال أسرهم تحمل أسماء مثل البكرى ، المصرى ، الشريفى (١٠٦) .

---

(١٠٤) New African Year Book, P. 167.

(١٠٥) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٨ .

(١٠٦) نفس المرجع ص ٧٠٠ .

ويبلغ عدد السكان في زيمبابوى حوالى ٧ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م (١٠٧) ، بينهم عدد من الاوروبيين لا تزيد نسبتهم عن ٥٪ من مجموع السكان هم المتحكمون في البلاد سياسيا واقتصاديا ، وعدد المسلمين في زيمبابوى قليل يقدر بحوالى ٢٠ الف مسلم فقط .

١٢ – زائير :

دولة مترامية الاطراف بحوض نهر الكنغو في غرب أفريقيا ، وقد وصل الاسلام اليها عن طريق الشرق والغرب والشمال على يد التجار العرب والدعاة من نيجيريا ومالى والسنغال وغينيا . وعلى يد دولة البوسعيد في زنجبار وعلى يد الجنود المصريين في بحر الغزال المديرية السودانية ، وذلك كله خلال القرن التاسع عشر ، وصار للمسلمين دولة في زائير وأمراء كان أشهرهم حامد بن محمد بن جمعة المرجبى (١٠٨) ، ولكن الاستعمار البرتغالى قضي على القوة الاسلامية في التسعينات من القرن التاسع عشر حيث صارت زائير مستعمرة بلجيكية حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ م . وخلال فترة الحكم الاستعمارى لقى المسلمون كل اضطهاد من جانب البلجيك .

ويبلغ عدد سكان زائير ٢٦٫٤٦ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ (١٠٩) ، وتصل نسبة المسلمين ١٠٪ من مجموع السكان يسكنون الجهات الشرقية والشمالية الشرقية من زائير ، كما يعيش عدد منهم في العاصمة «كينشاسا» حيث اقاموا الكلية الاسلامية وجمعية المسلمين هناك ، الى جانب انتشارهم في بعض المدن الاخرى . ورغم اعتراف الدولة بالدين الاسلامى رسميا بين عقائد الشعب ، فان المسلمين في زائير ضعاف قليلو الامكانيات وهم في أمس الحاجة الى المدرسين وعلماء الدين ليواجهوا البعثات التبشيرية النصرانية التى تملك الامكانات البشرية والمادية الضخمة (١١٠) .

---

(١٠٧) New African Year Book, P. 201.

(١٠٨) د . عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ص ١٣٨ .

(١٠٩) Ibid, P. 252.

(١١٠) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٩٤ .

١٣ ـ الكنغــــو :

دولة صغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر الكنغو بغــــرب أفريقيا ، وكانت مستعمرة فرنسية عاصمتها « برازافيل » نســــــبة الى المكتشف الفرنسي « برازا » الذى سار على راس بعثة لاستكشاف الضفة اليمنى من نهر الكنغو فكشف مسافة كبيرة من نهر الاجوا واسس مدينة «فرانس فيل» التى تغير اسمها الى « برازا فيل » لتكون مركزا تجاريا (١١١) ، ومنـــــها ارسلت البعثات الفرنسية لاكتشاف المناطق الداخلية وعقد المعاهدات مع زعماء البلاد تضع بلادهـــم تحت الحماية الفرنسية وقد وصلت هــــذه البعثات الى حدود الكنغو البلجيكى ـ زائير حاليا ـ حيث عقدت معاهــدة بين الفرنسيين والبلجيك لتخطيط الحدود بين أملاكهم في حوض الكنغو (١١٢)

وقد دخل الاســــلام الى الكنغو بنفس الطريق الذى دخل به دولة زائير من الشرق والغرب والشمال على يد التجار العرب ، ويبلغ عدد السكان ٤٥ر١ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م (١١٣)، ويبلغ عدد المسلمين في الكنغو ستون الفا ، ويوجد للمسلمين ثلاث مدارس هى : مدرسة المركز الاسلامى ، ومدرسة الهلال ، والمدرسة الاســـلامية الكنغولية ، كما يوجد مسجد في العاصمة « برازافيل » الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الكنغــــو (١١٤) .

١٤ ـ ملاجاش

هى جزيرة مدغشقر الواقعة في شرق افريقيا في المحيط الهنـــدى ، واسم « ملاجاش » هو اسم أكبر قبائل الجزيرة وأكثرها عددا ، وقد وصل اليها الاسلام على يد التجار والدعاة والمهاجرين ســـواء من بلاد العـرب او من بـــلاد الهنـــد او من بـــلاد فـــارس وذلك منـــذ وقت مبكـــر يرجع الى القرن الخامس الهجرى ، وقد تعرض المسلمون في الجزيرة لاضطهاد شديد من جانب البرتغاليين حتى كادوا ينسون أحكام الاسلام وشريعته ،

---

(١١١) د . زاهر رياض : المرجع السابق ص ١٦٧ .

(١١٢) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٤ .

(١١٣) Ibid, P. 114.

(١١٤) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ٦٩٥ .

حتى اذا جاء الفرنسيون عام ١٨٨١ بدعوة تأمين الرعايا الفرنسيين الذين اصيب بعضهم باضطهادات من اهل الجزيرة في ظل الخلافات الدائرة حول العرش بين أفراد الاسرة المالكة ، ثم اصبحت الجزيرة مستعمرة فرنسية عام ١٨٩٦ م ، وظلت كذلك حتى حصلت على استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠ ، والعاصمة مدينة « تناناريف » .

وعدد سكان ملاجاش ٨ر٧٧ مليون نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م (١١٥) وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ من السكان ، بينما تبلغ نسبة الوثنيين ٥٠ ٪ من عدد السكان ، والنسبة الباقية وقدرها ٢٥٪ من السكان مسيحيون . ويحرص المسلمون على تعلم اللغة العربية ، ويكثر المسلمون العرب في مدغشقر كما قدم اليها مهاجرون من جزائر القمر يقدر عددهم بعشرات الالاف وقد نشطوا في بناء المساجد (١١٦) .

١٥ ـ جزيرة موريشيوس :

وتقع في المحيط الهندى الى الشرق من جزيرة مدغشقر ، وقد وصل اليها الاسلام على يد التجار منذ القرن الرابع الهجرى ، وقد تعرضت الجزيرة لغزو من جانب كل من البرتغاليين عام ١٥٠٧ م والهولنديين عام ١٧١٥ م والفرنسيين عام ١٧١٥ م والبريطانيين عام ١٨١٤ م حتى حصلت على استقلالها في ١٢ مارس ١٩٦٦ م (١١٧) وعاصمتها هى مدينة « بورت لويس » التى اسسها الفرنسيون في الاصل ، وعدد سكان الجزيرة يبلغ ٩٤٢ الف نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ بينهم ٢٠٪ من المسلمين . ويوجد للمسلمين ثلاث منظمات رئيسية هى : الدائرة الاسلامية ، واتحاد الطلبة المسلمين والبعثة الاسلامية ، كما يوجد هناك ثلاثة مساجد وعدة مدارس (١١٨) .

١٦ ـ جزر الرأس الاخضر :

تواجه « غينيا بيساو » بغرب أفريقيا وتقع في المحيط الاطلنطى ، وكانت مستعمرة برتغالية حتى حصلت على استقلالها في ٥ يوليو ١٩٧٥ م ، ويبلغ

---

(١١٥) Ibid, P. 164.

(١١٦) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٢ .

(١١٧) Ibid, P. 175.

(١١٨) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٧٥ .

عدد السكان ٣٣٠ الف نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيهم ١١٪ من عدد السكان . والعاصمة « برايا » (١١٩) .

١٧ — جزر ساوتومى وبرنسيب :

تواجه غينيا الاستوائية بغرب افريقيا ، وكانت مستعمرة برتغالية ثم حصلت على استقلالها في ١٢ يوليو ١٩٧٥ م ، وعدد سكانها ٨٣ الف نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢١٪ من مجموع السكان . والعاصمة ساوتومى (١٢٠) .

١٨ ـ ليسوتو :

كانت مستعمرة بريطانية بوسط افريقيا بجانب بتشوانالاند وسوازيلاند ، وقد حصلت على استقلالها في ٤ أكتوبر ١٩٦٦ م ، وعاصمتها « ماسيرو » ويبلغ عدد السكان ١١ر١ مليون نسمة يشكل المسلمون بينهم ٥٪ من عدد السكان .

١٩ ـ جزر سيشل :

استولت عليها انجلترا من فرنسا بموجب معاهدة باريس لعام ١٨١٤م، وظلت مستعمرة بريطانية حتى حصلت على استقلالها في ٢٨ يونيو ١٩٧٦ م ، وعاصمتها مدينة « فيكتوريا » ، وعدد سكانها ٦٣٫٣٠٠ نسمة حسب احصاء هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م . وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ١٪ فقط من عدد السكان (١٢١) .

٢٠ ـ بتشوانا :

دولة بوسط افريقيا تحدها جنوبا جمهورية جنوب افريقيا ، ومن الشمال الشرقى روديسيا « زيمبابوى » ، ومن الشمال زامبيا ومن الشمال الغربى أنجولا ومن الغرب ناميبيا،وقد كانت مستعمرة انجليزية حتى حصلت

---

(١١٩) Ibid, P. 104.

(١٢٠) Ibid, P. 207.

(١٢١) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٢ .

على استقلالها في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦ م ، وعدد سكانها ٧٤٩ الف نســمة حسب احصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ بينهم عدد من المسـلمين تبلغ نسبتهم ٥٪ من مجموع السكان ، والعاصمة « جابرون » (١٢٢) .

٢١ ـ سوازيلاند :

مستعمرة انجليزية سابقة حصلت على استقلالها في ٦ ستبمبر ١٩٦٨م، وعاصمتها مدينة « مبابان » ، وعدد ســكانها ٥٣٩ الف نسمة حسب احصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ (١٢٣) ، ونسبة المسلمين بينهم ٥٪ فقط من عدد السكان ، واللغة الرسمية هى اللغة الانجليزية بينما اللغة المحلية هى اللغة السوازيلاندية .

٢٢ ـ جنوب افريقيا :

جمهورية تقع في جنوب القارة الافريقية ، عاصمتها مدينة كيبتاون ، ومدينة « بريتوريا » وقد حصلت على استقلالها كاتحاد تحت الحكم الذاتى منــذ ٣١ مايو ١٩١٠ م ، ويبلغ عدد سكانها ٢٧ر٧٦ مليون نسمة حسب احصائية هيئة الامم المتحدة لعام ١٩٧٨ م . بينهم عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ٢ر٠٪ فقط من عدد السكان (١٢٤) ، يعيش منهم ٤٠ الف مسلم في مدينة الكاب والباقى في شرق الكاب وناتال ومدن الترنسفال (١٢٥) .

٢٣ ـ ناميبيا :

ما زالت تخضع لوصاية جمهورية جنوب افريقيا منذ الحرب العالمية الاولى ،وتقع في جنوب غرب افريقيا تحدها شمالا انجولا وشرقا بتشوانالاند وجنوب أفريقيا من الجنــوب . وعاصمتها مدينة « ويندهوك » ، وعدد ســكانها ٨٦٥ الف نسمة حسب احصائية هيئة الامم المتحدة لعام١٩٧٨ ، بينهم نسبة من المسلمين تبلغ ٤ر٠٪ فقط من عدد السكان (١٢٦) .

---

(١٢٢) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(١٢٣) Ibid, P. 228.

(١٢٤) Ibid, P. 221.

(١٢٥) د . محمد رياض : افريقيا .. ص ٥٨٥ .

(١٢٦) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٢ .

٢٤ - جزر ريونيون :

وتقع الى الشرق من جزيرة مدغشقر بالمحيط الهندى ، وهى جزء من الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار . وعدد سكانها ٤٥٠ الف نسمة تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٠٪ من عدد السكان ، وعاصمتها مدينة « سانت دنيس » (١٢٧) .

٢٥ - جزر المحيط الاطلنطى غير المستقلة :

توجد اقليات اسلامية في عدة جزر بالمحيط الاطلنطى المواجه لغرب افريقيا هى كما يلى :

(أ) جزر ماديرا بها ٣٠ الف مسلم يؤلفون ١٠٪ من مجموع السكان .

(ب) جزر آزور بها ٥١٦ مسلم يؤلفون ٥٪ فقط من مجموع السكان .

(جـ) جزر أنوبون بها ٣٠ الف مسلم يؤلفون ٢٥٪ من مجموع السكان .

(د) جزر الخالدات (كناريا) بها ٧٠ الف مسلم يؤلفون ٧٪ من مجموع السكان .

(هـ) جزيرة القديسة هيلانة بها ٦٠ مسلم فقط يؤلفون ١٪ من مجموع السكان (١٢٨) .

هذه صورة للاسلام في افريقيا ، ومما تجب ملاحظته ان البعثات التبشيرية المسيحية نشطت في محاربة الاسلام بافريقيا ، فقد عملت السلطات الحاكمة خلال عصر الاستعمار على تسهيل مهمة هذه البعثات لانها تدعم الوجود الاستعمارى ففى « داكار » عاصمة السنغال يوجد اكبر مركز تبشيرى بغرب افريقيا يتخرج منه سنويا ١٢ الف قسيس

---

(١٢٧) The African Continent, P. 310.

(١٢٨) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٦٥٦ .

وراهب يعملون على نشر المسيحية هناك على حساب الاسلام . ويشـــير المبشر الامريكى « زويمر » انه يوجد في اواسط افريقيا مجال فســـيح للتبشير واقاليم واسعة الارجاء واقعة على مسافة مائة ميل من الشــاطىء يربو عدد سكانها على الخمسين مليونا لم تنتشر فيـــها الايات الانجيلية ، ويبدى اســـفه لان الاسلام يتقدم وينتشر بهدوء ونظام في افريقيا بين القبائل الوثنية (١٢٩) .

---

(١٢٩) شاتليه : الغارة على العالم الاسلامى ص ٢٤٩ .

الاسلام فى اوروبا

دخل الاسلام الى أوروبا منذ الفتح العربى الاسلامى للاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط ، وبعد أن توغل الاتراك العثمانيون المسلمون في شرق أوروبا ، حتى الوقت الحاضر حيث يتواجد مسلمون في انحاء من أوروبا متعددة يسعون الى تدعيم وجودهم ويقيمون مؤسساتهم الاسلامية ويتطلعون الى المسلمين في الاقطار العربية والاسلامية لمد يد العون والتأييد لهم .

ويمكن التاريخ لدخول الاسلام الى اوروبا منذ حركة الفتوح الاسلامية لجزر البحر المتوسط وشبه جزيرة ايبيريا (أسبانيا والبرتغال حاليا) وجنوب فرنسا ، هذا من ناحية الغرب ، كما يمكن التأريخ لدخول الاسلام الى شرق أوروبا منذ محاولات الامويين الاستيلاء على القسطنطينية ونجاح الاتراك في ذلك عام ١٤٥٣ م على يد السلطان محمد الفاتح .

اولا : المسلمون في غرب اوروبا :

لقد ترك الفاتحون المسلمون والدول التى اقاموها في جزر البحر المتوسط وشبه جزيرة ايبيريا وجنوب فرنسا آثارا حضارية ، بدات بدخول موسي بن نصير مع طارق بن زياد في فتح الاندلس في عمليات نقلت الاسلام الى قلب القارة الاوروبية وأقامت له دولة هناك عاشت ما يزيد على السبعة قرون وقدمت للعالم ثمارا حضارية رائعة (١٣٠) . وقد سكن الاندلس عرب المشرق الذين وفدوا مع الفتح الاسلامى ، وهناك احتفظوا بتقاليد اجدادهم ، ثم اخذت هذه التقاليد تتواءم مع عوامل البيئة الجديدة بسبب اعتناق أهل الاندلس الاسلام واندماجهم مع العرب المسلمين عن طريق المصاهرة ، وقد عاش المحاربون المسلمون الذين ينتمون الى أصل عربى في أراضيهم الشاسعة التى قام على زراعتها السكان الاصليون الذين اعتنقوا الاسلام بعد قليل (١٣١) .

---

(١٣٠) د . نبيه عاقل : خلافة بنى أمية ص ٢١٨ — ٢١٩ .
(١٣١) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ... جـ٢ ص ٢٤١ .

وقد نجح الاغالبة الذين حكموا المغرب الاوسط من عاصمتهم القيروان وبمساعدة عرب الاندلس فى فتح جزيرة صقلية ، وبقيت هذه الجزيـرة فى أيديهم منذ عام ٨٣٠ الى عام ١٠٦٠ م ، وقدر للعرب أثنـاءها أن ينشروا حضارتهم هناك والتمكين لها في ربوع الجزيرة الى درجـة بعيدة حملت النورمانديين الذين قضوا على الحكم العربى سنة ١٠٦٠ م في عهـد « الكونت رجار » على أن يأخذوا عن العرب نظامهم الادارى ويقتبسـوا العناصر الاساسية للثقافة الاسلامية في حياتهم الفكرية وفي فنهم أيضـا . وفي عام ١١٥٤ م ألف العالم العربى الادريسي « لرجار الثانى » كتابه الشهير في صفة الارض الذى سمى : « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » بل ان فريدريك الثانى الذى حكم الجزيرة من عـام ١١٩٧ الى ١٢٥٠ م والذى خلف النورمانديين في حكم صقلية عنى بتنمية هذا التراث اعجابا منه بعلوم العرب واساتذتهم (١٣٢) .

وفي الاندلس حيث مكث العرب هناك ما يقارب الثمانية قرون فقـد أقاموا حضارة عربية مزدهرة قامت على أكتاف العلـماء الذين لا يحصيهم عد ، حيث عجت برجال الدين والجغرافيين والمؤرخين الذين لا يحصيهم العد ، وكانت المساجد وقصـور الامراء تتجاوب اصداؤها بالادب والفـن والشعر والمناقشات الفلسفية (١٣٣) ، شأنها في ذلك شأن بقية الاقطـار الاسلامية . وظهر علماء أوربيون درسـوا في جامعات الاندلس ، واعتمد جميع المؤلفين اللاتين الذين الفوا في القرون الوسطى اعتمادا كليـا على مؤلفات المسلمين حتى أواخر القرن الخامس عشر تقريبا ، وهؤلاء العلماء اللاتين لم يضيفوا شيئا الى علماء المسلمين (١٣٤) .

ورغم انقسام الاندلس الى دويلات يحكمها ملوك الطوائف منذ أوائـل القرن الحادى عشر بما جعلها تتعرض لانحطاط سياسي ، فانهـا حفلت بحصاد ثقافى عظيم ، ومرد ذلك الى ان ملوك الطوائف كانـوا كلما ضعف سلطانهم ازدادوا تنافسا في اجتذاب الشعراء والعلماء الى بلاطهم (١٣٥) ، حتى صارت قصورهم منارات للمعرفة على اختلافها نقلت اشـعاعاتها الى أوروبا الغربيـة .

---

(١٣٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٤٩ .
(١٣٣) ويل ديورانت : قصة الحضارة جـ ٤ ص ٣٣٠ .
(١٣٤) جلال مظهر : حضارة الاسلام .. ص ٥٣١ ــ ٥٣٢ .
(١٣٥) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٣٠٨ .

ورغم ان علماء اوربا الغربية عاشوا عصرا استقلال فكرى منذ اواخر القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر بظهور علماء امثال ليوناردو دافنشي وكوبرنيكوس وغيرهم ، ورغم ان اوروبا اتخذت في بداية عصر النهضة موقفا معاديا لعلوم المسلمين ، الا انها عادت مرة ثانية في اواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الى علوم المسلمين لتستقى منها بطريقة استقلالية لتكملة النقص الذى كان لا تزال ثغراته في حاجة الى سدها من علوم المسلمين (١٣٦) .

ورغم الحركة الصليبية المعادية للاسلام والتى انطلقت من اوربا الغربية خلال العصور الوسطى ، فان العصور الحديثة والمعاصرة شهدت نشاطا اسلاميا في اقطار اوربا الغربية جاءت نتيجة هجرة كثير من المسلمين من المستعمرات الاوروبية في العالم الاسلامى ـ خاصة الهند وشمال افريقيا وغربها ـ وحاليا نسمع عن نشاطات اسلامية كثيرة في كل قطر اوروبى غربى ونسمع عن مؤسسات اسلامية تقام هنا وهناك في كثير من المدن الاوروبية الغربية ، ورغم اننا لا نملك احصائيات عن عدد المسلمين في اقطار اوروبا الغربية ، الا اننا من خلال متابعتنا لتلك النشاطات نستطيع ان نطمئن الى انتشار الاسلام هناك والى حيوية المسلمين حتى الوقت الحاضر .

ومن الامثلة على الوجود الاسلامى بدول غرب أوروبا ما يلى :

١ ـ النمسا :

ويتواجد بها مسلمون اصلهم من مقاطعة البوسنة والهرسك اليوغسلافية وفدوا الى النمسا قبيل الحرب العالمية الاولى ، وقد اسس هؤلاء المسلمون جمعية لهم تعرف باسم « الجمعية الاسلامية الثقافية » ، وبجانب هؤلاء يعيش طلاب العلم من المسلمين الذين يدرسون هناك (١٣٧) . وليست هنالك احصاءات دقيقة عن عدد المسلمين في النمسا .

---

(١٣٦) جلال مظهر : المرجع السابق ص ٥٣٣ .
(١٣٧) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٥٤ .

٢ ـ المانيـا الغربيـة :

بدأ تواجد المسلمين في المانيا الغربية عقب معارك الحرب العالميـة الاولى ، وتزايدوا عقب معارك الحرب العالميـة الثانية ، وكان وجودهم راجعا اما لكونهم اسرى حرب بقى بعضهم ولم يعودوا الى اوطانهم او فرارا من الغزو الشيوعى لدول شرق اوروبا مثل يوغسلافيا وبولندا وبلغاريا ورومانيا ، الى جانب العمال والطلاب الذين اقاموا في بعض المدن الالمانية مثل « ميونيخ » ـ وقد انشيء بها مسجد ـ وفرانكفورت « وهامبورج » ، و « بون » و « برلين » و « وآخن » التى بها مسجد وهى في نفس الوقت مركز اتحاد الطلاب المسلمين في اوروبا الذى يصدر صحيفة الرائد ويقوم بنشاط كبير (١٣٨) . وليست هناك احصائية دقيقة عن المسلمين بالمانيا الغربية ، لان منهم من استوطن ومنهم غير المستقر كطلاب العلم من البلاد الاسلامية .

٣ ـ بلجيكـا :

ويقيم بها عدد كبير من العمال المسلمين الوافدين من اقطار الشمال الافريقى ، وتبلغ نسبة المسلمين في بلجيكا حوالى ١ ـ ٢٪ من مجموع السكان ويشغلون المرتبة الثانية بعد المسيحيين ، وقد صدر مرسـوم ملكى بلجيكى بتاريخ ٢٤ اغسطس ١٩٧٤ م بالاعتراف بالاسلام في بلجيكا بعد موافقة البرلمان البلجيكى ، كما وافقت السلطات الحكومية في بروكسل على تدريس التربية الاسـلامية في مدارس المسـلمين ابتداء من العـام الدراسي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ م . وقد اقيم مركز ثقافى اسلامى ضخم في العاصمة بروكسل بمعاونة الدول الاسلامية وبخاصة المملكة العربية السعودية(١٣٩) .

٤ ـ فرنسـا :

يـكاد المسـلمون في فرنسـا يقتصرون علـى الوافـدين منهـم من افريقيا خاصة من المستعمرات الفرنسية السابقة في شمال وغرب افريقيا . وهؤلاء يعملون كعمال في الحرف الدنيـا ومن ثم فمسـتواهم الاجتماعى

---

(١٣٨) نفس المرجع السابق ص ٧٥٥ .

(١٣٩) مجلة الفيصل العدد ١٨ ذو الحجة ١٣٩٨ هـ موضوع المركز الاسلامى في بروكسل .

والثقافى والاقتصادى غير مرض ، ويقدر عدد هؤلاء المسلمين بأكثر من ٤٠٠ الف مســلم يقيم ٣٠ الف منهم في العاصمة باريس حيث يؤدون شعائرهم الدينية في المسجد الذى اقيم هناك منذ عام ١٩٢٦ م على الطراز المغربى ، كما توجد في باريس كذلك رابطة للطلاب المسلمين في فرنسا بمثابة المركز المشرف على النشاط الاسلامى للطلاب الوافدين الى فرنسا من الاقطار الاسلامية (١٤٠) .

٥ ـ انجلتــرا :

بدأ تواجد المسلمين في انجلترا قادمين من الهند في القرن التاسع عشر ، وقد اسس مسلمو الهند في لندن جمعية اسلامية لهم عام ١٨٨٦ م، وهى تعتبر اقدم جمعية اسلامية في دول غرب اوروبا ، وبتوالى السنين كثر نزوح المسلمين ـ من باكستان ، ومن افريقيا ومن جنوب الجزيرة العربية ـ الى انجلترا حيث اخذوا في تكوين الجمعيات الخاصة بهم والمساجد الاسلامية في كثير من المدن الانجليزية ، ولم يقتصر الوجود الاسلامى على لندن فقط بل نشط المسلمون في مدن منشستر ومدينة كارديف جنوب ويلز وغيرها ، حيث ظهرت مساجد ومراكز ثقافية اسلامية وجمعيات وروابط اسلامية ، بل ومقابر للمسلمين (١٤١) .

وفي لندن يوجد مركز اسلامى ومعهد اسلامى للبحث والدراسة لا يتبع لاية حكومة او منظمة سياسية او غير سياسية ، ورغم انه يحصر نشاطه في ميدان البحث العلمى الا انه يعتبر نفســه جزءا من الحركة الاسلامية العالمية الابعاد ، ويرى ان مهمته هى تقوية الوجود الاسـلامى على الخريطة الفكرية لمدينة لندن وفي الغرب كله .

٦ ـ اســبانيا :

على الرغم من ان المسلمين مكثوا بشبه جزيرة ايبيريا حوالى ثمانية قرون الا ان الاضطهاد ومحاكم التفتيش قد قضت على الوجود الاسلامى بشبه الجزيرة قضاء يكاد يكون تاما ، وفي الوقت الحاضر تشهد اسبانيا حركة تهدف الى بعث الاصول الاسلامية للحضارة الاسـبانية المعاصرة ، ومن

---

(١٤٠) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٥٦

(١٤١) المرجع السابق ص ٧٥٦ .

ثم وجد ما سمى بالمعهد الاسـبانى العربى التـابع لوزارة الخارجيـة الاسبانية الذى يقدم المنح العلمية للطلاب العرب والمسلمين ويهتم بالتراث العربى الاسلامى في ايبيريا ، كما يقوم المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد منذ الخمسينات من القرن العشرين بـدور كبير في هذا المجال ، وتبعا لذلك اخذ المسلمون يتوافدون على اسبانيا طلابا للعلم او للعمل ، وليست هناك احصائية دقيقة عن عدد المسلمين في اسبانيا .

٧ ـ سـويسرا :

يرجع تواجد المسلمين في سويسرا الى وقت ليس بالبعيد . حيث اخذ المسلمون طلابا وعمالا يتوافدون على البلاد مما استدعى اقامة مركـز اسلامى في مدينة « لوزان » قام بانشائه خمسة وثلاثون من المسلمين المقيمين ليخـدم الجالية الاسلامية في المدينـة ـ لوزان ـ والمكونة من مواطنين سويسريين اعتنقوا الاسلام وعددهم يقرب من الف نسمة ، بالاضافة الى ١٥٠٠ مسلم تقريبا من جنسيات مختلفة يقيمون في مدينـة لوزان . ويصدر المركز مجلة تسمى « المسلمون » (١٤٢) .

٨ ـ ايطاليـا :

قـد لا يكون من المبالغة القول بأن الاسـلام الذى دخل الى جزيرة صقيلة منذ القرن التاسع الميلادى قد اثر في شـبه الجزيرة الايطالية ، ولكن تغير الظروف قلصت الوجود الاسلامى هناك ، والآن يوجد عددمن المسلمين النازحين الى روما وغير هامن المدن الايطالية حيث يقيمون لانفسهم مساجد ومؤسسات اسلامية ترعى شئونهم . ومع ذلك لا توجد احصائية دقيقة عن عدد المسلمين في ايطاليا .

٩ ـ بقية دول غرب اوربا :

مما لا شك فيه ان هناك اقليات اسلامية في كل من هولنده والدول الاسكندنافية وان لم تكن لدينا احصاءات دقيقة عن اعداد هذه الاقليـات الاسلامية ، الا ان وجود مساجد في مـدن « لاهاى » و « استوكهلم » و « اوسلو » وغيرها دليل حى على وجود مثل هذه الاقليات .

---

(١٤٢) نفس المرجع السابق ص ٧٥٧ .

ومما تجدر ملاحظته ان بعض مدن اوربا الغربية تحتوى على الكثير من تراث المسلمين الفكرى مخطوطا في مكتباتها ، ونفائس الاثار الاسـلامية في متاحفها ، وهى بهذه الذخائر تجتذب طلاب العلم المسلمين وغيرهم ، وقد سطت الدول الغربية على هذه النفائس بطرق مختلفة اثناء استعمارها للبلدان الاسلامية (١٤٣) .

ومما تجدر الاشارة اليه كذلك ان بعض الجهات في دول غرب اوروبـا تشجع على تشـويه صورة الاسلام بتشـجيع الحركات التى تنتسب الى الاسلام وهو منها براء مثل «الجماعة القاديانية» التى تنسب الى ميرزا احمد غلام مرتضى المولود عام ١٨٣٩ م في بلدة « قاديان » احدى قرى البنجـاب ، وقد زعم انه المسيح المنتظر وادعى النبوة ونسخ احكام الجهاد في الاسلام بل ونسخ دعوة الرسل (١٤٤) . كما تعمل الجهات الاوروبية على ابعاد طـلاب العلم المسلمين عن التمسك بدينهم واحكامه عن طريق تقديم الاغراءات .. وكل ذلك يضع مسئولية كبرى على المسلمين في اقطار العالم الاسـلامى .

ثانيا : المسلمون في شرق اوربا :

وقد بدا انتشار الاسلام في اوربا الشرقية منذ حرص الامويون على الاستيلاء على ممتلكات الامبراطورية البيزنطية بشرق اوروبا ، حيث حاول العرب الاستيلاء على القسطنطينية ـ عاصمة الامبراطورية البيزنطية ـ ثلاث مرات : المرة الاولى في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، والثانية في عهد معاوية بن ابى سفيان ، والثالثة في عهد سليمان بن عبد الملك (١٤٥).

وبعد العرب بدا الاتراك في شن هجوم على الامبراطورية البيزنطية لاول مرة في عهد السلطان بايزيد الاول العثمانى بالهجوم على القسطنطينية عام ١٣٩٦ م ، حتى افتتحها محمد الثانى الذى عرف بمحمد الفاتح في ٢٩ مايو ١٤٥٣ م (١٤٦) ، وتحولت منذ ذلك التاريخ الى مدينة اسلامية في مبانيها ومؤسساتها الجديدة وفى نشاطها العلمى والفكرى والدينى والسياسي ،

---

(١٤٣) نفس المرجع السابق ص ٧٥٨ .
(١٤٤) نفس المرجع السابق ص ٧٥٧ .
(١٤٥) د. حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ص ٢٤٢ .
(١٤٦) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٢١٨ .

وصارت عاصمة للدولة العثمانية ومركزا لانطلاق حملات الفتح لبقية اراضي شبه جزيرة البلقان ، بحيث انه مع نهاية العشرينات من القرن السادس عشر حتى كانت جيوش السلطان العثمانى سليمان القانونى قد وقفت امام اسوار فينا عاصمة النمسا ، هذا وقد تغير اسم القسطنطينية في العهد العثمانى الى « اسلام مبول » ثم تحرف الى استانبول والاستانة .

وهكذا صارت معظم اقطار شرق اوروبا مقرا لجاليات اسلامية ، حيث وجدنا دولة البانيا دولة اسلامية ، بينما يعيش في يوغسلافيا جالية اسلامية كبيرة ، كما يوجد في اليونان ورومانيا وبلغاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندة والمانيا الشرقية الى جانب روسيا جاليات اسلامية تنظر بعين الولاء والانتماء الى الدول العربية الاسلامية تنتظر منها الدعم والتأييد .

وفيما يلى امثلة على الوجود الاسلامى بدول اوروبا الشرقية : ـ

١ ـ البانيا :

دولة بلقانية تقع بين يوغوسلافيا واليونان وبحر الادرياتيك ، وقد دخلها الاسلام مع الغزو التركى لها في القرن التاسع الهجرى الموافق للقرن السادس عشر الميلادى حيث ظلت تركية الى ان حصلت على استقلالها عام ١٩١٧ م ، ثم سيطر الشيوعيون على الحكم عقب معارك الحرب العالمية الثانية ، ويمثل الاسلام في البانيا الغالبية العظمى من السكان ، اذ تبلغ نسبتهم ٧٢٪ من عدد السكان البالغ ٢٫٢٥ مليون نسمة ، ويعيش الالبانيون المسلمون تحت سيطرة حكومة شيوعية لا تعترف بالاديان .

٢ ـ يوغوسلافيا :

دولة بلقانية تتاخم حدودها جميع الدول البلقانية ـ المجر ، رومانيا ، بلغاريا ، اليونان ، البانيا ـ وهى جمهورية اتحادية تتكون من ست جمهوريات هى : صربيا وهى اكبر الجمهوريات وعاصمتها مدينة بلجراد العاصمة الاتحادية ، وسلوفينيا ، وكرواتيا وعاصمتها مدينة زغرب ، والبوسنة والهرسك وعاصمتها مدينة «سيراجيفو» ، ومقدونيا ، والجبل الاسود(١٤٧).

ويمكن التأريخ لدخول الاسلام الى يوغوسلافيا بهجرة البوشناق المسلمين من منطقة الفولجا اواخر القرن الرابع الهجرى الى البلقان ، كما دخل كثير من الصرب الدين الاسلامى في القرن الرابع عشر قبل ان تصبح صربيا ولاية عثمانية عام ١٤٥٩ م ، وقد تعرض المسلمون للاضطهاد في

(١٤٧) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٠٩ ـ ٧١٠

البوشناق وصربيا تحت حكم امبراطورية النمسا والمجر ، حتى اذا تأسست الدولة اليوغوسلافية عام ١٩١٨ م تعرض المسلمون لاضطهاد الارثوذكس مما اضطر الكثيرين منهم الى الهجرة خارج يوغوسلافيا .

وبعد الحرب العالمية الثانية سيطر الشيوعيون على الحكم في يوغوسلافيا فتعرض المسلمون لمذابح اخرى وصب الشيوعيون جام حقدهم وغضبهم عليهم ، فهدمت المساجد والمدارس الاسلامية . وقد كان في ولاية البوسنة والهرسك قبل الحرب العالمية الاخيرة ١٧٠ الف مسجد ، وفي العاصمة « سيراجيفو » وحدها ٨٧٠ مسجدا ، وكان في بلغراد ٢٧٠ مسجدا خربت جميعها ما عدا واحدا بقى منها لكن هدمت مئذنته ، وسادت موجة عنيفة ضد الدين بعامة وضد المسلمين بخاصة ، فقد قتل ٢٤ الف مسلم بعد الحرب مباشرة (١٤٨) .

وتتألف المجموعات الاسلامية في يوغوسلافيا من البوشناق والالبان والاتراك والصرب والكروات ، وتبلغ نسبة المسلمين ٢٠٪ من مجموع السكان البالغ ٣ ٢مليون نسمة ، وفي السنوات الاخيرة صار هناك اعتراف من جانب الحكومة اليوغوسلافية بحرية الاديان ومن ثم صار للمسلمين اتحاد يرأسه رئيس العلماء ومجالس للعلماء ، كما صار لهم مدارس ومساجد وغيرها من المؤسسات الدينية ، كما توجد بقايا للمؤسسات الاسلامية التى تعرضت للتدمير سابقا وصارت اثارا اسلامية تشهد على عظمة الاسلام في تلك البلاد ، هذا وقد اخذ عدد الحجاج اليوغوسلاف يتزايدون سنة بعد اخرى خلال الآونة الاخيرة .

٣ ـ اليونان :

دولة بلقانية دخلها الاسلام اثناء الغزو التركى في القرن الخامس عشر الميلادى ، ومن ثم صار المسلمون في اليونان يتألفون من الاتراك ومن الالبان والشراكسة والبلغار الى جانب بعض اليونانيين الذين اسلموا ،وعندما حصلت اليونان على استقلالها من تركيا اول الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وعندما نشبت الحرب بين تركيا واليونان عام ١٩٢١ م تأثر

---

(١٤٨) المرجع السابق ص ٧١٢ .

الاسلام في اليونان بهجرة كثيرمن الاتراك المسلمين من اليونان ، ومع ذلك فمازال هناك حوالى ٢٠٠ الف مسلم ثلاثة ارباعهم من الاتراك ، ويعيش ٢٠ الف مسلم في جزر بحر ايجة (الدوديكانيز) التابعة للسيادة اليونانية (١٤٩) .

٤ ــ كريت ورودس :

جزيرتان بالحوض الشرقى للبحر المتوسط تتبعان حاليا اليونان ، وقد دخل الاسلام الى جزيرة كريت منذ القرون الاولى للاسلام ــ القرن الثالث الهجرى بصفة محددة ــ ثم تعرضت الجزيرة لضغوط من مختلف القوى الخارجية كالدولة البيزنطية والبنادقة تعرض المسلمون اثناءها لاضطهاد شديد حتى فتحها الاتراك عام ١٦٦٩ م ، فصار نصف سكان الجزيرة مسلمون ولكن المسيحيين المؤيدين من الدول الاوروبية واليونان اضطروا العثمانيين الى ترك الجزيرة عام ١٨٩٨ ثم تسلمتها اليونان عام ١٩٠٨ ، وقد هاجر كثير من مسلمى كريت الى مصر والى برقة . ومن ثم اخذ عدد المسلمين هناك في التناقص من ٨٩ الف مسلم عام ١٨٩٨ م حتى تكاد الجزيرة اليوم أن تخلو منهم .

واما جزيرة رودس فقد دخلها الاسلام حين فتحها المسلمون في القرن الاول الهجرى ، ثم دخلها العثمانيون منذ عام ١٥٢٢ م . وحينما فقدها العثمانيون عام ١٩١٣ م اخذ عدد المسلمين في التناقص تدريجيا اذ هاجروا تباعا الى مصر والشام هربا من الاضطهاد المسيحى الاوروبى حتى كادت الجزيرة ان تخلو من كل اثر للاسلام ، وقد صارت رودس عقب الحرب العالمية الثانية تابعة لليونان .

٥ ــ مالطة :

جزيرة تقع جنوب صقلية ، وقد دخلها الاسلام على يد الاغالبة حكام تونس منذ عام ٢٥٦ هـ ولكن النورمان استولوا عليها عام ٤٨٣ هـ فأصاب مسلميها ما أصاب مسلمى جزيرة صقلية من اضطهاد وتهجير ، حتى استبولى عليها العثمانيون عام ٩٥٩ هـ الموافق ١٥٥٢ م فنشط الاسلام بالجزيرة حتى احتلها الانجليز اواخر القرن الثامن عشر اثناء

(١٤٩) نفس المرجع السابق ص ٧١٦

مطاردة الاسطول الانجليزى للحملة الفرنسية على مصر ، وظلت خاضعة للانجليز حتى حصلت على استقلالها في اطار مجموعة دول الكومنولث .

وعدد السكان في جزيرة مالطة ٣٥٠ الف نسمة تقريبا بينهم اربعون الف مسلم هم من بقوا في الجزيرة من المسلمين ، وبذا تكون نسبتهم الآن بين سكان مالطة هى ١١٪ ، ويتكلم السكان اللغة المالطية ، وهى لغة تختلط فيها الفاظ عربية وايطالية وانجليزية وتكتب بحروف لاتينية(١٥٠)، وبهذا يبدو أثر الثقافة العربية الاسلامية في الجزيرة التى تشهد بعض المؤسسات الاسلامية كالمساجد .

٦ ـ بلغاريا :

دولة صغيرة في البلقان تشرف على البحر الاسود ، وقد دخلها الاسلام عندما فتحها الاتراك عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م واستولوا على عاصمتها « صوفيا » ، وقد بقيت تحت حكم الاتراك حتى مؤتمر برلين لعام ١٨٧٨ م وعندما حصلت على استقلالها وصارت مملكة عام ١٩٠٨ م ، وقد لقى المسلمون الاضطهاد على يد الشيوعيين الذين استولوا على السلطة في البلاد عام ١٩٤٤ م .

وعدد سكان بلغاريا تسعة ملايين نسمة بينهم ما يقارب المليونين من السكان مسلمين يتكونون من البلغار الذين اعتنقوا الاسلام ويتواجد معظمهم في المناطق الجنوبية من البلاد ، والاتراك الذين استقروا منذ الفتح التركى الى جانب بعض التتار الذين نزحوا الى بلغاريا بالاضافة الى مجموعات من الغجر الرحل ، ويتعرض المسلمون للاضطهاد من جانب السلطات الشيوعية الحاكمة ، اذ منعوا من الحج ، وليست لهم مدارس خاصة ، كما حاولت الحكومة تنصير المسلمين بالقوة ، واجبرت النساء على السفور ، وهدمت المساجد ، وحظرت النحر يوم عيد الاضحى (١٥١) .

كما منعت الحكومة البلغارية المسلمين من ختان ابنائهم ، ومن دفن موتاهم على الطريقة الاسلامية واجبرتهم على الدفن في صندوق على الطريقة المسيحية بكامل لباس الميت ، ومنعت المسلمين ايضا من عقد زواجهم بعقود

---

(١٥٠) نفس المرجع السابق ص ٧٢١ .
(١٥١) نفس المرجع السابق ص ٧٢٥ .

نكاح اسلامية واجبرتهم على الزواج بالطريقة المتبعة عندهم ، كما دابت على منع المسلمين من الصلاة بمساجد القرى الاسلامية حتى اهملت هذه المساجد وصارت مهددة بالسقوط ، بل ومنعت المسلمين من استعمال المواصلات العامة ، وقد ادى كل ذلك الى جعل المناطق الاسلامية متخلفة عن بقية المناطق .

٧ ـ رومانيـا :

يمكن التأريخ لدخول الاسلام الى تلك الدولة البلقانية بدخول الاتراك الى تلك البلاد منذ عام ١٤٨٤ م ، وعندما ترك الاتراك رومانيا عقب الحرب العالمية الاولى هاجر كثير من الاتراك المسلمين من رومانيا ، ثم زادت هجرتهم بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد قيام الحكم الشيوعى في البلاد ، ويقدر عدد المسلمين في رومانيا بأكثر من خمسين الف مسلم من جملة السكان الذين يبلغ عددهم ٢١ مليونا ، وتوجد بعض المساجد لخدمة المسلمين في العاصمة « بورخارست » وغيرها ، كما يوجد للمسلمين مفتى بمثابة الزعيم الدينى لهم .

٨ ـ المجـر :

دخل الاسلام الى هذه الدولة البلقانية منذ القرن الحادى عشر الميلادى على يد بعض القبائل البلغارية المسلمة ، كما اعتنق عدد من المجريين الاسلام بعد الفتح العثمانى لبلادهم عام ١٥٨٦ م ، الى جانب الاتراك الذين استقرار حتى بعد خروج الاتراك من البلاد عام ١٦٨٧ م ، وقد ترك المسلمون آثارا كثيرة هناك كالمساجد والمدارس والمكتبات ، ويبلغ عدد المسلمين في المجر حاليا ٤٥٠٠ مسلم يقيم منهم في العاصمة « بودابست » قرابة ٦٥٠ مسلما (١٥٢) .

٩ ـ بولنـدة :

دولة بوسط اوروبا دخلها الاسلام على يد قبائل مسلمة من التتار في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد كانت بولندة احدى حلقات الاتصال بين الشرق الاسلامى الادنى والغرب ولا سيما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وتأثرت كثيرا بالفنون الاسلامية ، وقام

---

(١٥٢) المرجع السابق ص ٧٢٨

البولنديون بارسال ابنائهم الى مصر لطلب العلم والتفقه في الدين ، كما كان الحج سبيل اتصال مسلمى بولندة باخوانهم المسلمين ، وعندما صارت بولندة دولة مستقلة عقب الحرب العالمية الاولى اقبل المسلمون فيها على دراسة العلوم الدينية واللغات الشرقية ، ولكن عندما خضعت للحكم الشيوعى عقب الحرب العالمية الثانية تقلص نشاط المسلمين حتى انخفض عدد المساجد في البلاد من ١٦ الى ٣ مساجد فقط ، ويقدر عدد المسلمين في بولندة اليوم بنحو ٢٥ الف بعد ان كانوا ١٥٠ الفا بعد الحرب العالمية الاولى(١٥٣). وعدد سكان بولندة ٣٣ مليون نسمة وعاصمتهم مدينة « وارسو » .

١٠ ـ تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية :

هذه البلاد بوسط اوروبا ، وقد دخلها الاسلام اما على يد القبائل المسلمة من التتار او على يد الاتراك ، وقد مارس المسلمون هناك شعائرهم في ظل حكومات غير متعصبة ضد الاسلام ، ولكن المسلمين تعرضوا للاضطهاد عندما سيطر الشيوعيون على الحكم في هذه البلاد ، وان كان يوجد حتى الآن عدة آلاف من المسلمين في كل من تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية فانهم يعيشون ظروفا لا تساعدهم على اداء شعائرهم الدينية بالحرية الواجبة .

(١٥٣) نفس المرجع السابق ص ٧٣٠ .

المسلمون فى أمريكا

دخل الإسلام الى امريكا عن طريق المهاجرين العرب المسلمين ، الى جانب انتشار الاسلام بين الزنوج الامريكيين وغير الزنوج الذين هداهم الله الى دينه ، فعل سبيل المثال هاجر من العرب الى الولايات المتحدة الامريكية فى الفترة من عام ١٨٩٩ الى ١٩١٤ م حوالى ٨٦ الف مهاجر الى جانب هجرة عدد آخر يتراوح بين ٤٠ الف و ١٦٠ الف الى الارض الامريكية قبل عام ١٨٩٩ م ، كما هاجر ١٦ الف من الارمن عقب الاضطهادات التى تعرضوا لها اواسط عام ١٨٩٠ م ، بالاضافة الى ٤٦ الف ارمنى هاجروا الى الارض الامريكية في الفترة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ م (١٥٤) .

ورغم وجود الزنوج الامريكيين القادمين اصلا من افريقيا وبعضهم مسلمون في امريكا كعبيد قبل تحرير الرق الذى حدث بعد الحرب الاهلية الامريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥ م) . فقد قدم الى امريكا ومنذ عام ١٩٠٠ م وحتى اول الخمسينيات من القرن العشرين حوالى نصف مليون من المهاجرين الزنوج ، بعضهم مسلمون (١٥٥) .

وللحديث عن المسلمين في امريكا يحسن ان نتناول النقاط الآتية : ـ

اولا : المسلمون في امريكا الشمالية :

رغم ان قارة امريكا الشمالية تضم الى جانب الولايات المتحدة كلا من كندا والمكسيك ، الا ان النشاط الاسلامى كان اوضح في الولايات المتحدة منه في الدولتين الاخريين ، ومن هنا فأننا سنتناول النشاط الاسلامى في هذه الدول كما يلى : ـ

١ ـ الولايات المتحدة :

وقد شهد القرن العشرين هجرات اسلامية بعضها من البلاد الاوروبية التى خضعت للحكم الشيوعى ، وبعضها من البلاد العربية وخاصة بلاد

---

(١٥٤) De Nova, J.A : American interests and Policies in the MiddleEast, P. 42.

(١٥٥) ماكس ليرنر : امريكا كحضارة جـ ٢ ص ٧٨٩ .

الشام واليمن ومصر ، الى جانب مهاجرين من ايران وتركيا والهند واندونيسيا والفلبين وغيرها ، وقد استقر هؤلاء فى مناطق متفرقة من الولايات المتحدة ، ودعم موقف الاسلام هناك ذهاب الكثيرين من طلاب العلم المسلمين للتعلم في الجامعات الامريكية ، الى جانب اعتناق بعض الامريكيين للاسلام نتيجة اتصالهم بالمسلمين داخل او خارج الولايات المتحدة .

والى جانب كل هؤلاء فان الاسلام دخل بين الزنوج في الولايات المتحدة ، سواء منهم الذى اتى من افريقيا مسلما او اعتنق الاسلام على ارض الولايات المتحدة ، وظهور زعماء من المسلمين السود في الولايات المتحدة قادوا حركة الحقوق المدنية وتصدوا للتفرقة العنصرية هناك واخذوا ينشرون الاسلام وينشئون المدارس والمساجد والروابط والمنظمات في مدن « شيكاغو » و « نيويورك » و « لوس انجلوس » ، وغيرها .

ففي نيويورك تقيم جماعة اسلامية كبيرة وبها مركز اسلامى انشيء منذ عام ١٩٥٦ م ، وفي نيويورك يوجد الى جانب السود المسلمين جماعات اسلامية وافدة كثيرة ولهم روابطهم ونواديهم ومساجدهم ، وفي لوس انجلوس اكبر مدن الغرب تقيم اكبر جماعة اسلامية في غربى الولايات المتحدة اذ تبلغ اكثر من ٣٥ الف من المسلمين وبها مسجدان ومركز اسلامى . وفي مدينة واشنطن العاصمة تقيم بها جماعة مسلمة وبها مركز اسلامى يضم مسجدا يعد من اكبر المساجد في الولايات المتحدة (١٥٦) .

هذا الى جانب وجود تجمعات اسلامية ولها مؤسساتها الدينية والاجتماعية فى كل من توليدو « طليطلة » ومدينة « ديترويت » ، ومدينة « فيلادلفيا » ، ومدينة « انديانابولس » ، ومدينة « سكرمنتو » ، ومدينة « سان فرانسسكو » ، الى جانب مناطق اخرى توجد بها تجمعات اسلامية قليلة ، وهى اريزونا ، وتكساس ، وفلوريدا ، واوكلا هوما ، ونيواورليانز ، وايوتا ، وميتشجن ، وكنتكى ، والباما ، وغيرها .

ويقدر عدد المسلمين في الولايات المتحدة بحوالى ثلاثة ملايين مسلم من امريكيين ومستوطنين ومقيمين بشكل مؤقت ، ينتظمون في عدة منظمات وروابط مثل : اتحاد الطلبة المسلمين ، واتحاد علماء الاجتماع المسلمين ،

---

(١٥٦) د. محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٧٦٨ .

واتحاد العلماء والمهندسين المسلمين ، واتحاد الاطباء المسلمين ومقر هـذه الاتحادات مدينة «انديانابولس» بولاية انديانا . ومراكز اسلامية ، ومساجد وجمعيات واندية ومدارس لخدمة التجمعات الاسلامية في المدن والولايات المختلفة (١٥٧) .

ومع ذلك فأن للمسلمين في الولايات المتحدة مشكلات تتمثل في عدم انتظامهم في رابطة واحـدة ولاقامتهم في مكان واحد في احياء محدد ةكما توجد بينهم خلافات نابعة من انتماءات الوافدين منهم الاقليمية مما يدفعهم الى تشكيل جمعيات اسلامية اقليمية مختلفة .

٢ ـ كندا والمكسيك :

توجد اقليات اسلامية في كل من كندا والمكسيك لا يتجاوز عددها خمسة آلاف مسلم في كندا ، والف وخمسمائة مسلم في المكسيك لهـم روابط تخدمهم وتتصل بمثيلاتها في الولايات المتحدة .

ثانيا : المسلمون في امريكا الوسطى :

يعيش مئات من المسلمين كأقليات فى جمهوريات امريكا الوسطى.وان كانت جزر البحر الكاريبى تتواجد بها اقليات اسلامية تتراوح اعدادها بين الألف والخمسة الاف مسلم ، يتركزون في جزر « جامايكا » ، وجزر الانتيل الهولنـدية ، وبرمودا ، وكوبا ، وهايتى ، وجزر الانتيل الانجليزية ، « وجوادالوب » (١٥٨) .

ثالثا :المسلمون في امريكا الجنوبية :

يعيش في قارة امريكا الجنوبية اليوم ما يقرب من ٤٠٠ الف مسلم موزعين على البلاد الآتية : ـ

١ ـ البرازيل :

يعيش في البرازيل حوالى ١٣٠ الف مسلم معظمهم في مدينة « سان

(١٥٧) المرجع السابق ص ٧٦٩ ـ ٧٧٠ .
(١٥٨) المرجع السابق ص ٧٧٢ .

باولو » معظمهم من العرب ثم الافارقة ، وبها اول مسجد بأمريكا الجنوبية ولهم جمعية تشرف على شئونهم هى الجمعية الخيرية الاسلامية .

٢ ـ الارجنتين :

ويقيم بالارجنتين حوالى ٧٥ الف مسلم معظمهم من بلاد الشـــام يتجمع معظمهم في العاصمة « بيونس ايرس » ولهم مسجد هناك وجمعية هى الجمعية الخيرية الاسلامية .

٣ ـ جويانا الانجليزية :

يسكنها ٥٠ الف مسلم يمثلون ٩٪ من مجموع السكان ولهم مسجدهم في مدينة « جورج تاون » .

٤ ـ جويانا الفرنسية :

ويعيش على ارضها ٤ آلاف مسلم يمثلون ١١٪ من مجموع السكان .

٥ ـ سورينام :

ويعيش فيها ٦٥ الف مسلم يمثلون ٢٥٪ من مجموع السكان اكثرهم من اصل افريقى .

٦ ـ ترينـــداد :

وهى جزيرة سكانها ٦٠٠ الف بينهم ٦٪ من هذا العـدد مسلمون .

٧ ـ بقية دول امريكا الجنوبية :

توجد جماعات اسلامية في بقية دول امريكا الجنوبية لهم نشـــاطهم ومؤسساتهم حيث يمارسون شعائرهم الدينية هناك بحرية ، ومن امثلة ذلك وجود خمسة الاف مسلم في جمهورية شيلى ، والف وخمسمائة مسلم في جمهورية فنزويلا ، والف وخمسمائة مسلم في جمهورية كولومبيا (١٥٩) .

---

(١٥٩) المرجع السابق ص ٧٧٦ .

الفصل السادس

صراع المسلمين ضد أعدائهم

(كتبه د. عبد الشافى غنيم)

- المسلمون في الفلبين .
- المسلمون في تشاد .
- المسلمون في اريتريا .
- المسلمون في قبرص .

المسلمون فى الفلبين

تقع الفلبين في الجزء الجنوبى الشرقى من قارة آسيا ، على شـــكل ارخبيل يضم نحوا من سبعة الاف جزيرة ، تختلف في تفاوت مساحاتها ، وابعاد كل واحدة منها عن الاخرى ، ويبلغ تعداد الفلبين قرابة اربعين مليون نسمة ، ينتشرون في مجموع هذه الجزر ، التى تصل مساحتها الى مائة وأربعة عشر كيلو متر مربع ، وهم موزعون كما يلى ، واحد وثلاثون مليونا من الكاثوليك المسيحيين ، وثلاثة ملايين من اليسوعيين والجزويت وخمسة ملايين من المسلمين ، معظمهم يتبعون مذهب الامام الشافعى رضي الله عنه ، وقرابة مليون من الوثنيين والهندوس والبوذيين .

ولقد مر وصول العرب والمسلمين ، وتواجدهم في الفلبين بثلاث مراحل ، بدات المرحلة الاولى قبل الاسلام ، وكان يغلب على طابعها التجول من اجل التجارة غير المستقر ، حين كان العرب يجوبون بمراكبهم شرقا في المحيط الهندى ، نحو الهند والجزر المتناثرة في جنوب شرق آسيا ، لمجرد تبادل التجارة ، ثم العودة الى بلادهم ، ومعظم هؤلاء العرب من سكان الخليج وشرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ، واهم السلع التى كان يتبادلهـا الجانبان القرفة والفلفل والزنجبيل وخشب البخور وعود الند وخشب الصندل والتمر هندى والزعفران والشمع والسكر والارز وجوز الهنـد والاحجار الكريمة ، وكان لا يقل عدد تجار كل موسم عن اربعمائة تاجـر يتعاملون وقتذاك عن طريق المبادلة وبعض العملات الذهبيـة والفضـية واللالىء الصغيرة والكبيرة (١) .

وبعد ظهور الاســلام واتساع حركة الفتـوحات الاسلامية وخاصـة الفتوحات الشرقية في عهد الدولة الاموية تحولت مرحلة التجوال التجارية الى نوع من الاســتقرار الاســلامى في جزر المحيط الاكثر قربا من المراكز الاسلامية القديمة شرقى العالم الاسلامى حتى يكونوا دائما في حماية وامن الدولة الاسلامية وولاياتها القريبة واستوطن كثير من المسلمين شبه جزيرة الملايو وسومطرة وجاوة وبورنيو وارخبيل الفلبين في جزر سولو جولوومندناو

(١) Wilson; The Persian Gulf, P. 102.

وغيرها واصبح هؤلاء التجار المسلمون المستقرون واسطة عقد التجارة بـين هذه المناطق وبين عواصم ومراكز التجارة الاسلامية في هرمز وسيراف وقيس والبصرة والابلة (٤) .

وليس من شك في ان هذا الاستقرار ، قد ادى الى وجـود نـوع من النظام الحياتي بدأ اولا في شكل قبلي ، ثم تحول الى شكل تنظيمي حكمي الى ان وصل في النهاية الى تكوين امارات وسلطنات ذات نفوذ سياسي واقتصادي واجتماعي وديني ، بالاضافة الى ما كان يتمتع به الدعاة وعلماء الدين وكبار المشايخ من نفوذ وسلطان ، حتى انك لتجد الى الان قبور كبار هؤلاء المشايخ مزارا لكثير من مسلمي الفلبين يطلق عليها « طوان مشايخ » اى سـيد المشايخ »واللفظة الاولى ملاوية اللغة واللهجة وتعنى « سيد »

ولما سقطت بغداد عاصمة العباسيين في سنة ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م بـدأ تحول كبير في تاريخ الوجود الاسلامي في جنوب شرقي اسيا بوجه عام وجزر الفلبين بوجه خاص حين نزح على اثر هذا الحادث الكبير عدد كبير من المسلمين يتقدمهم الفقهاء والمشايخ والمتصوفون والاولياء (٣) ، ولم يقتصر نشـاط الوافدين الجدد على مجرد النشاط التجاري او الاستيطان المسـتقر وانما تعدى ذلك الى مرحلة دعوة دينية كبرى لنشر الديانة الاسلامية بين اهالي هذه الجزر واستطاع الاسلام بما يحمل من مقومات الانسانية والوحدانية والحرية والمساواة ان يملأ قلوب الناس لدرجة انه ما كاد يجيء منتصف القرن الخامس عشر الميـلادي حتى تضاعف اعداد المعتنقين للاسلام واسسوا في جزيـرة جولو الفلبينية سلطنة مستقلة على راسها السلطان شريف الهاشـم الذي لا يزال قبره موجودا عند جبل تومانتانتش بالقرب من مدينة بوانسا واتسع نفوذ هذه السلطنة حتى شمل جزر جولو وسولو ومنداناو وبدأ المسلمون يبنون المساجد والمدارس الاسلامية كعهدهم في كل بلد يستوطنوه ثم تعددت السلطنات والامارات الاسلامية في جزر الفلبين وغيرها مثل سومطرة وجاوة واصبحت مدينة ملقا التى اسسها المسلمون في اوائل القرن الخامس عشر في الملايو مركزا هاما من مراكز الدراسات الاسلامية المتخصصة .

---

(٤) ابن حوقل المسالك والممالك ص ٤٠
وحوراني العرب والملاحة في المحيط الهندى ص ٢٠٦
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩

جهاد المسلمين في جنوب شرقى آسيا ، في كل من الملايو ضد الانجليز ، واندونيسيا ضد الهولنديين بوجـه عـام ، والفلبيين ضـد البرتغـاليين والاسبانيين ونظام الحكم الحالى بوجه خاص) تحتاج الى دراسات واهتمامات متخصصة لاهمية الدور الذى خاضه المسلمون ، ومازالوا يخوضونه في بعض المواقع بالنسبة للتاريخ الاسلامى العـام ، الذى اغفل في كثير من صفحاته قسما كبيرا من كفاح هذه البلاد .

منذ القرن السادس عشر والمسلمون في جزر الفلبين يخوضون حركة جهاد مستمرة مرت بثلاث مراحل ضد البرتغاليين الاسبانيين في « ملحمة المورو » ومازالوا يخوضون مرحلتهم الثالثة ضد نظام الحـكم الحالى في الفلبين .

اولا : الجهـاد ضـد البرتغاليين :

كان نجاح البرتغاليين في الدوران حول افريقيا ، ووصولهم الى جنوب شرقى آسيا ، اول مواجهة بين مسلمى الفلبين وبين مسيحيى البرتغال ، وذلك لان البرتغاليين كانوا يستهدفون من وصولهم الى هذه الجزر امرين ، احدهما دينى ، وهو القضاء على الاسلام ونشر المسيحية ، والآخر اقتصادى ، وهو السيطرة على تجارة المشرق ، وحرمان المماليك ، والمدن التجاريـة الايطالية من مصادر هذا الثراء العظيم .

وعلى الرغم من الصراعات الدينية بين المماليك والمدن التجارية الايطالية الا ان وصول البرتغاليين الى مصادر التجارة الشرقية ازعـج الطرفين الى درجة ان مجلس العشرة (السناتو) في البندقية بعث بكتاب سرى الى سفيره في مصر (٢) بنديتو سانودو للتفاوض مع السلطان الغورى سلطان المماليك في مصر فيما يمكن اتباعه من وسـائل لمنع البرتغاليين من التوسع التجارى والاستعمارى في جنوب شرق آسيا ونظرا لاهمية هذه الوثيقة نورد منها الفقرات التاليـة :

بند « اولا » الحديث مع السلطان الغورى عن الملاحة في المحيط الهندى وكيف اصبحت في يد البرتغاليين وما يترتب على ذلك من خسائر للمماليك

(٢) Depping, Histore Du Commerce T. 11, P. 218 and ff.
نقلا عن دكتور نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ص ٣٧٦ وما بعدهـا .

والبنادقة معا وضرورة معالجةهذا الموضوع الهام الذي يتعلق بالمصالح المشتركة للطرفين .

بند « سادسا » يهمنا ان نذكر لسيادة السلطان انه قد وصل الى البرتغال ١٤ مركبا من جزر الهند الشرقية محملة بالتوابل ومن بين ما تحمله ٥٠٠٠ر٥٠٠ حمل من الفلفل صدرت الى انجلترا وفرنسا وايطاليا بسعر اقل مما تصدر به الاسكندرية مما جعل تجارنا يلجأون الى اسواق البرتغال .

بند «سابعا» ان يرسل السلطان الغوري من طرفه سفراء الى السلطنات الاسلامية في جزر الهند الشرقية ويطلب منهم باسم الدين الاسلامي والعلاقات التجارية القديمة مد يد العون لمجابهة البرتغاليين وان يضعوا جميع العقبات في طريقهم وان يبين لهم السلطان الاضرار التى تترتب على استمرارهم في التعامل مع البرتغاليين ويوضح لهم ان الهدف الاساسي للبرتغاليين هو الاستيلاء على بلادهم ليكونوا اسيادا عليهم .

وليس من شك في ان هذه الوثيقة السرية الهامة توضح لنا الجوانب التالية : ـ

«اولا» ان هدف البرتغاليين الاول من الوصول الى هذه المناطق القضاء على مسلمى هذه الجزر لاسباب دينية واقتصادية كما سبق ان اوضحنا .

«ثانيا» تنبيه البنادقة للسلطان الغوري لخطورة التواجد البرتغالى في جزر الهند الشرقية ومحاولة استشارته لانقاذ المسلمين هناك حماية للمصالح المشتركة بين البنادقة والمماليك .

« ثالثا » ارسال الوثيقة بصفة سرية الى سفير البندقية في القاهرة كى لا تتسرب اخبارها الى الكنيسة الكاثوليكية في روما .

والحقيقة أن المسلمين فى الفلبين ادركوا لاول وهلة خطورة البرتغاليين على اوضاعهم هناك وكان اكبر سلاطين المنطقة آنذاك السلطان محمود حاكم ملقا في شبه جزيرة الملايو الذى راى ببعد نظره ان يترك عاصمة حكمه ويستدرج البرتغاليين الى حيث التجمعات السكانية الكثيفة في جزر الفلبين وخاصة في كل من جزيرتى « سولو » و « جولو » ثم هرب الى جزيرة سومطرة وبدأ فيتأسيس سلطنة جديدة تزعمت لواء المجابهة ضد العدوان البرتغالى وذهب احد ابناء بيت السلطان محمود واسمه « محمد كابونسوان » واسس سلطنة اخرى في « مالابانك » وتجمع امراء السلطنات الاسلامية في جزر

الفلبين وتحولت الحروب الى معارك دينية طاحنة اكثر من اى شيء آخـر وعلى الرغم من الامكانيات القتالية المتطورة في يد البرتغاليين فانهم لم يتمكنوا من زحزحة المسلمين عن مناطق نفوذهم وظلوا يجابهون مواجهة شرسة من مسلمى الفلبين الى ان ظهر فى الافق عدو طارىء جديد للمسلمين هم الاسبانيون .

« ثانيا » الجهاد ضد الاسبانيين « وملحمة حرب المورو »

كان الاسبانيون قد فرغوا من انهاء الوجود الاسلامى فى بلادهم فى اخريات القرن الخامس عشر الميلادى بعد وجود حضارى وسياسي استمر قرابة ثمانية قرون وقصة الفصول الاخيرة الحزينة من نهاية هذا العهد المشرق وما لقيه المتأخرون من مسلمى الاندلس . ولم يستطع اى مؤرخ مهما بلغ عداؤه للاسلام والمسلمين ان ينكره ولذلك فان اخطر مواجهة بين مسلمى الفلبين وبين اعدائهم كانت تلك المواجهة التى حدثت مع الاسبانيين واستمرت قرابة ثلاثة قرون سجل فيها المسلمون ملحمة كفاح تاريخية مرت بست من مراحل لا تكاد تنتهى الحروب من واحدة حتى تبدأ بالثانية (من ١٥٦٥ الى ١٥٧٨) ، (١٥٨٧—١٥٩٩) ، (١٦٠٦ ــ ١٦٣٥) ، (١٦٣٧ ــ ١٦٤٥) ، (١٧١٨ ــ ١٨٥٠) ، (١٨٥١ ــ ١٨٩٨) استخدم فيها الاسبانيون كل انواع الاسلحة المادية والمعنوية والدينية وتعاون معهم في بعض مراحلها الهولنديون والانجليز حارب فيها المسلمون من بيت الى بيت فلما احرقوا منازلهم انتقلوا الى داخل الغابات فلما احرقوا الغابات عادوا يبنون بيوت جديدة من الاغصان ولكى ندرك شراسة هذا الكفاح المرير يكفى ان نورد امثلة للسياسة الاسبانية في هذه المعركة التى انتهت بفشل اسبانيا عام ١٧٩٨ م وانتقلت السيادة من الاسبانيين الى الولايات المتحدة الامريكية .

« اولا » فرض حصار اقتصادى على السلطنات الاســـلامية في جزر الفلبين لحرمان المسلمين من اهم مصادر حياتهم المعيشية وهى التجـــارة واستخدموا في سبيل ذلك اساليب القرصنة التى كان يجيدها الاســطول الاسبانى واتفقوا في ذلك مع الهولنديين الذين كانوا يفعلون نفس الشيء مع مســـلمى الجزر الاندونيســـية ومع الانجليز الذين كانوا يخمدون انفاس المسلمين في الملايو في وقت كانت فيه الدولة العثمانية محاصرة بمشــــاكلها الخارجية والداخلية ولم يكن قلب العالم الاسلامى يحس بنبض هذا الكفاح الذى كان يقوده مسلمو الفلبين من قرية الى قرية ومن غابة الى اخرى وكأنما كان الاسبانيون يريدون أن يكرروا مأساة المســـلمين الاواخر فى اســبانيا

« ثانيا » العمل على تفرقة المسلمين في كل جزيرة على حدة ومواجهة كل مجموعة في حرب ابادة شاملة مع قطع كل صلة بينهم وبين مسلمى الجزر الاندونيسية ومسلمى الملايو وظهرت في ذلك الوقت اسطورة السلطان نصر الدين سلطان المسلمين في جزيرة سولو الفلبينية الذى قاد الكفاح الاسلامى من داخل الغابات .

« ثالثا » ايفاد الارساليات التبشيرية الاسبانية الى جزر الفلبين للقيام بسياسة تبشيرية بين الفلبينيين الاصليين مع ما كانوا يحملونه من امكانيات مادية وخدمات في مختلف المرافق وخاصة الارساليات الجزويتية واليسوعية وقد اطلق الاسبانيون على الفلبينيين المبشرين (كما كان يسميهم المسلمون) الانديو كما اطلقوا على المسلمين « المورو » وهى لفظة اسبانية Moroco ومعناها صاحب الوجه العابس او الكالح وهى نفس الصفة التى كانوا يصفون بها المسلمين في اسبانيا وقد نجح الاسبانيون في اشعال نيران العداء بين « الانديو » السكان الاصليين و « المورو » المسلمين الفلبينيين حتى تحولت الحرب ابتداء من مرحلتها الثالثة الى حرب بين الاسبان والانديو من ناحية والمسلمين الفلبينيين من ناحية ثانية .

« رابعا » اشعال نيران الخصومات بين السلطنات والامارات الاسلامية وبعضها بهدف التفريق بينها لاعلاء السيادة الاسبانية .

« خامسا » التخريب المنظم لكل مصادر الحياة عند المسلمين الفلبينيين من احراق للبيوت واتلاف للمزارع والمحاصيل وتدمير للمراكب والسفن لنشر المجاعة بينهم واجبارهم على الهجرة او الاستسلام فلما فشلت كل هذه الوسائل واستمرت ملحمة الكفاح الدفاعية بدأوا يتبعون نفس الوسائل التى اتبعوها في اسبانيا من اختطاف اطفال المسلمين وتسليمهم الى الاسر الفلبينية المسيحية لتنصيرهم وقطع كل صلة بينهم وبين جذورهم العربية الاصلية وعقيدتهم الاسلامية بالاضافة الى القاء الكثيرين من الاسرى والمستسلمين لهم في المحيط كطعام للاسماك والحيوانات البحرية .

وعلى الرغم من هذه السياسة اللا انسانية استمر المسلمون الفلبينيون في كفاحهم حتى اضطر الاسبانيون في سنة ١٧٩٨ م للجلاء عن الفلبين وانتقل الحكم منهم الى سيادة الولايات المتحدة الامريكية .

« ثالثا » الجهاد الاسلامى ضد الحكومات الفلبينية :

انتقلت الفلبين في نهاية القرن التاسع عشر الى حكم الولايات المتحدة الامريكية بعد استعمار اسبانى دام قرابة ثلاثة قرون وتوقع الفلبينيون المسلمون الخير على يد الامريكين ولكن السياسة الامريكية الجديدة استمرت في العطاء والتشجيع لمختلف البعثات التبشيرية المناهضة للاسلام والمسلمين واستهدفت في اصلاحاتها استئصال الروابط الاسلامية من السياسة التعليمية والثقافية والحضارية هناك والحقيقة أن فترة السيادة الامريكية التى استمرت من سنة ١٧٩٨ م الى سنة ١٩٤٦ م تركت بصماتها السيئة بالنسبة لمسلمى الفلبين في الجوانب التالية :

« أولا » فقدان السيادة الاسلامية على معظم الامارات والسلطنات :

عجز الاسبانيون على مدى ثلاثة قرون عن اضعاف السلطنات الاسلامية في جزر الفلبين لدرجة انه عند قيام الحكم الامريكى كانت توجد عدة سلطنات اسلامية قوية في مقدمتها سلطنة ديبتروان قدرات البطل المسلم الذى قهر الاستعمار الاسبانى في الفلبين وسلطنة سولو وسلطنة ماجيندناو وسلطنة بويان وغيرها من الامارات الاسلامية ولكن السياسة الامريكية تمكنت من ابتلاعها جميعا فى مدى نصف قرن من حكمها .

« ثانيا » فقدان المسلمين لحيازة كثير من اراضيهم :

وضعت الولايات المتحدة قانونا لنظام حيازة الاراضى في جزر الفلبين كان من نتيجته فقدان المسلمين لمعظم أراضيهم التى ورثوها عن أجدادهم وسقطت كلها في يد الفلبيين الكاثوليك .

« ثالثا » ضياع التماسك الاسلامى :

استطاعت الولايات المتحدة عن طريق اتباع السياسة الاستعمارية التقليدية « فرق تسد » بين الامراء والسلاطين المسلمين أن تقضي على ذلك التماسك الذى ظل طيلة القرون الماضية السد المنيع ضد المحاولات الاستعمارية البرتغالية والاسبانية وسرت بينهم موجات التفرق والانقسام .

« رابعا » تسلل الصهيونية الى الفلبين :

أفسحت الولايات المتحدة المجال أمام الصهيونية للتسلل الى المسرح

السياسي في الفلبين مما نتج عنه موقفا متعاطفا للحكومة الفلبينية معاسرائيل بعد حصولها على الاستقلال وكانت اول بادرة قامت بها حكومة الفلبين محاولة انشاء سفارة اسرائيلية في الفلبين مما ادى الى قيام المسلمين هناك بمظاهرة عدائيـــة أوقفت هذا الاتجاه وقتذاك وتعاطف المسلمون مع العالم العربى والاســـلامى ضد حوادث الاعتداءات الاسرائيلية وحريق المسجد الاقصي مما أدى الى محاولات صهيونية للتأثير على حكومة الفلبين المعادية للمسلمين لاتخاذ مواقف عدائية ضد الوجود الاسلامى هناك .

ولما حصلت الفلبين على استقلالها من الولايات المتحدة بدات حكومتها تمارس سياسة البطش والارهاب ضد المسلمين في الجزر الجنوبية منتهجة السياسة التالية :

١ — تشـــجيع المسيحيين على الاستيطان فى المناطـــق الاســـلامية وتأييدهم في الاستيلاء على أراضي المسلمين وأملاكهم بالاضافـــة الى تحريم اشتراك المسلمين في المشاريع الاقتصادية الهامـــة واغراق المناطق الاسلامية بقوات الامن الفلبينية بهدف التجسس على المسلمين ومساندة الفلبين المسيحيين .

٢ — تبنى الحكومة الفلبينية عمليـــات التبشير المنظمة بين المســـلمين وخاصة بين الكثافاتالسكانية الفقيرة واثارة شكوكهم في العقيدة الاسلامية اعتقادا من المسئولين الفلبينيين ان المسلمين الفلبينيين لا يمكن أن يكونوا مواطنين صالحين الا اذا أصبحوا مسيحين .

٣ — العمل على دفع المسلمين لترك أراضيهم الزراعية ومصادر حياتهم الموجودة على السواحل وارغامهم على اللجوء الى مجاهل الغابات وشعب الجبال ليتحولوا الى عمال كادحين وحطابين للاشـــجار ونقلة للمــــاء .

٤ — معارضـــــة كل اتجاه نحو فتح مدارس اسلامية أو اقامة الشعائر في المناطق الاسلامية واثارة الرعب بين المسلمين عن طريـــق تسريح القتلة والمجرمين الفلبينيين بين صفوفهملدرجةانالاخيرين كونوا منظمة « ايلاجا » المعادية للتواجد الاسلامى في الفلبين وكان من أعمال هذه المنظمة اشعال النيران في جامعة الفلبين الاســـلامية في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٧٢ مما دعا رجال هذه

الجامعة الى توجيه نداء استغاثة الى ملوك ورؤساء العالم الاسلامى .

غير ان كل هذه الاعمال من جانب الحكومة الفلبينية لم تزد مسلمى الفلبين ــ الذين مارسوا الجهاد قرون طويلة ــ الا استمساكا بدينهم واصرارا على حقوقهم الموروثة في الفلبين وتكونت في بداية الامر منظمة اسلامية لقيادة الكفاح الاسلامى هناك تدعى « جبهة اتحاد الهيئات الاسلامية » (بانسا) بزعامة الدكتور احمد الونتو الذى تعرض اكثر من مرة للسجن والاعتقال خاصة عندما قاد حركة المسلمين في الفلبين تأيدا لحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ التى خاضتها كل من مصر وسوريا ضد اسرائيل واعلن رفض موقف حكومة الفلبين التى نادت بسياسةالحياد بين العرب واسرائيل وابرق لرئيس جمهورية مصر ببيان ثورى فلبينى يدعم هذه الحرب المقدسة واضطر الرئيس ماركوس رئيس جمهورية الفلبين الى التراجع عن موقفه امام حركة الجهاد الثورية التى خاضها مسلمو الفلبين واعلن وقوفه الى جانب العرب من اجل استرداد اراضيهم والحقوق الفلسطينية المشروعة .

وقد ادى النشاط الثورى الذى دب في صفوف ثوار المسلمين هناك الى انشاء منظمة جديدة لقيادة الكفاح اطلق عليها « الجبهة الوطنية لتحرير مورو » بزعامة نور ميسورى واستمر مسلمو الفلبين في جهادهم من اجل الحفاظ على حقوقهم حتى لفتوا انظار العالم الاسلامى الى حقيقة أوضاعهم واخذ زعماؤهم يجوبون الاقطار الاسلامية طلبا للمساعدات المادية والسياسية والعسكرية لتأيد حركتهم ولما كان ميثاق الجامعة العربية يتعارض مع مشروعية مساندة هذه الحركة المشروعة بحكم اعتبارها تدخلا في السياسة الداخلية لحكومة الفلبين فقد تصدى المؤتمر الاسلامى فى مؤتمراته لمشكلة المسلمين فى الفلبين حتى اصبحت هذه القضية أحد القضايا الاساسية التى استمر طرحها على مؤتمرات القمة ووزراء الخارجية منذ المؤتمر الثالث لوزراء الخارجية الاسلامى الذى عقد في جدة في محرم سنة ١٣٩٢ هـ (فبراير ــ مارس سنة ١٩٧٢ م) وكان اضطهاد المسلمين هناك قد وصل مداه واصدر المؤتمر أول قرار له بشأن هذه القضية على النحو التالى :

« استعرض المؤتمر احوال المسلمين في الفلبين والمعلومات التى تلقاها من الامين العام واعرب عن قلقه الشديد لمحنة المسلمين الذين يعيشون في الفلبين ويرى انه من الضرورى القيام بمساع حميده لدى حكومة الفلبين

لضمان سـلامة ارواح وممتلكات المسلمين في الفلبين اذ من حقهم كرعايا ان يتلقوا الرعاية الواجبة من الدولة ... ان المشكلات التى يواجهونها الان ينبغى أن تبحث كما ينبغى توفير ظروف مرضـية باسرع وقت ويطلب المؤتمر من الامين العام أن يجرى الاتصالات في هذا الشأن وأن يقدم للدول الاعضاء تقريرا عن هذه الاتصالات » .

وفي مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الرابع الذى عقد في بنغـازى صفر ١٣٩٣ هـ (مارس ١٩٧٣ م) اطلع الاعضاء على تقرير الامين العـام وكانت انباء حريق الجامعة الاسلامية في الفلبين (١٠ سبتمبر ١٩٧٢ م) قد ازعجت العالم الاسلامى واصدر المؤتمر القرارات التالية :

١ ـ يشعر المؤتمر بالقلق العميق لما تردد من أعمال القمع والابادة التى يتعرض لها المسلمون في جنوب الفلبين ويطالب الحكومة الفلبينية بوقف تلك العمليات فورا .

٢ ـ انشاء صندوق لمساعدة المسلمين في جنوب الفلبين تسـاهم فيه الحكومات الاسلامية على حسب تقديرها مع القيـام بحملة تبرعات على المستوى الشعبى في البلاد الاسـلامية لصالح المسلمين في الفلبين .

٣ ـ ارسال بعثة تقصي حقائق من وزراء خارجية ليبيا والسـعودية والسنغال والصومال .

وفى مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى عقد فى كوالالمبـور فى جمادى الثانية ١٣٩٤ هـ (يونية ١٩٧٤ م) بحث المؤتمر التقرير المقدم من اللجنـة الرباعية واصدر قراره باستمرار الاعراب عن الاسي العميـق ازاء استمرار الوضع السائد بين المسلمين الفلبينيين ودعا حكومة الفلبين للكف عن الاجراءات القمعية وتدمير الممتلكات الاسلامية واماكن العبادة وفي نفس الوقت سجل المؤتمر الخطوات التى اتخذتها حكومة الفلبين لتحسين أحوال المسلمين مع اعرابه عن اقتناعه بان الخطوات الاجتماعية والاقتصادية المقدمة منها لا تكفى وحدها لحل المشكلة وحث حكومة الفلبين على التفاوض مع ممثلى الجبهة الوطنية لتحرير مورو بهدف التوصل الى حـل عادل يعالج محنة المسلمين في اطار السيادة الوطنية للفلبين ووحدة أراضيها وايقاف العمليات العسكرية فوراً ومراعاة عودة اللاجئين الى ديارهم ووقف الهجرة المسيحية من الشمال .

كما تقرر انشاء جهاز يسمى « وكالة الغوث والانعاش الاسلامية » على أن تمول من الصندوق الاسلامى وتخضع لرقابة مجلس صندوق التضامن والابقاء على البعثة الخاصة لوزراء الخارجية لمتابعة هذا الموضوع واستمرار مناقشته في المؤتمر التالى وابلاغ ذلك كله لحكومة الفلبين .

ونتيجة للاتصالات التى تمت بين اللجنة الرباعية وحكومة الفلبين وعدت الاخيرة على مبدأ الموافقة على منح الحكم الذاتى للمسلمين في مندناو وباسيلان وسولو وبلوان مما جعل مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى عقد في جدة (رجب ١٣٩٥ هـ) (يولية ١٩٧٥ م) الى اعلان تقديره لموقف حكومة الفلبين وحث اللجنة الرباعية على متابعة المفاوضات بين جبهة تحرير مورو وحكومة الفلبين .

غير أن حكومة الفلبين ـ التى لم تكن جادة في نواياها ـ لم تلبث ان تنكرت لوعودها بشأن منح الحكم الذاتى لمسلمى الفلبين وتدهور الموقف هناك بشكل خطير واستأنف الثوار كفاحهم كما استأنفت الحكومة الفلبينية في اتباع وسائل القمع الرهيبة بينهم مما جعل مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد فى استامبول (جمادى الاولى سنة ١٣٩٦هـ) مايو سنة ١٩٧٦ م يعلن شجبه لهذه السياسة العدوانية من جانب الحكومة الفلبينية وطالبها بوقف عملياتها العسكرية ضد المسلمين وسحب جنودها فورا من مناطق المسلمين جنوبى الفلبين وطالبها بالوفاء بتعهداتها في منح الحكم الذاتى لهم في المناطق المتفق عليها مع استمرار اللجنة الرباعية في مهامها وتكليف الامين العام بالتشاور من أجل تقديم معونات عاجلة للاجئين .

وقد لعبت ليبيا دورا واضحا في اطار اللجنة الرباعية بسبب تركيزها على مشكلة المسلمين في الفلبين وتم عقد عدة اجتماعات في طرابلس بين ممثلى حكومة الفلبين برياسة حرم الرئيس الفلبينى وممثلى جبهة تحرير مورو برياسة نور مسوارى واعلن في هذا اللقاء موافقة حكومة الفلبين على منح الحكم الذاتى لثلاث عشرة ولاية اسلامية جنوبى الفلبين .

غير انه بعد عودة الوفد الفلبينى الى بلاده اعلنت الحكومة الفلبينية عزمها على استفتاء الولايات الاسلامية في مبدأ قبولها للحكم الذاتى واعتقدت جبهة مورو أن الهدف من هذا الاقتراح تزييف ارادة الجماهير الاسلامية في جنوب الفلبين وطالبت الحكومة بتنفيذ وعودها في منح الحكم الذاتى للمسلمين دون استفتاء اذ لا يعقل أن المسلمين الذين خاضوا

كفاحهم المرير طيلة القرون الماضية بحاجة الى استفتاء في اقامة حكم ذاتى لهم يحميهم من اخطار السياسة العدوانية التى درجت عليها حكومة الفلبين في تعاملها معهم .

واشتعلت الثورة في الفلبين واضطر نور مسوارى للالتجاء الى ليبيا التى أعلنت حكومة الفلبين رفض التفاوض معها بشأن هذه المشكلة الداخلية التى تخصها وحدها وأعلنت عودتها لاستمرار الحوار مع كريم جابى أمين منظمة المؤتمر الاسلامى كما ارسلت ثلاثةسفراء يمثلونها في مؤتمر وزراء الخارجية الذى عقد في داكار عاصمة السنغال عام ١٩٧٧ م وأعلن رئيس جمهورية الفلبين اتجاهحكومته الى تقسيم جمهورية الفلبين الى عشرة اقاليم في اطار نظام لامركزى يتمتع فيه المسلمون في مناطقهم بأغلبية المناصب العليا .

غير ان الظروف السياسية التى طرأت بعد ذلك ادت الى تجميد هذه المشكلة التى تمثل بندا أساسيا من بنود المؤتمر الاسلامى بالاضافة الى بعض الاحداث الداخلية في الفلبين مما يمكن ان نجمله فيما يلى :

« اولا » نجاح الحكومة الفلبينية في اثارة النزاع بين صفوف قيادة الثوار المسلمين هناك وخاصة ذلك الخلاف الذى احتدم بين الزعيمين الكبيرين نور ميسوراى وهاشم سلامة واثارة الاقاويل حول اتهام نور ميسوارى بميول يسارية مما ادى الى فقدان ثقة الزعامات القيادية في المؤتمر الاسلامى .

« ثانيا » ضعف الدور الذى كانت تقوم به اللجنة الرباعية وهى اللجنة المكلفة من المؤتمر بمواصلة جهودها مع الحكومة الفلبينية لحل مشكلة المسلمين هناك بسبب انفراد ليبيا بدور قيادى منعزل عن اللجنة ثم فقدان الثقة بين القيادة الليبية والقيادة الفلبينية خاصة بعد ان لجأ نور ميسوارى الى ليبيا واخذ يقود حركة الثورة الاسلامية في الفلبين من منفاه .

« ثالثا » ظهور مشكلات جديدة على الساحة الاسلامية في مقدمتها الهجوم الاثيوبى على الصومال الاسلامية وموقف بعض دول المؤتمر الاسلامى منه وتصاعد حركة القضاء على الثورة الاريترية من جانب الحبشة والخلافات التى قامت بين مصر والدول العربية حول مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى .

المسلمون فى تشاد

دولة تشاد الافريقية تقع وسط أفريقيا حول بحيرة تشاد وليس لها منفذ الى المحيط الاطلسي او البحر المتوسط ، وتبلغ مساحتها حوالى مليون وربع كيلو متر مربع وتحدها من الشمال ليبيا ومن الشرق السودان ، ومن الغرب كل من النيجر ونيجيريا والكاميرون ، ومن الجنوب افريقيا الوسطى . ومناخها حار بوجه عام مع زيادة الرطوبة جنوبا وتقل كلما اتجهنا شمالا حيث نصل الى المنطقة الجافة تماما في الصحراء الكبرى الافريقية .

ويمكن التأريخ لدخول الاسلام في تشاد مع اقليم السودان الكبير مجتازا الصحراء بعد ان حملت قبائل العرب والمغاربة الاسلام الى تلك الجهات في القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى ـ (٥) ، وقد استطاع المسلمون اقامة عدة ممالك وسلطنات اسلامية في تلك المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد على النحو التالى :

اولا : مملكة كانم :

كان مركز المملكة في شمال شرقى بحيرة تشاد ، وحكمتها اسرة « سيف » فيما بين عامى ٨٠٠ الى ١٨١٠ ، ولكن هذه الاسرة اعتنقت الاسلام أواخر القرن الحادى عشر ، وأول أمرائها المسلمين هو « أوم » الذى حكم المملكة من ١٠٨٦ ـ ١٠٩٧ م (٦) ، وقد بسط حكام كانم سلطانهم على قبائل السودان الشرقى حتى حدود مصر وبلاد النوبة ، وعن طريق فتوح الكانميين بلغ الاسلام « واداى » « وبرنو » ، ثم اخذ في الانتشار بين القبائل الوثنية في الغرب والجنوب حتى وصل الى النيجر وبلاد الهوسا (٧) .

وكان أهل كانم المسلمون على مذهب مالك وصارت بلدهم من مراكز

(٥) د . محمد السيد غلاب : البلدان الاسلامية .. ص ٥٢٠ .
(٦) محمود شاكر : تشاد .. ص ٣٧ .
(٧) د . محمد غلاب : المرجع السابق .. ص ٥٢١ .

الثقافة الاسلامية وقد رحـــل الكانميون الى مصر لطلب العلم وانشـــأوا في الفسـاط مدرسة للمالكية ، كما اتصلوا بالمراكز الاسلامية الافريقيـــة في « كانو » و « تمبكتو » و « جنى » و « جاو » الى جانب اتصالهم بتونس، وانشأوا المساجد واوقفوا الاوقاف على طلبة العلم وانواع البر ، واجلـوا الفقهاء واغدقوا عليهم كما عملوا على نشر الاسلام والجهاد في ســـبيله ، ورفعوا لواء الاسلام في منطقة بحيرة تشاد كلها ، كما اســـهموا في نشر الاسلام في بلاد الهوسا (٨) . وقد ظلت اسرة سيف تحكم مملكة كانم الاسلامية حتى سقطت تلك الاسرة امام هجوم قبائل « الفولانى » أول القرن التاسع عشر ، ثم لم يلبث أهل كانم ان أسندوا الرئاسة للشيخ محمد الامـــين الكانمى عام ١٨١٠ م وهو من اب عربى وام كانمية الذى صد هجـوم قبائل الفولانى وسار في البلاد سيرة حميدة ساعده على ذلك معرفتـــه بالشريعة الاســـلامية التى تلقى علومها في الازهـــر بمصر (٩) . وقد ظل الامر في كانـــم في يد أبنائها حتى جاء الامير السودانى رابح فضمها وغيرها الى ملكه أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر وظل مسيطرا حتى قضي عليه الفرنسيون في ٢٢ ابريل ١٩٠٠ م في معركة فاصلة وقعت جنوب بحيرة تشاد حيث هزم رابح وقتل (١٠) . وصارت كانم من ضمن ممتلكات الفرنسيين في غـــرب ووسط افريقيـــا .

ثانيا : مملكة واداى :

دخل الاسلام الى واداى متأخرا بسبب وعورة أرضها ، وســـكانها قبائل من أصل عربى يعيشون الى جانب قبائل عديدة من الزنوج ، وأول الملوك المسلمين هو السلطان عبد الكريم وهو من اب ســـودانى من بلدة شندى شمال الخرطوم وقد حل ضيفا وصارت له الكلمة ثم صار سلطانا على المنطقة عام ١٦١٢ م ، وكانت هذه المملكة تخضع لسلطان دارفور ولكنها استقلت عنها نهائيا في أواخر القرن السابع عشر (١١) . وأخذ الاســـلام ينتشر في تلك المملكة ، وقات الحرب بينها وبين مملكة الباجرمى وبينها وبين

---

(٨) د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربيـــة في افريقية جـ١ ص ٢٦١ .

(٩) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٣٩ .

(١٠) د . رافت الشيخ : أفريقيا في العلاقات الدولية ص ١٣٢ .

(١١) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٤٠ .

مملكة دارفور خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، وقد شهد ذلك القرن حرب مملكة واداى لمملكة برنو ونقل العاصمة من « وارا » الى « أبشة » (١٢).

ثالثا : مملكة باجيرمى :

وتقع الى الجنوب الشرقى من بحيرة تشاد ويرويها نهر شارى ، وقد دخل الاسلام اليها في عهد السلطان المسلم « عبد الله بن مالو » أواخر القرن السادس عشر ، وقد ازدهرت هذه المملكة وانتشر الاسلام فيها جميعا خلال القرن الثامن عشر ، ثم خضعت هذه المملكة لسلطان واداى أوائل القرن التاسع عشر ، ولمملكة كانم ، واخيرا ضمها الامير رابح السودانى الى سلطانه عام ١٨٩٢ م ، وبقيت تحت حكمه حتى جاء الفرنسيون ودخلوها عام ١٩٠٠ م . هى ومملكة اخرى تدخل في نطاق تشاد هى مملكة « مانجا » والتى تقع الى الشمال الغربى من بحيرة تشاد (١٣) .

وقد ظلت هذه الممالك التشادية تتصارع خلال القرن التاسع عشر حتى وفد اليها رابح السودانى أواخر القرن التاسع عشر ، ورابح من رجال الزبير رحمت باشا الزعيم السودانى الذى شرع في تدعيم املاك مصر في غرب السودان على عهد الخديوى اسماعيل ثم اتجه رابح غربا بعد ان قتل سليمان بن الزبير اثناء سيطرة الحكام الاجانب على مقدرات الامور في مصر والسودان ، وقد امتلك رابح واداى والباجرمى وكانم وبورنو ، وجعل من البلاد الواقعة حول بحيرة تشاد مركزا لملكه منذ عام ١٨٩٥ م (١٤) .

وقد لعبت الدعوة السنوسية دورا بارزا في نشر الدين الاسلامى بين اهل تشاد وفى الثمانينيات من القرن التاسع عشر صار للسنوسيين أكثر من مائة زاوية في تلك البلاد ، كما لعبت بقية الطرق الصوفية مثل التيجانية والقادرية والميرغنية والشاذلية دورا هى الاخرى في نشر الاسلام في تشاد وفي غرب أفريقيا بصفة عامة حتى صارت معظم شعوب تشاد مسلمة منهم : « شعب بيلى » الذى يسكن في الشمال الشرقى ،

---

(١٢) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٢٢ .
(١٣) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٤١ .
(١٤) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٢ .

وشعب « تيدا » في الشمال ايضا ، وشعب « البودوما » في الشمال والوسط ، وشعب « التيبو » في الشمال ، « شوا » في الوسط والجنوب والشرق من البلاد ، هذا الى جانب شعوب بها جماعات اسلامية مثل : « كوتوكو » و « سارا » و « الكانورى » و « الهوسا » و « البهل » و « الزنوج » وهذه الشعوب تعيش في معظمها في جنوب البلاد ووسطها وهم خليط من العرب والزنوج وما زالت الوثنية تجد لها معتنقين من بينهم (١٥) .

وعندما بدأ الفرنسيون هجمتهم على غرب افريقيا اصطدموا مع « رابح » منذ عام ١٨٩٩ م وما أن جاء عام ١٩٠٠ م حتى كان الفرنسيون قد استحوزوا على كل تشاد ووصلوا الى حدود دارفور ، وعندما قتل رابح على يد الفرنسيين في ٢٢ ابريل ١٩٠٠ م قرر السيد « محمد المهدى » زعيم السنوسية الانتقال من واحة الكفرة — في برقة وكانت مقرا للدعوة السنوسية — الى محل قريب من مكان العمليات الحربية ضد الفرنسيين منذ عام١٨٩٩ ليستطيع تنظيم المقاومة واتخاذ الاهبة لمواجهة قوات الفرنسيين الزاحفة جنوب تشاد ، فأرسل سيدى « محمد البرانى » الى « كانم » وطفق يجمع جيوشا من « التبو » و « الطوارق » و « أولاد سليمان » وغيرهم لمواجهة الزحف الفرنسي (١٦) .

حدث الصدام بين الفرنسيين والسنوسيين حيث استطاع الاخيرون احراز بعض الانتصارات الا ان الغلبة كانت في اغلب الاحوال للفرنسيين بسبب تفوقهم الحربى وعتادهم العسكرى الحديث . ونتج عن الصدام اعتراف « واداى » — التى ظلت طول عهد السيد محمد المهدى من أشد الامارات الافريقية الاسلامية اخلاصا للسنوسية — في نوفمبر عام ١٩٠٣ م باحتلال فرنسا « للباجيرمى » و « كانم » وغيرها . وان استمرت واداى نفسها تقاوم لبعض الوقت ضد الفرنسيين ، وانسحب السنوسيون شمالا خاصة بعد أن تدخلت تركيا واعربت عن معارضتها لاشتراك السنوسية في حرب ضد فرنسا مخافة ان يجر ذلك رجل تركيا ذاتها باعتبارها صاحبة السيادة على ليبيا (١٧) .

---

(١٥) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥١ — ٥٦ .
(١٦) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٩٤ .
(١٧) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٣٣ — ١٣٤ .

ويقدر عدد سكان تشاد حوالى اربعة ملايين نسمة تقرب نسبة المسلمين فيهم من ٨٥٪ ويكثر المسلمون في المناطق الشمالية ويقلون في الجنوب حيث يسيطر المبشرون الذين يضعون العراقيل المختلفة في وجه انتشار الاسلام ويخشون زحفه من الشمال نحو الجنوب (١٨) . وتتلاقى في تشاد – مثلما تتلاقى في الاقليم السودانى كله – العناصر العربية والمغربية من الشمال مع العناصر الزنجية من الجنوب ، وبهذا التلاقى حدث التزاوج والاختلاط بين هذه العناصر ، واعان على ذلك دخولها جميعا في الاسلام ، ولم يبق على الوثنية الا بعض القبائل الزنجية القليلة . وأكبر عناصر تشاد هم العرب ، والمسلمون يتحدثون اللغة العربية ، أما القبائل الزنجية الاخرى فتتحدث عديدا من اللهجات (١٩) .

وقد عاشت تشاد تحت الحكم الفرنسى منذ اول القرن العشرين حتى حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠ م وقد اصبحت عاصمة تشاد مدينة « فورت لامى » – أى قلعة لامى قائد الفزو الفرنسي لتشاد ضد رابح – وكان العلماء التشاديون يلعبون دورا رئيسيا في تمثيل الشعب الذى يلتف حولهم ويعتبرهم قادته الشرعيين . ويذهب أغلب هؤلاء العلماء للدراسة في الجامع الازهر بمصر ، وقد لاحظ الفرنسيون أثرهم في الناس لذلك عملوا على القضاء عليهم ، ودبروا مذبحة كبيرة في مدينة « كبكب » . كما عمل الفرنسيون على فرض اللغة الفرنسية وحرمان المسلمين من التعليم الحديث ومحاربة المؤسسات التعليمية الاسلامية لابقاء المسلمين في حالة جهل تام (٢٠) .

وعندما حصلت تشاد على استقلالها من فرنسا عام ١٩٦٠ م اتبعت سياسة مضادة للمسلمين حيث شكلت اول وزارة من ١٦ وزيرا ثمانية مسلمين وثمانية وثنيين ومسيحيين في حين أن نسبة المسلمين الى عدد السكان ٨٥٪ ، واتبع رئيس الجمهورية « تومبالباى » سياسة غير عادلة بالنسبة للمسلمين ، ومن ثم بدأت منذ عام ١٩٦٢ حركة المعارضة الاسلامية في تشاد وشهدت تشاد عدة انتفاضات اسلامية ضد الحكم هناك ، كانت انتفاضة عام ١٩٦٥ م اولها واكبرها ، وتعتبر بدءا للثورة

---

(١٨) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٨ .
(١٩) د . محمد السيد غلاب : المرجع السابق ص ٥٢٤ – ٥٢٥ .
(٢٠) محمود شاكر : المرجع السابق ص ٥٩ .

العامة ضد الحكم ، وتوالت الثورات في عام ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ونتيجة لقمع الحكم للثورات الاسلامية بمعاونة قوات فرنسية تشكلت جبهة التحرير الوطنى التشادى منذ عام ١٩٦٦ م هدفها تحقيق الديمقراطية والعدالة واستخدام اللغة العربية ، وقد حدثت محاولة انقلابية في ٢٧ اغسطس ١٩٧١ م قادها أحمد عبد الله الذى انتحر بعد فشل الانقلاب .

وما زالت الامور في تشاد حتى اليوم رغم انتهاء حكم « تومبالباى » حيث تدور معارك الحرب الاهلية في تشاد ويقاسي المسلمون خلالها في الوقت الذى يجد فيها المسيحيون تأييدا من أوروبا يحتاج المسلمون في تشاد المساعدة والتأييد للحصول على حقوقهم الطبيعية باعتبارهم أغلبية سكان تشاد ولرفع الظلم الواقع عليهم ولربطهم بالعالم العربى والاسلامى بما يزيد من قوة المسلمين في العالم .

المسلمون فى اريتريا

مقـــدمة

لفظة اريتريا مشتقة من التسمية الرومانية لهذه البـلاد « ارتريان » وقت ان كانت تقع تحت نفوذ الدولة الرومانية في القرن الاول الميلادى أثـــر احتلال الامبراطور الرومانى « يوليوس قيصر » لمصر ، ولما احتل الايطاليـون هذه المنطقة من ساحل البحر الاحمر الافريقى أصدر « همبرت الاول » ملك ايطاليا في أول يناير سنة ١٨٩٠ م مرسوما بهذه التسمية « أريتريا » احيـاء للتسمية الرومانية القديمة تمشيا مع الاعتبار القومى عند الايطاليين .

وتبلغ مساحة أريتريا ٥٠ ألف ميل مربع وتنعم بطقس ربيعى دائـم تساعد وفرة امطاره على زراعة ما يزيد على اربعين نوع من الحبوب ، ويبلغ طول ســـاحل أريتريا نحوا من ألف كيلو متر من راس قصار على الحدود السودانية شمالا حتى باب المندب عند راس أرحيتا جنـوبا ، وتتبعها حوالى ١٢٦ جزيرة اكبرها جزيرة « دهلك كبير » .

وقد تعرضت اريتريا بسبب موقعها المتـــاز على البحر الاحمر الى موجات من التأثير الخارجى ابتداء من مصر فاليونان فالفرس فالرومـان فالاســـلام فالبرتغاليين فالعثمانيين والمصريين ثم الاحتلال الايطالى ، واخيرا صراع الحيـــاة والموت مع الاطماع الاثيوبية ، ويرجـع الصراع الاريترى الاثيوبى ، الذى كان صراعا تقليديا وعلى فترات ، الى أكثر مـن سبب .

١ ــ تشكل أريتريا حزاما يحول بين اثيوبيا ومياه البحر الاحمـر ، ولذلك فانها ــ الحبشة ــ لا تمل من محاولة تحقيق وجود لها في أريتريا تلبية لاحتياجاتها الاقتصادية .

٢ ــ عروبة واسلام أريتريا وارتباطها التاريخى والمصيرى بهذا التراث الدينى والثقافى ، بينما تحتل المسيحية الارثوذكسية مكانـا بارزا في اثيوبيـــا .

٣ ــ أهميـــة اريتريا بالنسبة لامن البحر الاحمـــر مما يجعل بعض الدول الغربية والاتحاد السوفيتى تقف الى جانب الاطمـــاع الاثيوبية المتسمة بالنزعة الصليبية .

العروبة والاسلام في اريتريا

تعرضت أريتريا في الازمنـــة القديمة الى موجات من الهجـــرات السامية والتى تدفقت من جنوب شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب ، ولما كانت بعض هذه الهجرات اتخذت طريقها شمالا نحو السودان ومصر فانها لم تحاول أن تتعدى الحزام الساحلى المعروف بأريتريا مما نتـــج عنه اختلاف الكيان السلالى السامى في أريتريا عن الكيان السلالى الحامى في اثيـــوبيا .

الى ان جاءت اول هجرة بعث بها رسول الله صلى الله عليه وســلم الى هذه البلاد ، ولم تكن حكمة رسول الله ترتكن على مجرد عدالة نجاشي الحبشـــة آنذاك ، وانما كان من بين دوافعها صلة الدم التى تربط بين سكان الساحل من هذه البلاد وبين العرب ، ولذلك تذكر الروايات التاريخية الاســـلامية ، أن جماعة المسلمين المهاجرين وعلى رأسهم عثمان بن عفان وزوجته أم كلثوم بنت الرسول ، جاءوا على سفينتين تجاريتين لقاء نصف دينار لكل واحد منهم ، ونزلوا على مكان من شاطىء أريتريا يقـــال له « معدر » جنوب ميناء « عدوليس » الاريترى القديـــم ثم اتجهوا نحـــو « اكسوم » ـ الحبشة ـ حيث التقى بهم نجاشيها الى اخر القصـــــة التاريخية المعروفة .

وفي عهد عمر بن الخطاب ارسلت حملة صغيرة من ثلمثائة محارب مسلم الى أريتريا بهدفين : احدهما تأديب أهالى « عدوليس » على أعمال القرصنة في البحر الاحمـــر ، والثانى استكمال نشر الاسلام في أريتريا وشرق افريقيـــا .

وكان حفر قناة أمير المؤمنين ممهدا لزيادة الاتصالات التجارية بين مصر والحجاز ، وأخذت سفن الحبوب المرســـلة من مصر تتعرض لغارات « العدولسيين » ، مما جعل الامويين يتخذون موقفا حاسما من أهـــالى هذه البلاد ، فأرسلوا حملة بحرية ضخمة الى الســـاحل الاريترى ، احتلت معظم الجزر الاريترية بما فيها جزيرة دهلك وجزءا كبيرا مـــن الساحل الافريقى ، مما مهد السبيل الى زيادة انتشار الاسلام في شرق افريقيا . وبعد تدمير « عدوليس » قامت على انقاضها ميناء « باضع » التى تسمى حاليا مصوع ، وتعددت الموانى الاسلامية على الشـــاطىء

الغربى للبحر الاحمر لدرجة ان بعض المؤرخين كان يصف هذا الساحل بالطراز الاسلامى ، واعتنقت قبائل البجة التى كانت تسكن اريتريا وجزءا كبيرا من شرق افريقيا الاسلام .

ولما قامت الحروب الصليبية لم يسلم البحر الاحمر والساحل الشرقى لافريقيا من هذا الصراع ، خاصة حين حاول « أرناط » ملك « الكرك » الصليبى أن يهدد أمن المسلمين والحجاج في البحر الاحمر ويهدد الحجاز ، وتصدى له الملك « العادل » الايوبى وانتقم منه عند ميناء « عيناب » .

وقد عز على الملكة « هيلينا » ملكة الحبشة أن ينتصر الايوبيون على الصليبيين في البحر الاحمر ، فأرسلت تستنجد « بعمانويل » ملك البرتغال لمساعدتها على « تحرير » بيت المقدس من المسلمين عام ١٥٠٨ م ولعل ذلك كان بداية الصراع بين البرتغاليين والمسلمين بقيادة المصريين ، اذ انتصر المسلمون وحلفاؤهم بقيادة المصريين على البرتغاليين اولا ثم هزموا فى موقعة ديو البحرية أمام بومباى بالهند عام ١٥٠٩ (٢١) ، مما دفع السلطان المملوكى قانصوه « الغورى » الى ارسال حملة بحرية الى اليمن لتقوية الوجود العربى في هذه المناطق ، وحماية كل من الشواطىء العربية والافريقية .

انتقل الصراع بعد ذلك في هذه المناطق بين العثمانيين ـ الذين حكموا المشرق العربى في أوائل القرن السادس عشر ـ وبين البرتغاليين الذين كانوا قد نجحوا في الاستيلاء على خليج عدن وعلى كل من موانى زيلع وبربرة ومصوع وسواكن ، وحولوا مسجد مصوع الى كنيسة عام ١٥٢٠م ، وكان البرتغاليون يستعينون في ذلك بصداقة الحبشة المسيحية ، خاصة أن الاحباش استنجدوا بالبرتغاليين في مواجهة المسلمين الذين يؤيدهم العثمانيون (٢٢) .

وفي سنة ١٥٥٤ م تمكن سنان باشا قائد الاسطول العثمانى من

---

(٢١) د . رأفت الشيخ : افريقيا في العلاقات الدولية ص ٥١ .

(٢٢) د . جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ص ١٣١ .

هزيمة البرتغاليين واحتل ميناء مصوع ، وتعاون الافارقة المسلمون وعلى رأسهم الاريتريون مع العثمانيين على قهر البرتغال ، غير انه لسوء الحظ كان البحر الاحمر قد بدأ يفقد قيمته التجارية للثلاثة قرون القادمة بسبب استخدام التجارة لطريق رأس الرجاء الصالح . ولم تعد للبحر الاحمر مكانته التجارية وللبلاد الافريقية الواقعة على شواطئه اهميتها ثانية الا بعد حفر قناة السويس وعودة التجارة مرة ثانية الى طريقها الطبيعي .

لقد كان حفر قناة السويس ليس مجرد تحول اقتصادى فقط وانما كان تحولا سياسيا بالدرجة الاولى ، وادركت الدول الاستعمارية وعلى راسها انجلترا وفرنسا وايطاليا اهمية مستقبل هذا التحول العالمى ، واخذت كل منها تسعى للحصول على محطات بحرية على طريق المواصلات الاول بين الشرق والغرب ، وتركزت هذه المحطات في عدن الخاضعة للاحتلال الانجليزى وفي « اوبوك » الخاضعة للاحتلال الفرنسي « وعصب » الواقعة تحت الاحتلال الايطالى ، وقد دفع ذلك الدول الثلاث الى الصدام مع مصر التى كانت تشرف على كثير من هذه المناطق وخاصة في عهد كل من محمد على والخديوى اسماعيل .

الوجود الايطالى في أريتريا

بدأت ايطاليا منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر تهتم بالبحر الاحمر خاصة بعد فتح قناة السويس وازدياد اهتمام كل من انجلترا وفرنسا بالساحل الغربى للبحر الاحمر ، وكان اول وجود لها في اريتريا حينما تمكن احد المبشرين الايطاليين واسمه « سابيتو » Sabito بدعم من الحكومة الايطالية أن يعقد صفقة مع قبيلة « عد على » الاريترية تنازلت بمقتضاها عن منطقة على ساحل البحر الاحمر الغربى سنة ١٨٦٩ م ، وعبثا حاولت مصر الاحتجاج على هذا التصرف من جانب ايطاليا التى استمرت في توسعها في اريتريا حتى احتلت مصوع في فبراير ١٨٨٥ م ، وكانت تجد تشجيعا من بريطانيا حتى لا تنفرد فرنسا بالتوسع الاستعمارى في هذه المنطقة بالاضافة الى حرمان الثورة المهدية في السودان من تسرب نفوذها الى هذه المناطق (٢٣) .

---

(٢٣) د . السيد رجب حراز : التوسع الايطالى في شرق افريقيا ص ١٦٦ .

واضطر عزت بك محافظ مصوع المصرى الى مغادرة المحافظة مع الحامية المصرية بناء على اتفاق من اجل تسهيل جلاء المصريين عن السودان الشرقى عن طريق مصوع بين مصر واثيوبيا وبذلك صار المجال مفتوحا لايطاليا لكى تحتل كل اريتريا خاصة بعد احتلالهم لمدينة « اسمرة » عاصمة الاقليم في ٣ اغسطس ١٨٨٩ م (٢٤) ، واصدر « همبرت الاول » ملك ايطاليا مرسوما بتعيين الجنرال اوريرو Oriro كأول حاكم ايطالى عام لاريتريا ، واستعملت ايطاليا كل وسائل القمع ضد الاريتريين في اطار ما أسمته قانون التهدئة والامن .

استمر الايطاليون في احتلال اريتريا قرابة ستين عاما سخر فيها الايطاليون الشعب الاريترى لخدمة اهدافهم الاستعمارية الى ان هزمت ايطاليا في الحرب العالمية الثانية ، واحتل الحلفاء اريتريا عام ١٩٤١ م واحيلت ادارتها الى بريطانيا (٢٥) ، وكانت السياسة البريطانية تتجه للقضاء على شخصية اريتريا التاريخية والسياسية بضم محافظاتها الاسلامية الثلاث : المنطقة الغربية الى السودان ، والهضبة الاريترية بما فيها العاصمة « أسمرة » ، وميناء « مصوع » وميناء « عصب » الى اثيوبيا (٢٦) .

كفاح الشعب الاريترى في سبيل استقلاله

ليس من شك في أن الاستعمار الايطالى ومن بعده الاحتلال البريطانى، قد ولد في نفوس الشعب الاريترى الرغبة القوية في تحرير بلاده من براثن التدخل الاجنبى ، وكانت اول بوادر هذا الكفاح الوطنى في عام ١٩٤٣ م حينما كون بعض الشبان المثقفين جمعية وطنية أطلقوا عليها اسم « محبر فقوى هجر » أى « جمعية حب الوطن » ، ومن الغريب أن هذه الجمعية كانت تتكون من ١٢ شخصا ٦ من المسلمين و ٦ من المسيحيين ، وكان من أهم شعاراتها في ذلك الوقت الغاء قانون التمييز العنصرى الايطالى وتشجيع الحركة التعليمية والثقافية ووحدة الشعب الاريترى بكل طوائفه .

---

(٢٤) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٥٧ .
(٢٥) عثمان صالح سبى : تاريخ أريتريا ص ١٨٣ .
(٢٦) نفس المرجع : ص ١٨٤

غير ان هذه الوحدة الوطنية لم تدم طويلا بسبب المحاولات الاثيوبية التى كانت تريد ابتلاع أريتريا وخاصة حين وعدت انجلترا اثيوبيا في الحرب العالمية الثانية بعودة اريتريا الى اثيوبيا تحت قيادة الامبراطور هيلاسلاسي اذا ما تعاون معها في طرد الطليان واستخدم الامبراطور كل وسائل الدهاء السياسي والدينى لتحقيق هذا الحلم مستعينا بالمخابرات البريطانية التى كانت تسعى للقضاء على اية فكرة استقلالية في اريتريا بسبب تعاطفها المسيحى مع الحبشة .

ونجحت اثيوبيا في تفتيت الوحدة الوطنية بتكوين حزب جديد في اريتريا يدعى « حزب الاتحاد مع اثيوبيا » قاعدته العريضة من المسيحيين، وقد رد المسلمون على ذلك بانشاء حزب الرابطة الاسلامية الاريترية ، واختير السيد محمد أبو بكر بن جعفر الميرغنى زعيم الطائفة الختمية في أريتريا رئيسا شرفيا للرابطة ، كما اختير ابراهيم سلطان على سكرتيرا عاما لها ، وكان الحزب الاول يؤيد ضم اريتريا الى اثيوبيا ، بينما كان حزب الرابطة الاسلامية يطالب بالاستقلال التام ورفض مشروع التقسيم البريطانى ، ثم نشأت بعد ذلك عدة احزاب صغيرة تتمثل في « حزب أريتريا الجديدة » ، « حزب المحاربين القدماء » « وحزب المثقفين » « وحزب أريتريا المستقلة » « والحزب الوطنى » ، واعلنت هذه الكتل الصغيرة انضمامها لحزب الرابطة الاسلامية تحت اسم الكتلة الاستقلالية الاريترية (٢٧) .

وحينما عرضت القضية الاريترية على الامم المتحدة بين عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ م ، تباينت آراء الدول واتجاهاتها بسبب وضع أريتريا بعد الحرب العالمية الثانية فبينما كانت بريطانيا تنادى بفكرة التقسيم كانت المملكة العربية السعودية تنادى بالاستقلال الفورى ، في حين طالبت روسيا بتحفظات قبل الاستقلال في مقدمتها ضرورة مرور خمس سنوات سابقة من وصاية الامم المتحدة ومنح اثيوبيا ممرا الى البحر الاحمر عن طريق ميناء « عصب » ، واخيرا قررت الجمية العامة تشكيل لجنة خاسمية من بورما وجواتيمالا والنرويج وباكستان واتحاد جنوب افريقيا ، للتعرف على رغبات الاريتريين ، واختلف أعضاء اللجنة

---

(٢٧) عثمان صالح سبى : المرجع السابق ص ١٨٧ .

الخماسية على صيغة وضع تقرير موحد خاصة حين اكد الوفـــدان الباكستاني والجواتيمالى وجود الارهاب الاثيوبى في اريتريا ، واخـــيرا وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار من الولايات المتحدة في ديسمبر ١٩٥٠ م (٢٨) يقضي بأن تصبح اريتريا وحدة متمتعة بالحكم الذاتي في اطار اتحاد مع اثيوبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ، وأن يكـــون للحكومة الاريترية بعض السلطات المحلية على أن تتولى الحكومة الاتحادية السياسة الخارجية والنقدية والدفاع والمواصلات .

واتفقت كل من انجلترا واثيوبيا على استغلال هذا القرار لمصلحة اثيوبيا ، فسلمت بريطانيا للامبراطور هيلاســـلاسي جميع الســـلطات والممتلكات الاريترية ، واستولى الجيش الاثيوبى على المطارات والموانى والبرق والبريد والسكك الحديدية والمبانى الحكومية ، واخذت الحـــكومة الاثيوبية تعمل على الغاء الوجود الاريترى نهائيـــا وتسعى للقضاء على الاتحاد الفيدرالى الذى اقرته المنظمة الدولية وتمهد لضم اريتريا ضما كامـــلا على اثيوبيا .

وإزاء هذه السياسة العدوانية الاثيوبية اتخـــذ البرلمان الاريترى باغلبية ساحقة قرارا في ٢٥ مايو ١٩٥٤ م انذر فيه الحكومة الاثيوبيـــة بوجوب اعطاء الضمانات اللازمة لسيادة الدستور الاريترى ، وقد ردت اثيوبيا على ذلك بأعلان ضم اريتـــريا نهائيـــا اليها بعد سلسلة مـــن الاجراءات القمعية .

الكفاح الاريترى المسلح

لم يكن هناك بد من كفاح الاريتريين المسلح ضد السياسة الاثيوبية، وبدات منذ عام ١٩٥٨ م قيام خلايا ثورية سرية ســـباعية في بلـــدة « بور سودان » وفي بعض المدن الاريترية الى أن قامت جبهة التحـــرير الاريترية سنة ١٩٦٠ م بزعامة المرحوم حامـــد ادريس عوائى ، ونقلت كفاحها المسلح الى جبال اريتريا واخذت تتطور من التفاضة عفوية لبعض المسلحين الاريتريين الى ثورة مسلحة منظمة ، تنادى بالاستقلال الوطنى الكامل عبر الكفاح المسلح المدعم بالجهود السياســـية والدبلوماســـية

---

(٢٨) نفس المرجع ص ٢٠٢ .

الخارجية والحفاظ على وحدة التراب الاريترى ، واختير « ادريس محمد آدم » ليكون رئيسا للجنة التنفيذية للجبهة (٢٩) .

واخذت الثـورة الاريترية المسلحة تنتقل من نصر الى نصر ، وينتزع الثوار الاريتريون ترابهم من يد الجيش الاثيوبى عاما بعد عام على الرغم من الحملات الارهابية التى كان الجيش الاثيوبى يشنها ضدهم ، واضطرت البلاد العربية والاسلامية الى مساندة الكفاح الاريترى الاسلامى ، واخذت قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير تسيطر على معظم الريف الاريترى وتصطدم في معارك ضارية ضد القوات الاثيوبية .

وقد استغل الامبراطور هيلاسلاسي منظـــمة الوحدة الافريقيـــة ومقرها اديس ابابا لمعارضة اية مساعدة خارجية للشعب الاريترى معتبرا ذلك نوعا من التدخل في شئون اثيوبيا الداخلية ووضعت الولايات المتحدة امكانيات عسكرية ضخمة تحت تصرفه ، غير أن ذلك كله لم يمنع الثـوار الاريتريين من مواصلة تقدمهم في بلادهم .

ولقد تصور البعض أن الانقلاب العسكرى الذى أطاح بالامبراطور العجوز هيلاسلاسي قد يؤدى الى انهاء المشكلة لصالح الاريتريين ، ولكن تصرفات النظام العســكرى الجديد دلت على أن سياسته تتخذ مسارا أعنف واشد ضراوة ضد الثـــورة الاريترية لدرجة أن « أمان عندوم » أحد قادة الثـــورة الاثيوبية اغتيل بسبب آرائه المعتدلة في معالجـــة المشـــكلة الاريترية .

وفي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد دورته الرابعة في بنغازى بليبيا في شهر مارس ١٩٧٣ م اتخذت التوصيات التالية بالنسبة لثورة المسلمين في أريتريا .

١ ـ التعاطف الكامل مع الشعب الاريترى وتأييـد نضاله المشروع لتقرير مصيره ونيل حريته الكاملة .

٢ ـ مناشدة منظمة الوحدة الافريقية معالجة القضية الاريترية في

---

(٢٩) المرجع السابق : ٢٢٢ .

نطاق الاخوة الافريقية بهدف الوصول الى حل سياسي يحقق آمـــال الشعب الاريترى ويصون الامن والاستقرار والعدالة في المنطقة .

٣ ــ تناشد الدول الاعضاء في المؤتمر الاسلامى من الجميع مساندة الشعب الاريترى في محنته الراهنة وبذل المساعى الحميدة لدى الحكومة الاثيوبية الى حل عادل لهذه القضية .

٤ ــ يطالب المؤتمر الحكومة الاثيوبية بوقف الاعمال العسكرية ضد الشعب الاريترى الاعزل .

وحتى الان توجد في اريتريا أكثر من منظمة لقيادة الثورة الاريترية فهنـــاك « جبهة التحرير الاريترية » و « جبهـــة التحرير الشـــعبية » و « قوات التحرير الشعبية » . واذا كانت هناك بعض خلافات تكتيكية بين هذه الجبهات الا انها تتفق على استراتيجية واحدة تتلخص في تطهير التراب الاريترى من الاحتلال الاثيوبى ، والى جانب مساندة الدول العربية بوجه عام للنضال الاريترى فأن السودان بوجـــه خاص ــ لارتباطات سياسية ومصرية ــ تقف الى جانب الثورة الاريترية تدعمها وتقويها من خلال الحدود المشتركة التى تربط بينها ، فهى الى حد كبير تلعب نفس الدور بالنسبة لحركة أريتريا الذى تلعبه الدولة الليبية بالنسبة لحركة « مورو » في الفلبين .

ولما كانت السودان تدرك الى حد كبير أهمية وحدة النضال الاريترى في سبيل الاستقلال فقد استطاعت في الفترة الاخيرة ان تجمع زعمـــــاء جبهة التحرير الاريترية وجبهة التحرير الشعبية ووقعوا اتفاقا لتوحيـد الجهود لتنظيم الثورة الاريترية ، وتجرى اتصالات مع قوات التحـرير الشعبية للانضمام الى هذا الاتفاق . وليس من شك في أن الوحدة الثورية التى تجمع بين الثورة الاريترية والثورة الصومالية في « اوجادين » ضد اثيوبيا ، سوف تضع الحكومة العسكرية الاثيوبية بين فكى كماشة قوات التحرير لكلا الجانبين على الرغم من المساعدات التى يقدمها الاتحـــــاد السوفيتى لاثيوبيا .

المسلمون فى قبرص

تعرض الكثيرون للكتابة في مشكلة جزيرة قبرص كأحدى المشكلات الدولية في التاريخ المعاصر ، وقد لوحظ في كثير مما كتب عن هذا الموضوع الدقيق والحساس ان معظمه لا يتناول المشكلة من جذورها مما يجعل هذه الكتابة توحى بالشك في النظرة الاسلامية للزعماء المسلمين في الجزيرة ، وتوجه اليهم نوازع التخلف وزعزعة الوحدة الوطنية في قبرص ، بالاضافة الى عرقلة الوصول الى حل مقبول لانهاء المشكلة ، وهى مسلمة لا يمكن الانتهاء اليها الا من خلال نظرة سطحية لا تدرك الابعاد الحقيقية والجذور التاريخية للمشكلة ، ولا تعى عمق الوجود الاسلامى هناك ، بالاضافة الى تجاهلها للشواهد والدروس التاريخية كتلك التى حدثت للمسلمين في كل من جزيرتى كريت وصلقية .

والحقيقة ان مشكلة المسلمين في جزيرة قبرص مع بعض مشكلات اخرى ترتبط بقضايا العالم الاسلامى المعاصر ، تركتها جامعة الدول العربية لكى تعالجها الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى ، لانها وجدت نفسها فى معادلة صعبة يكاد يستحيل فيها التوفيق بين تبنيها لرفض مبدأ التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية وغير العربية ، وبين اهمية وقوفها الى جانب بعض القضايا الاسلامية ، خاصة وان السلطة السياسية في قبرص ــ عن رغبة ايمانية او ظاهرة تكتيكية ــ تعلن ايمانها بشعارات عربية مطروحة في مقدمتها الصراع العربى الاسرائيلى ، ومبدأ عدم الانحياز .

ولقد احسنت الامانة العامة للمؤتمر الاسلامى صنعا ان تصدت لهذه المشكلات ، في مؤتمراتها القمية او على مستوى وزراء الخارجية ، وفي مقدمتها المشكلة القبرصية ، ومشاكل المسلمين في الفلبين وفي اريتريا والصومالين الغربى والجنوبى ومشكلات المسلمين في البلاد التى تطبق سياسة التفرقة العنصرية .

ولكى نتفهم ابعاد مشكلة المسلمين في جزيرة قبرص الحالية لابد من عودة موجزة للجذور التاريخية الاسلامية الجزيرة . ذلك ان الفتوحات الاسلامية شملت كلا من جزيرة قبرص وجزيرة كريت وجزيرة صقلية من جزر البحر الابيض المتوسط . وتعتبر جزيرة قبرص اكبر هذه الجزر

واقربها الى الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، فهى تبعد عن الساحل السورى قرابة تسعين كيلو متر ، وعن مصر بأربعمائة كيلو متر ، وعن تركيا بخمسة وستين كيلو متر ، كما تبلغ مساحتها ٩٢٥١ كيلو متر مربع ، اى انها تقرب من مساحة لبنان .

دخل المسلمون الى بلاد الشام بعد صراع مع الدولة البيزنطية ، ووصلوا الى سواحل البحر المتوسط ، وبذلك كان طبيعيا ان تمتد انظارهم الى جزيرة قبرص ، ليس لمجرد استمرارية الصراع التقليدى بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وانما ايضا لان المسلمين اراوا ان يتخذوا من جزيرة قبرص قاعدة للاسطول الاسلامى ، وحماية شواطىء الشام ومصر ، خاصة بعد أن قام معاوية بن ابى سفيان والى الشام ببناء اول اسطول في تاريخ البحرية الاسلامية .

وكان اول فتح للمسلمين في قبرص سنة ٢٨ هـ على يد عبد الله بن قيس الحارثى بتكليف من معاوية ، وتصالح الطرفان المسلمون واهالى الجزيرة على ان يدفع الاخيرون ٧٢٠٠ دينار جزية سنوية للدولة الاسلامية ، وان يقوم القبارصة بأخطار المسلمين عن اية استعدادات قد تقوم بها الدولة البزنطية لمهاجمة الشواطىء الاسلامية ، غير ان الامر لم يستقر تماما للمسلمين في الجزيرة الا عندما ثار اهلها على الحكم الاسلامى واضطر معاوية الى ارسال اسطول جديد سنة ٣٤ هـ الموافق ٦٥٤ م احتل الجزيرة وسيطر على كل اجزائها وأسكن فيها اثنى عشر الفا من جند المسلمين ، وهاجر اليها عدد كبير من المسلمين وخاصة من عرب بعبلك ، وانتشر الاسلام في الجزيرة وتعددت بها المساجد والزوايا والمدارس والاضرحة الاسلامية .

وعلى الرغم من الصراع التقليدى بين الدولتين البيزنطية والاموية فالعباسية ، فان الوجود الاسلامى فى الجزيرة كان يزداد على مر الايام، لان الدولة الاسلامية كانت تدرك تمام الادراك الاهمية الاستراتيجية للجزيرة .

وخلال الحملات الصليبية ضد مصر والشام تمكن «ريتشارد قلب الاسد» من الاستيلاء على جزيرة قبرص وهو في طريقه الى الشام عام ٥٨٧ هـ الموافق ١١٩١ م ، واتخذ منها قاعدة لامداد الصليبيين في الشام بالمساعدات الحربية، كما كانت قبرص في نفس الوقت الملجأ الحصين للصليبيين كلما اضطرتهم الظروف للتقهقر امام الاغارات الاسلامية على بلاد الشام ، واستغلوا وجودهم هناك

لاحتراف القرصنة ومهاجمة السفن الاسلامية في البحر المتوسط ، مما ادى الى متاعب كثيرة لدولة المماليك صاحبة النفوذ السياسي والتجارى والاقتصادى عليها .

ولذلك كان من الطبيعى ان يحدث صراع حاد بين المماليك والصليبيين حول جزيرة قبرص ، وقد تمكن السلطان المملوكى « برسباى الدقماقى الظاهرى » ـ ٧٦٦ ـ ٨١٤ هـ ـ من اقتحام جزيرة قبرص وأسر مليكها « جيمس لوزينان » كما حمل معه عند عودته الى مصر عددا كبيرا من الصليبيين مكبلين بالسلاسل والاغلال ، وقد اقيمت احتفالات كبيرة في مصر بهذه المناسبة ، واستمرت قبرص الاسلامية تدفع الجزية لمصر المملوكية قرابة الستين عاما الى أن تمكن اهل جمهورية البندقية الايطالية من فرض سيطرتهم التجارية والمالية على الجزيرة عام ١٤٨٩ م ، ثم احتلها العثمانيون عام ١٥٧١ م ، وانهوا الوجود الصليبى ووجود اهل البندقية هناك واصبحت الجزيرة القبرصية مسلمة شعبا وحكما .

ونظرا لاهتمام العثمانيين بجزيرة قبرص بسبب موقعها الاستراتيجى والسياسي والاقتصادى للدولة العثمانية ، فقد عملوا منذ بداية وجودهم هناك على توطيد دعائم الاسلام فى الجزيرة ، وأسكن فيها السلطان سليم الثانى حامية عثمانية واقام فيها الدعاة والوعاظ المسلمون ، ولم يمض قرن على الفتح العثمانى للجزيرة حتى كان المسلمون يشكلون اغلبية كبيرة هناك، حتى ان تعداد سكانها في عام ١٧٩٠ م كان ثمانين الف نسمة منهم ستين الفا من المسلمين والباقين من الديانات الاخرى ، وهكذا اصبحت قبرص بلدا اسلاميا في اغلبيتها .

استمر الحكم العثمانى لجزيرة قبرص ثلاثة قرون كاملة ، امتلأت فيها الجزيرة بالمساجد والمدارس والقبور الاسلامية ، غير ان الدولة العثمانية نفسها كانت تأخذ طريقها نحو الضعف بسبب ظروف داخلية وخارجية ليس هنا مجالها ، ووقف الغرب المسيحى لها بالمرصاد بسبب تزعمها للعالم الاسلامى وقضائها على الرئة اليمنى للعالم المسيحى وهى بيزنطة ، كما كانت روسيا تناصبها العداء بدعوى حمايتها للكنيسة الارثوذكسية ورغبتها في تخليص الاماكن الارثوذكسية من قبضة العثمانيين ، ووقفت الصهيونية العالمية تكيد للدولة العثمانية بسبب وقوف السلطان عبد الحميد الثانى في وجه الاطماع الصهيونية في فلسطين .

كل ذلك اتاح الفرصة أمام اعداء الدولة العثمانية ، وفي مقدمتهم بريطانيا التى

كانت قد بدات تدرك اهمية جزيرة قبرص بالنسبة لامبراطوريتها في الشرق ، واستطاع رئيس الوزراء الانجليزي اليهودى « دزرائيلى » ان يرغم العثمانيين على قبول ما يعرف بالتحالف الدفاعى عام ١٨٧٨ م ، وبمقتضاه قبلت الدولة العثمانية احتلال بريطانيا لجزيرة قبرص مقابل ضمان بريطانيا الدفاع عن الممتلكات العثمانية في آسيا ضد روسيا ، ودفع مساعدة مالية قدرها ٩٢٨٠٠ جنيه استرلينى .

ولما كانت انجلترا تخشي معارضة الدول الاوروبية لهذا الاحتلال وخاصة فرنسا ، فقد اتفقت معها على ان تطلق يدها في تونس ، كما اتفقت مع الروسيا سرا على تطلق يدها فيما تملك من اراض عثمانية ، ولذلك سلمت كل من فرنسا والروسيا فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م بالوجود البريطانى فى جزيرة قبرص .

ولقد كان ذلك من اكبر الاخطاء التى ارتكبتها الدولة العثمانية في حق الاسلام والعروبة ، وكان طبيعيا ان تعمل انجلترا على تغيير الوضع فى الجزيرة عن طريق مضايقة مسلميها واجبارهم على الهجرة من قبرص وافساح المجال امام مسيحى اليونان للتوغل في الجزيرة ، فانخفضت بذلك نسبة السكان المسلمين وارتفعت نسبة السكان المسيحيين الى ان قامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م .

وكانت سياسة انجلترا في قبرص تنبع من المنطلقات التالية : ــ

اولا : تحقيق اهداف الغرب الاستراتيجية :

كانت اولى اهتمامات انجلترا بجزيرة قبرص ان تظل الجزيرة قاعدة سياسية واستراتيجية تخدم الاستعمار البريطانى بوجه خاص والامبريالية الغربية بوجه عام مما يقتضي معه عدم الموافقة على ضم جزيرة قبرص الى اى من الدولتين ــ تركيا او اليونان ــ او الموافقة على تقسيم الجزيرة الى دولتين منفصلتين ــ وهى السياسة الغربية في الجزيرة حتى الآن ــ لان في وجود قبرص دولة واحدة يسهل على البريطانيين تنفيذ سياستهم هناك ، ومن اجل ذلك وقفت انجلترا تؤيد « الاسقف مكاريوس » ــ اول رئيس لجمهورية قبرص المستقلة ــ وتساعده على اداء الدور المطلوب منه ، فهو اولا كان يعارض فكرة ضم قبرص الى اليونان مما جعله هدفا لهجوم منظمة ايوكا والحرس الوطنى ، وغضب الحكومة اليونانية ، وهو في نفس الوقت يعارض فكرة تقسيم الجزيرة واقامة دولتين منفصلتين هناك احداها للقبارصة

الاتراك والثانية للقبارصة اليونانيين ، هذا فضلا عن رفضه طبعا اى فكرة لارتباط قبرص بتركيا بأى شكل من اشكال الارتباط .

ثانيا : ارضاء اليونانيين :

كذلك حاولت انجلترا ارضاء اليونان بالعمل على اعادة صياغة التجمعات الطائفية ، مما يجعل للقبارصة اليونانيين اغلبية سكانية بالنسبة للقبارصة الاتراك . وبذلك تسترضي انجلترا الكنيسة اليونانية وتدعم اقدام زعيم القبارصة اليونانيين في الجزيرة ـ الاسقف مكاريوس ـ وتدفع القبارصة اليونانيين للوقوف من خلفه خصوصا منذ ان اعلنت انجلترا في معاهدة لوزان ١٩٢٣ م تنازلها عن ملكيتها الرسمية لقبرص ، وعينت معتمدا بريطانيا لحكم الجزيرة عام ١٩٢٥ ، وكونت لجنة تنفيذية من سبعة اعضاء من الانجليز ومجلس تشريعى من ٣٠ عضوا ينتخب منهم ١٥ عضوا ويعين الباقون ١٢ من القبارصة اليونانيين المسيحيين وثلاثة فقط من القبارصة المسلمين .

وليس من شك في أن اليونانيين ـ سكان دولة اليونان ـ رحبوا بالوجود الانجليزى في قبرص املا منهم في ضم الجزيرة اليهم ، وتكونت الحركة المعروفة بحركة « انوسيس » Enosis ومعناها الاتحاد مع اليونان، وعلى الرغم من العطف الدينى الانجليزى بالنسبة لزيادة الوجود المسيحى في الجزيرة الا ان النظرة السياسية الانجليزية لجزيرة قبرص كانت تغلب عليها مصالحها الخاصة حتى ولو تعارضت مع حلفائها اليونانيين ، وهى الواقعية الانجليزية التى تفرق دائما بين الجوانب العاطفية والجوانب السياسية .

ثالثا : انضمام قبرص لمجموعة دول عدم الانحياز :

لا تمانع انجلترا في ان يلعب « مكاريوس » ـ وقبرص عضو في الكومنولث البريطانى ـ دوره بين دول عدم الانحياز كى تجنب قبرص اى محاولة للتدخل العربى في شئون الجزيرة بدعوى الحفاظ على مصالح الاقلية الاسلامية فيها ، لان ميثاق عدم الانحياز ينص على عدم السماح بالتدخل في الشئون الداخلية للدول الاعضاء ، ومن هنا لعب مكاريوس دوره ببراعة سياسية فائقة ، واتيحت له فرص التحرك في بلاد العالم العربى كرئيس لجمهورية تؤمن بسياسة عدم الانحياز وحقوق الشعب

الفلسطينى في تقرير المصير ، وقد ادى ذلك بطبيعة الحال الى تقييد حركة الجالية القبرصية التركية المسلمة في المجالات العربية والدولية ، وهى الشكوى التى يرفعها دائما زعماء القبارصة الاتراك في المؤتمرات الاسلامية.

رابعا : فتح أبواب الجزيرة للتسلل الصهيونى :

وذلك انطلاقا من كون جزيرة قبرص تشكل موقعا استراتيجيا هاما بالنسبة لاسرائيل ، وبذلك لا نعجب اذا رأينا نسبة اليهود الضئيلة في الجزيرة بالنسبة للديانات الاخرى الموجودة بالجزيرة اذ تبلغ نسبة المسيحين الارثوذكس مع بعض الموازنة ٧٩٪ بينما تبلغ نسبة المسلمين في الجزيرة ١ر١٩٪ ونسبة اليهود ٩ر١٪ . ولعلنا نذكر كيف استخدم الانجليز جزيرة قبرص في العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م .

خامسا : منع التسلل الشيوعى في الجزيرة :

وتعمل انجلترا على منع التسلل الشيوعى من الدخول الى جزيرة قبرص ، وقد نجحت انجلترا في حرمان حزب الاتحاد القبرصى الديمقراطى من الحصول على أيــة مقاعد في المجلس التشريعى لقبرص ، واخذ دوره يتضاءل بتضاؤل دور الحزب الشيوعى في اليونان ، وكان يستمد نشاطه من « براغ » عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل الشيوعيين يؤيدون استقلال الجزيرة عن اليونان بعـد ان كانوا من قبـل يطالبون بضمها الى اليونان .

موقف دول حلف الاطلنطى من المشكلة

تقف الدول الغربية مؤيدة للسياسة البريطانية في قبرص على طول الخط تحقيقا لاهداف الحلف ، وتدعيما للقواعد الانجليزية بالجزيرة لمواجهة مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى وللمحافظة على امن غربى البحر المتوسط ، ورغبة من الولايات المتحدة في الحد من المد الشيوعى الى الجزيرة ، وايجاد نوع من التوازن بين تركيا واليونان ، وهما دولتان في حلف الاطلنطى تعمل الولايات المتحدة على ابقائها في اطار الحلف ، ولذلك كثيرا ما تشير كل من الدولتين بأصبع الاتهام الى الولايات المتحدة بسبب بعض مواقفها من المشكلة القبرصية ، ولذلك فان مشكلة القبارصة الاتراك المسلمين في قبرص لا تعتبر مشكلة محلية بسبب الظروف الدولية المحيطة بها .

موقف دول حلف وارسو من المشكلة

ليس من شك في ان الاستراتيجية الشيوعية تقوم على الاستفادة من الاضطرابات والثورات الداخلية ولذلك فان استمرار الصراع بين الطائفتين التركية واليونانية في قبرص يتيح للشيوعية المزايا التالية : ــ

١ ــ اتاحة الفرصة امام الجناح القبرصي لحزب الاتحاد القبرصي الديمقرطى للحركة تنفيذا للسياسة الموجهة من براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا بتخطيط من موسكو .

٢ ــ تصديع وحدة الصف الغربى في حلف الاطلنطى بايجاد نوع من عدم الثقة بين كل من تركيا واليونان وبين الولايات المتحدة ، بسبب المعادلة الصعبة التى فرضت على الولايات المتحدة في هذه المشكلة ، بالاضافة الى استمرارية الخلاف بين كل من تركيا واليونان .

٣ ــ ان اى نجاح يمكن ان تكسبه الكتلة الشرقية في جزيرة قبرص يدعم الوجود السوفييتى في المياه الدافئة وخاصة مياه البحر المتوسط .

٤ ــ خلق نوع من عدم التوازن داخل الجامعة العربية بسبب اختلاف وجهات النظر بين الدول العربية حول مشكلة المسلمين في قبرص، فمن الدول العربية من يفضل الالتزام بسياسة عدم الانحياز وعدم التدخل في شئون دولة عضو في العالم الثالث ، ومنها من تغلب عليه الالتزامات الدينية ، وضرورة التدخل بصورة من الصور لدعم حقوق المسلمين بالجزيرة، بما لا يتعارض مع مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول . وقد امكن حل هذه المعادلة الصعبة بقيام الامانة العامة للمؤتمر الاسلامى ، وهى منظمة لا تنظر اليها الكتلة الشرقية ــ الشيوعية ــ بعين الرضا .

موقف كل من تركيا واليونان

تقف تركيا الى جانب القبارصة الاتراك بطبيعة الحال الى حد التدخل المسلح عند اشتداد الازمة ، ويتأرجح موقفها بين الرغبة في اقامة دولتين منفصلتين في الجزيرة على اساس وجود قوميتين متميزتين في الجزيرة ، احداها تركية مسلمة والاخرى يونانية مسيحية ، وبين الموافقة على نوع

من الاستقلال الذاتي للقبارصة الاتراك في اطار حكومة فيدرالية ، شريطة ان تسلم الحكومة القبرصية بوجهة نظر المسلمين الذين يؤكدون حقهم في اكثر من ثلث الجزيرة ، بينما يصر القبارصة اليونانيون على ان ما يملكه المسلمون لا يكاد يصل الى السدس .

اما اليونان فهى بطبيعة الحال تقف الى جانب القبارصة اليونانيين في وجهة نظر تتأرجح هى الاخرى بين الموافقة على قيام الوحدة السياسة بين شطرى الجزيرة وفقا لما تتمناه الحكومة القبرصية ، وبين الامل البعيد في ضم جزيرة قبرص الى اليونان ، كما حدث بالنسبة لجزيرة كريت وتصفية الوجود القبرصي التركى في الجزيرة .

وجهة النظر القبرصية التركية الاسلامية

تتلخص وجهة النظر القبرصية التركية الاسلامية في موجز خطاب القاه السيد / «رءوف دنكتاش» زعيم القبارصة الاتراك في مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الذى عقد في استانبول في جمادى الاولى ١٣٩٦ هـ الموافق لعام ١٩٧٦ م ، وتحدث فيه عن المعاناة التى يعيشها المسلمون في قبرص تحت سيطرة القبارصة اليونانيين ، وخاصة حين كان مسلمو قبرص موزعين بين الشمال والجنوب ، وكان اتراك الجنوب يعانون من عسف السلطات القبرصية اليونانية مما اضطرهم في سبتمبر ١٩٧٥ م الى القيام بعملية تبادل سكانى ، وغادر القبارصة الاتراك المناطق الجنوبية من قبرص ليعيشوا مع اخوانهم في المناطق الشمالية .

وتحدث « دنكتاش » كيف كان ٣٠٧ الف مسلم قبرصي يعيشون كلاجئين لا ينظر اليهم المسئولون الا كمجرد جالية محرومة من الحقوق في الداخل والخارج ، وقد استغل الحكم القبرصى رضوخ كثير من الدول العربية لمبدا عدم التدخل في الشئون الداخلية لدول كتلة عدم الانحياز واخذ يخرس كل الاصوات القبرصية التركية التى تطالب بحقوقها ، وحرم الاتراك القبارصة من حق التعبير عن وجهة نظرهم في المسألة القبرصية في المحافل الدولية لعدم وجود كيان سياسي او ذاتى لهم ، وكانت السلطات القبرصية اليونانية تتحدث باسم الاتراك القبارصة بما يتناقض تماما مع مصالحهم وامانيهم .

واعلن « دنكتاش » في هذا المؤتمر ان الحكومة القبرصية الحالية لا

يمكن ان تدعى تمثيل قبرص ، وذكر لاعضاء المؤتمر ان الحكومة القبرصية تتنكر لاتفاق كان قد تم بين الجاليتين وقبل عملية المبادلة بخمسة عشر عاما باعتبار قبرص دولة ثنائية القومية تجمع بين القبارصة اليونانيين والاتراك، ورفض الاسقف مكاريوس اجراء اى حوار او اتصال مع « دنكتاش » منذ ديسمبر ١٩٦٣ م ، واحتكر لنفسه حق التحدث بين القبارصة الاتراك في المحافل الدولية متجاهلا تماما حقوقها ، وطالب دنكتاش في المؤتمر أن يكون للجانب القبرصي مكانا بين الدول الاسلامية الشقيقة ، ومكانها على الصعيد الدولى باسم آلاف الشهداء الذين استشهدوا في ميادين الجهاد .

وقد كرر « دنكتاش » هذه المطالب في المؤتمر الاسلامى الذى عقد في ليبيا عام ١٩٧٧ م ، وحذر من ان يكون مصير القبارصة الاتراك المسلمين نفس مصير مسلمى جزيرة كريت .

وجهة النظر القبرصية اليونانية

كان القبارصة اليونانيون قد نظموا انفسهم تنظيما كاملا ، معتمدين على التعاطف الانجليزى وتقربهم من الدولة اليونانية الام،بالاضافة الى الدعم الصهيونى الكامل ، وتشكلت في قبرص ثلاثة منظمات او احزاب ، بالاضافة الى منظمة « ايوكا » السرية ، وهذه الاحزاب هى : —

١ — حزب الجبهة البطريركى ، وكان يرأسه الاسقف مكاريوس وكل اعضائه من اليونانيين .

٢ — حز ب الجيل الشيوعى ويسمى الحزب التقدمى للشعب العامل، وكل اعضائه من اليونانيين .

٣ — حزب الاتحاد القبرصى الديمقراطى ، وهو الحزب المعارض لحزب الجبهة البطريركى .

اما المنظمة السرية « ايوكا » — الجبهة الوطنية لتحرير قبرص — بزعامة « جريفاس » وهو جنرال يونانى متقاعد وصل الى الجزيرة كزائر ظاهريا ، ولكنه كان في الحقيقة قد جاء لايجاد هذا التنظيم السرى المعادى للقبارصةالاتراك ، والمطالبة بضم قبرص الىاليونانشأنها شأن جزيرة كريت، وعلى الرغم من الميول الانجليزية لليونان ، الا ان انجلترا لم ترحببهذا التطرف

من جانب هذه المنظمة لانها كانت لا توافق على مبدا الضم السياسي للكيان القبرصي الى اليونان ، ولذلك فانها كانت ترى في المطران مكاريوس حلقة التوازن بين مطالب القبارصة الاتراك ومطالب منظمة ايوكا ، ولعل ذلك كان السرفي مساندة كل دول حلف الاطلنطى لمكاريوس في محنته عقب حركة الانقلاب التى قامت ضده بالجزيرة ، وعودته ثانية الى مكان الصدارة في جزيرة قبرص الى ان توفى .

والحقيقة التى لا شك فيها ان القبارصة اليونانيون هم الذين تنكروا للقبارصة الاتراك ، وقرارات مؤتمر « زيوريخ » الذى عقدته انجلترا في سنة ١٣٧٩ هـ الموافق ١٩٥٩ م ، وحضره عدنان مندريس ، رئيس وزراء تركيا بعد اجتماع تمهيدى لوزيرى خارجية الدولتين وبعد اتفاق رئيسا الوزارتين ، ذهبا الى لندن حيث عقدا مع « سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا اجتماعا حضره الاسقف مكاريوس عن القبارصة اليونانيين ، «وفاضل كوتشوك» عن القبارصة الاتراك ، وانتهى الاتفاق الى اعتبار قبرص جمهورية مستقلة رئيسها من القبارصة اليونانيين ونائب رئيسها من القبارصة الاتراك، وينتخبان لمدة خمس سنوات .

كما نص الاتفاق على ان يكون للرئيس ونائبه حق الفيتو ضد اى قانون لا يوافقان عليه ، اما مجلس الوزراء فيتكون من عشرة اعضاء سبعة منهم قبارصة يونانيين وثلاثة قبارصة اتراك ، وتصدر القرارات بالاغلبية المطلقة، وليس من شك في ان ذلك كان لصالح اصحاب الاغلبية وهم اليونانيين ، ورؤى أن يكون أحد الوزراء من القبارصة الاتراك للدفاع او للمالية او للخارجية، أما السلطة التشريعية فقد وضعت في يد مجلس نواب ينتخب لمدة خمس سنوات ، ٧٠٪ من اعضائه للقبارصة اليونانيين و ٣٠٪ للقبارصة الاتراك على أن تقوم كل جماعة منهما باختيار نوابها ، وتصدر القرارات بالاغلبية المطلقة .

اما الجيش فيتكون من ٢٠ الف جندى ٦٠٪ من عددهم من القبارصة اليونانيين و ٤٠٪ من القبارصة الاتراك ، وتتكون قوات الشرطة من ٢٠٠٠ شرطى ٧٠٪ منهم من القبارصة اليونانيين و ٣٠٪ منهم من القبارصة الاتراك وتقرر أن تدخل قبرص المستقلة فى تحالف عسكرى مع اليونان وتركيا وتستبعد تماما فكرة اتحاد قبرص مع اى دولة اخرى كليا أو جزئيا ، كما تستبعد ايضا فكرة التقسيم ، واحتفظت انجلترا بقاعدتين عسكريتين في جنوب الجزيرة الى جانب جميع مواقعها السابقة في الطرق والموانى ، وتستمر

قبرص في تقديم تسهيلاتها لبريطانيا في ميناء « فاما جوستا » والطيران فوق قبرص دون قيد ، واستعمال مطار « نيقوسيا » زمن السلم والحرب .

ولما اجريت انتخابات الرئاسة فاز « مكاريوس » رئيس حزب الجبهة البطريركى على « جون كليريدس » رئيس حزب الاتحاد القبرصي الديمقراطى واختير « فاضل كوتشوك » نائبا لـه ، لانه كان المرشح الوحيد من جانب المسلمين الاتراك .

الفصـول الاخيرة للمشـكلة القبرصية

ليس هناك شك في ان هناك من العوامل ما ساعد على تردى الاوضاع في جزيرة قبرص نذكر من بينها ما يلى :

أولا : أن السلطة القبرصية تجاهلت الى حـد كبير حقـوق الاقليـة التركية ، ولم تحاول ان تبقى على معابر الحوار بين الطرفين ، استنادا الى اغلبية تؤيدها وانقيادا لاتجاهات متطرفة كان يحركها الوازع الدينى وعـدم الشعور بالمسئولية .

ثانيا : الالحاح اليونانى المستمر على السـلطة القبرصية للاسراع في تحقيق الوحدة القبرصية اليونانية رغم المعارضة التركية والانجليزية والواقعية « المكاريوسية » لدرجة ان «مكاريوس» اضطر في وقت من الاوقات للتضحية بوزير خارجيته « سبيروس كبريانو » ــ الرئيس الحالى لجمهورية قبرص ــ لانه كان يجاهر باستقلال قبرص عن كل من اليونان وتركيا .

ثالثا : الصراعات الداخلية الحزبية في قبرص ، واسـتغلال « الحزب التقدمى للشعب العامل لاثارتها ، بالاضافة الى الاعمال الاجرامية التى كان يقوم بها « جريفاس » ومنظمة « ايوكا السرية ــ الجبهة الوطنية لتحرير قبرص ــ مما اثار الجالية القبرصية التركية .

رابعا : سوء تقدير الحكومة العسكرية اليونانية واتجاهها الى محاولة تعويض فقدانها الرصيد الداخلى في اليونان بافتعال انتصارات خارجيـة كان من بينها محاولة ضم الجزيرة القبرصية اليها ودفع منظمة « ايوكا » للقيام بأعمال تخريبية بما في ذلك محاولة التخلص من عامل الاتزان الوحيد في الجزيرة وهو « مكاريوس » الذى كان يحظى بتأييد حلف الاطلنطى .

خامسا : عدم ادراك العناصر المتطرفة اليونانية الى ظهور منظمة عالمية جديدة تقف الى جانب تركيا والقبارصة الاتراك في الدفاع عن حقوقهم المشروعة ، وهى منظمة المؤتمر الاسلامى بأمانتها العامة .

سادسا : على الرغم من الاقلية القبرصية التركية في الجزيرة الا انها كانت تتمتع بوحدة سياسية داخلية تتمثل في وجود حزب واحد يضمها ويدافع عن حقوقها وهو حزب الاتراك الوطنيين ، بالاضافة الى زعامة واحدة تمثلت في « فاضل كوتشوك » ثم « رءوف دنكتاش » .

ولذلك فانه ما كادت تقوم الحكومة العسكرية اليونانية بتنفيذ مخططها في قبرص عن طريق الحرس الوطنى القبرصى ومنظمة ايوكا السرية ، ودفعها الى الثورة على حكومة مكاريوس والاطاحة به والمناداة بضم قبرص الى اليونان كما سبق ان حدث في جزيرة كريت ، حتى ادركت تركيا خطورة الموقف ، وكانت تعلم مسبقا ان هذا الاندفاع من جانب الحكومة العسكرية اليونانية ، يتعارض مع السياسة الانجليزية وسياسة حلف الاطلنطى ، واجتاحت بقواتها الجزيرة لحماية القبارصة الاتراك المسلمين ، واستطاع « مكاريوس » ان يؤلب الرأى العام العالمى ضد سياسة الحكومة اليونانية العسكرية ، انتهى الامر بفشلها وسقوطها وعودةالنظام الديمقراطى الى كل من اليونان وقبرص ، وان كانت مشكلة قبرص قد باتت تزداد تعقيدا بسبب اصرار كل من الجالية القبرصية التركية ، والحكومة التركية على مواجهة الموقف بصورة حاسمة في الجزيرة حتى لا يتكرر ما حدث سواء من جانب اليونان او من جانب الاغلبية اليونانية في قبرص .

ولما كانت المشكلة القبرصية تشكل واحدة من المشكلات العالمية التى تهتم بها التكتلات الكبرى ، بدأت الجهود الدولية تبذل لمحاولة التوفيق بين وجه نظر القبارصة الاتراك تؤيدها تركيا وكثير من الدول الاسلامية ، وهى التى ترى ضرورة قيام كيان مستقل ذاتى للمسلمين في قبرص في المناطق التى يسكنونها ، ووجهة نظر القبارصة اليونانيين التى ترى في ذلك تجزئة للوحدة القبرصية وتصر على الابقاء على الوحدة السياسية والوطنية للجزيرة ، مع اشراك القبارصة الاتراك في الحكم وفق نسبتهم العددية .

وفي اثناء ذلك عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية السابع في استانبول في الجمهورية التركية من ١٣ ــ ١٦ جمادى الاولى ١٣٩٦ الموافق ١٢ــ١٥ مايو ١٩٧٦ . وناقش المشكلة القبرصية بعد الاستماع الى بيانين

احدهمـا من وزير الخارجية التركيـة ، والثانى من زعيم القبارصة الاتراك « رءوف دنكتاش » واتخذ التوصيات التالية : ــ

١ ــ المساواة في الحقوق بالنسبة للقبارصة الاتراك المسـلمين كشريك مع القبارصة اليونانيين في الاستقلال والوحدة الاقليمية والسيادة ، وعـدم انحياز جمهورية قبرص مع تحريرها من القواعد العسكرية .

٢ ــ الموافقة على الجهـود التى يبذلهـا القبارصة الاتراك المسلمون في السعى لتسوية سلمية سياسية عن طريق المباحثات بين الطرفين القبرصيين التركى واليونانى ، تقوم على اساس الدستور الفيدرالى الـذى يسـتطيع الطرفان الحياة معا في سلام في اطاره ، والتعايش معا جنبا الى جنب .

٣ ــ الى ان يتم حل المشكلة القبرصية يكون من حق مسلمى قبرص ان يسمع صوتهم في كل المحافل الدولية ، التى تناقش فيها المشكلة القبرصية على اساس المساواة مع ممثلى القبارصة اليونانيين .

٤ ــ الموافقة على دعوة ممثلى القبارصة الاتراك المسـلمين في قبرص لحضور اللقاءات القادمة للمؤتمر الاسلامى .

وحضر الوفد القبرصي التركى المؤتمر الثامن الاسلامى الذى عقد في ليبيا في مايو ١٩٧٧ م ، وتأكدت في هذا المؤتمر نفس التوصيات التىصدرت في المؤتمر السابع ، بالاضافة الى الاعتراف بحق القبارصة الاتراك فيالاستقلال الـذاتى .

ومهما يكن من امر فالمشكلة القبرصية تحكمها الزوايا التالية : ــ
أولا : الوضع التاريخى للوجود الاسلامى للقبارصة الاتراك المسلمين في جزيرة قبرص .

ثانيا : الظروف الدولية المحيطة بالمشكلة القبرصية .

ثالثا : ضرورة التوفيق بين آمال القبارصة الاتراك والقبارصة اليونانيين في اطار الوحدة الوطنية للجزيرة .



مصادر الكتاب

أولا : الكتب العربيـــة :

١ ــ د . إبراهيم العدوى : يقظة السودان القاهرة ١٩٥٦ م

٢ ــ إبراهيم فوزى باشا : السودان بين يدى غوردون وكتشنر ٢ جزء القاهرة ١٩٠١ م

٣ ــ ابن بطوطة ــ تحقيق محمود الشرقاوى : رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا القاهرة ١٩٦٨ م

٤ ــ ابن تيمية (تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية) : كتاب الزيارة من مجلد الجامع الفريد الرياض د . ت

٥ ــ ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ١٣ جزء القاهرة ١٢٤٧ ﻫ

٦ ــ ابن حجر : تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والغفران الكويت ١٣٩٢ ﻫ

٧ ــ ابن حوقل : المسالك والممالك ليدن ١٨٩٩ م

٨ ــ ابن خلكان (تحقيق إحسان عباس) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ جزء بيروت ١٩٧٢ م

٩ ــ ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ جزء ليدن ١٣٢٢ ﻫ

١٠ ــ ابن هشام ــ تحقيق مصطفى السقا : السيرة النبوية الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧١ م

١١ ــ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٨ أجزاء القاهرة د . ت.

١٢ ــ د . أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث القاهرة ١٩٤٨م

١٣ ــ د . إحسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها بيروت ١٩٧٣ م

١٤ ــ أحمد حسنين : فى صحراء ليبيا القاهرة د . ت.

١٥ ــ أحمد صدقى الدجانى : أحاديث عن تاريخ ليبيا فى القرنين الثامن والتاسع عشر طرابلس الغرب ١٩٦٥ م

١٦ ــ أحمد عسه : معجزة فوق الرمال بيروت ١٩٦٦ م

١٧ ــ البلاذرى : فتوح البلدان القاهرة ١٣١٩ هـ

١٨ ــ د. السيد رجب حراز : التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا القاهرة ١٩٦٠ م

١٩ ــ : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث القاهرة ١٩٧٠ م

٢٠ ــ العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان القاهرة د. ت.

٢١ ــ الغزالى (تحقيق د. عبد الحليم محمود) : المنقذ من الضلال مع أبحاث ودراسات عن الإمام الغزالى ط ٧ القاهرة ١٩٧٢ م

٢٢ ــ القاسم بن إبراهيم : الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع بغداد ١٣٤٨ هـ

٢٣ ــ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ط ٣ ٢٠ جزء القاهرة ١٩٦٧ م

٢٤ ــ الليدى آن بلنت ترجمة محمد أنعم غالب : رحلة إلى بلاد نجد الرياض ١٩٦٧ م

٢٥ ــ المسعودى (أبى الحسن على بن الحسين بن على) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ جزء القاهرة د. ت.

٢٦ ــ د. أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر.

٢٧ ــ بيير رنوفان ــ ترجمة د. جلال يحيى : تاريخ العلاقات الدولية (١٨١٥ ــ ١٩١٤ م) القاهرة ١٩٧٤ م

٢٨ ــ توماس أرنولد ــ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون : الدعوة إلى الإسلام القاهرة ١٩٧٠ م

٢٩ ــ جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية : ماضيها وحاضرها طرابلس ١٩٦٢ م

٣٠ ــ جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفاء بيروت ١٩٦٩ م

٣١ – د . جلال يحيى : الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية
القاهرة ١٩٥٩ م
٣٢ – جلال مظهر : حضارة الإسلام وأثرها فى الترقى العالى
القاهرة ١٩٧٤ م
٣٣ – جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده : العروة الوثقى بيروت
٣٤ – د . جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية
القاهرة ١٩٧٥ م
٣٥ – جورج فاضلو حورانى – ترجمة د . السيد يعقوب بكر : العرب
والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى
القاهرة د . ت .
٣٦ – حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين القاهرة ١٩٣٥ م
٣٧ – د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى
والإجتماعى ٣ جزء ط ٢ القاهرة ١٩٧٤ م
٣٨ – د . حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية القاهرة ١٩٦٠ م
٣٩ – د . حسن محمود أحمد : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية
القاهرة ١٩٦٣ م
٤٠ – حسين بن غنام : تاريخ نجد أو روضة الأفكار لمرتاد حال الأمام
وتعداد غزوات ذوى الإسلام القاهرة ١٩٦١ م
٤١ – د . حسين فوزى النجار : الشرق العربى بين حربين القاهرة
٤٢ – : مع الأحداث فى الشرق الأوسط القاهرة ١٩٥٦ م
٤٣ – ديلاس أوليرى – ترجمة تمام حسان : الفكر العربى القاهرة ١٩٦١ م
٤٤ – د . رأفت الشيخ : فى تاريخ العرب الحديث ط ١ القاهرة ١٩٦٥ م
٤٥ – : أفريقيا فى العلاقات الدولية ط ١ القاهرة ١٩٧٥ م
٤٦ – : تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة
طرابلس الغرب ١٩٧٢ م

٤٧ ـــ : مصر والسودان فى العلاقات الدولية القاهرة ١٩٧٩ م
٤٨ ـــ : أمريكا والعلاقات الدولية القاهرة ١٩٧٩ م
٤٩ ـــ د . زاهر رياض : استعمار أفريقيا القاهرة ١٩٦٥ م
٥٠ ـــ د . زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى القاهرة ١٩٤٨ م
٥١ ـــ ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية بيروت ١٩٦٠ م
٥٢ ـــ : نشوء الفكرة القومية
٥٣ ـــ د . سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى ط ٢ القاهرة ١٩٦٧ م
٥٤ ـــ شاتليه ـــ ترجمة مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب : الغارة على العالم الإسلامى ط ٢ جدة ١٣٨٧ هـ
٥٥ ـــ د . صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر القاهرة ١٩٧١ م
٥٦ ـــ د . طه عبد الباقى سرور : الحسين بن منصور الحلاج ، شهيد التصوف الإسلامى ط ٢ القاهرة ١٩٦٩ م
٥٧ ـــ عباس محمود العقاد : الإسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله ط ٢ بيروت ١٩٦٩ م
٥٨ ـــ : محمد على جناح دار الهلال القاهرة
٥٩ ـــ عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ٤ أجزاء القاهرة د . ت .
٦٠ ـــ عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الإحتلال القاهرة ١٩٦٦ م
٦١ ـــ عبد الرحمن بن عبد الله السعدى : تاريخ السودان القاهرة د . ت .
٦٢ ـــ عبد الرحمن زكى : أفريقية الإسلامية
٦٣ ـــ د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ط ١ القاهرة ١٩٦٩ م
٦٤ ـــ عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان والأسس النفسية والإجتماعية التى قامت عليها ٣ أجزاء القاهرة ١٩٤٩ م

٦٥ـ عبد القادر خان ـ ترجمة إبراهيم نوار : مأساة كشمير .
٦٦ ـ عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ط ٢ القاهرة ١٩٧٤ م
٦٧ ـ عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر (١٠٠ ـ ١٣٧٠ هـ) القاهرة د. ت.
٦٨ ـ د. عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا القاهرة ١٩٥٩ م
٦٩ ـ د. عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند القاهرة ١٩٦٤ م
٧٠ ـ عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن الـ١٦ إلى القرن الـ١٩ القاهرة ١٩٥٨ م
٧١ ـ عثمان صالح سبى : تاريخ أريتريا بيروت ١٩٧٤ م
٧٢ ـ د. عزة النص : أحوال السكان فى العالم العربى القاهرة ١٩٥٥ م
٧٣ ـ على باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة القاهرة ١٩٦٩ م
٧٤ ـ د. فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية (٩٨ - ١٣٢ هـ ـ ٧١٦ - ٧٤٩م القاهرة ١٩٧٠ م
٧٥ ـ د. فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لأفريقيا القاهرة ١٩٦٥ م
٧٦ ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكى : تاريخ الشعوب الإسلامية بيروت ١٩٦٥ م
٧٧ ـ كراتشكوفسكى ـ ترجمة د. محمد منير مرسى : مع المخطوطات العربية القاهرة
٧٨ ـ لوثروب ستودارد ـ ترجمة عجاج نويهض ـ تعليق شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ٤ أجزاء فى مجلدين بيروت ١٩٧٣ م
٧٩ ـ ماكس ليرنر ـ ترجمة د. راشد البراوى : أمريكا كحضارة ٢ جزء القاهرة ١٩٦٦ م
٨٠ ـ د. محمد السيد غلاب وآخرون : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر الرياض ١٩٧٩ م

٨١ – محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير القاهرة د . ت .

٨٢ – د . محمد ربيع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة القاهرة د . ت .

٨٣ – محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد الرياض د . ت .

٨٤ – : ثلاث عشر رسالة فى مجلد الجامع الفريد الرياض د . ت .

٨٥ – : كشف الشبهات فى مجلد الجامع الفريد الرياض د . ت .

٨٦ – محمد بن على السنوسى : الدرر السنية فى أخبار السلالة الأدريسية بنغازى ١٩٦٨ م

٨٧ – د . محمد رياض ، د . كوثر عبد الرسول : أفريقيا دراسة لمقومات القارة بيروت ١٩٧٣ م

٨٨ – محمد عطا ، د . عبد الحميد البطريق : باكستان فى ماضيها وحاضرها

٨٩ – د . محمد عوض : السودان الشمالى سكانه وقبائله القاهرة ١٩٥١ م

٩٠ – د . محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى تونس ١٩٧٧ م

٩١ – د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة القاهرة ١٩٤٨ م

٩٢ – : مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن الـ ١٩ القاهرة ١٩٥٧ م

٩٣ – د . محمد كامل ليلة : المجتمع العربى والقومية العربية القاهرة ١٩٦٦ م

٩٤ – د . محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام بدون ناشر ودون تاريخ

٩٥ – محمد مصطفى بازامة : العدوان أو الحرب بين إيطاليا وتركيا فى ليبيا طرابلس ١٩٦٥م

٩٦ – محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ٣ أجزاء
القاهرة ١٩٣١ م
٩٧ – محمود أبو رية : جمال الدين الأفغانى ط ٢ القاهرة ١٩٧١ م
٩٨ – محمود شاكر : تركستان بيروت ١٩٧٠ م
٩٩ – : قفقاسيا بيروت ١٩٧٢ م
١٠٠ – : تركستان الصينية بيروت ١٩٧٣ م
١٠١ – : تشاد بيروت ١٩٧٢ م
١٠٢ : مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى القاهرة ١٩٤٥ م
١٠٣ – د. مصطفى محمود : الماركسية والإسلام القاهرة
١٠٤ – مكسيم رونسون – ترجمة نزيه الحكيم : الإسلام والرأسمالية القاهرة
١٠٥ – د. مكي شبيكة : السودان عبر القرون بيروت ١٩٦٤ م
١٠٦ – : مملكة الفونج الإسلامية القاهرة ١٩٦٤ م
١٠٧ – نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ٣ أجزاء
القاهرة ١٩٠٣ م
١٠٨ – د. نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها القاهرة ١٩٧٣
١٠٩ – د. نقولا زيادة : ليبيا من الإحتلال الإيطالى إلى الإستقلال
القاهرة ١٩٥٨ م
١١٠ – د. نبيه عاقل : خلافة بنى أمية دمشق ١٩٧٣ م
١١١ – ويل ديورانت – ترجمة محمد بدران : قصة الحضارة جزء
١١٢ – د. يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا
بيروت
١١٣ – : الحل الإسلامى فريضة وضرورة بيروت

ثانياً: المطبوعات الرسمية : —

١ — التعليم الدينى فى ليبيا : بحث مقدم لوزراء التربية والتعليم والوزراء المسئولين عن التخطيط الإقتصادى فى الدول العربية المنعقد فى طرابلس الغرب أبريل ١٩٦٦ م

٢ — وزارة الخارجية السعودية : المعاهدات جـدة ١٩٥٦م

ثالثاً : الدوريات : —

١ — مجلة الفيصل العدد رقم ١٨ ذو الحجة ١٣٩٨ هـ الرياض .

٢ — مجلة كلية البنات جامعة عين شمس لعام ١٩٦٤ : بحث بعنوان الوهابية دين ودولة بقلم الدكتور عبد الحميد البطريق .

٣ — مجلة الهلال المصرية مارس ١٩٣٣ م : بحث بعنوان الحياة الأدبية فى جزيرة العرب بقلم الدكتور طه حسين .

٤ — مجلة الخليج الجديد القطرية العدد رقم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٩ م : بحث بعنوان أبو دلف ورسالته الثانية . بقلم الدكتور محمد منير مرسى

رابعا : الكتب الاجنبية :

1 — Awad, M. : Some Aspects of the diffusion of Arab influences in the Sudan, Cairo, 1953.

2 — Baker, Earnest: Islam in Deutch-Ostafrica, London 1925.

3 — Bartlett, V.: Struggle for Africa, London 1953.

4 — Coupland, R. : The Exploitation of East Africa, the slave trade and the scromble 1856-1890. London 1939.

5 — Day cline : A History of Commerce, London 1950.

6 — De Nova, J.A. : American Interests and Policies in the Middle East 1900-1939. Minnesoter 1968.

7 — Depping : Histore Du Commerce entre le Levant et L'Eu-

d'Amerique, Paris 1830.

8 — Fisher, S.W. : The Middle East, A History.

9 — Hakins : Studies in the history of med. science, London 1920.

10 — Hamilton : The Anglo-Egyptian Sudan from within. London 1935.

11 — Hilleson Anglo-Egyptian Sudan.

12 — Holt, P.M.: Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922, U.S. 1969.

13 — Homell, S : A History of Roman Catholic Doctrine and practice, London 1929.

14 — Kedourie, E, : Afghani and Abduh, London 1966.

15 — Kirkwood, K.: Britain and Africa, London 1965.

16 — Lenczuski, G.: The Middle East in World Affairs, 3rd ed. Cornell University press, 1971.

17 — New African Year Book, 1978, essential dates, facts and figures, London 1977.

18 — Polk, W.: The U.S. and the Arab World. Harvard University press, Cambridge, Massachusetts, 1965.

19 .. Stanley Lane Pool : The Mohammadan Dynasties. London 1935.

20 — Sudan Notes and Records (1918-1959). 40 volo.

21 — The African Continent, the Atlas of Africa editedly Regine Vanchi-Bonnordel, University of Paris.

22— The American Assembly Columbia University. The United States and the Middle East 1964.

23 — Wilson, A.: The Persian Gulf. London 1922.

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

دار نافع للطباعة والنشر ت : ٩٠٠١١٨